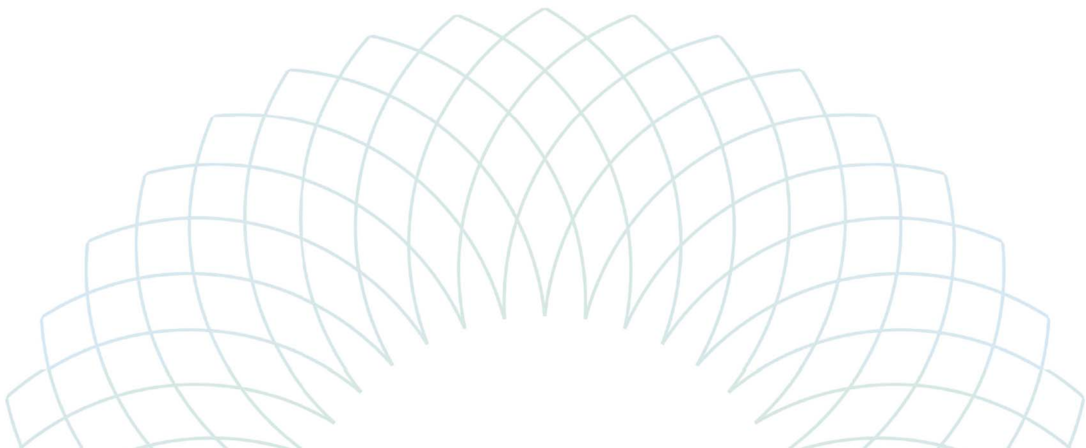

المجلة
العربية
مجلة الثقافة العربية
475
ذكرى مرور أربعين عاماً
40
وزير الحربية الذي أصبح موظفاً سعودياً
في وداع زها حديد
نخلة العود والنغم النبيل
عائلات توارثت العلم والثقافة والفن


رؤيـــة VISION
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA



2030
والرؤية الثقافية

مـع إعـلان الرؤية السـعودية 2030، التي أعلنهـا قبل أيام الأمير محمـد بن سـلمان بـن عبدالعزيز، ولي ولـي العهـد، رئيـس المجلـس الاقتصـادي والتنموي؛ تكون المملكة العربية السعودية قد دخلت مرحلـة جديدة من مراحل بنائها الاقتصـادي والتنمـوي والثقافـي والإداري. وهـي رؤية تضمَّنت معالم رئيسـة لبناء مستقبل المملكة، ستتلوها مع قادم الأيام تفاصيل أوفى وأعمق، وذلك مع انطلاقة مشروع التحول الوطني، الذي هو جزء من هذه الرؤية.

كانـت رؤيـة 2030 قـد حـدّدت مسـارات للعمـل والنهوض في المجـالات كافة، وكان مجال الاقتصاد هو المجال الأوسع والأرحب لهذه الرؤية، كون الاقتصاد هو المحـرك الفاعـل والأهـم لأي تحوّل ولأي بنـاء قادم. فدونـه ودون تنويع محركاته، ودون بناء إنسانه؛ لن يكون النهوض ولن يكون التحول المنشود.

لـم تُغفـل الرؤيـة الجانب الثقافـي في مثل هذا المشـروع الوطني الكبير، فقـد أولت هذا الجانب اهتمامها، وثمّة مشـاريع كبيرة سـيتم تنفيذها في إطار هذه الرؤية، على رأسـها وأهمها تأسـيس متحـف إسـلامي يُبنـى وفـق أرقـى المعاييـر العالميـة، ويعتمد أحدث الوسـائل فـي الجمع والحفظ والعرض والتوثيق، ليكون محطة للوقوف على التاريخ الإسلامي، عبر عهود حضارته، وسيضم المتحـف – كمـا فـي الرؤية – أقسـاماً للعلوم والعلماء المسـلمين، والفكر والثقافة الإسـلامية، ومكتبة ومركز أبحاث على مستوى عالمي.

كما عزّزت الرؤية وركّزت على التزامها برفع عدد المواقع الأثرية المسجلة في اليونسكو، في محاولة جادة لإحيـاء التـراث الوطنـي والعربي والإسـلامي، فهذه الأرض مرت بهـا وتعاقبت عليها حضـارات عريقة، وكانت ملتقى طرق تجارية ربطت بين حضارات العالم، مما جعلها تتوافر على تنوّع ثقافي وحضاري فريد وعميق.

لم تُغفل الرؤية إقامة المشاريع الثقافية المحلية، بل أعلنت عن دعمها لإقامة المكتبات والمتاحف المحلية والمسارح، ووعدتْ بتقديم العون والدعم للموهوبين من الكُتّاب والمخرجين والفنانين.

ولعله من المؤمل أن تتضمن الرؤية في تفاصيلها القادمة إعلاناً عن مشروع حضاري كبير وعملاق يتناسب ومكانة المملكة في قيادتها للثقافة العربية، يتمثل ذلك المشروع في إنشاء «مركز عالمي للترجمة» وفق أرقى المعاييـر العالميـة، تجبى إليه الخبرات العربية المتمكنة والمتمرسـة، والعقول النيّرة التي سـاهمت بجهدها المحدود والمشكور في ترجمة ما استطاعت ترجمته ونقله من لغات عالمية إلى اللغة العربية.

إن من مهام هذا المركز أن ينقل للآخرين ما يتم نشره، ليس في الناتج المحلي فحسب، بل ما تنتجه الثقافة العربيـة فـي أقطارهـا كافـة، وينقل للعرب ما تنشـره اللغـات الأخرى، شـرقاً وغرباً، ليكون هذا المركز وصلاً بين حضارات ولغات، وعنواناً للعلم والمعرفة، فهذا النهج في الترجمة، هو اهتمام عرفه الأسلاف واهتموا به، وجميعنا نعرف «دار الحكمة» وما قامت به من أدوار مهمة في ترجمة التراث اليوناني وغيره إلى العربية، وما كان لذلك من أثر كبير في الأدب العربي والفكر والفلسفة مما لا يحتاج إلى تفصيل.

إنّ مثل هذا المشـروع الحضـاري الكبير بات ضـرورةً مُلحة في عالم اليوم، وعلى المملكة العربية السعودية، وضـمن رؤيتها العملاقة «رؤية 2030»؛ تقع مسـؤولية النهوض به وقيادته، وما هذا بعسير عليها وعلى قيادتها الشـابة. فالمملكة هي قائدة المنطقة والعالم العربي، وبها يكون الأمل، وعلى أرضـها يتحقق الحلم إلى واقع، وإلى مستقبل مشرق.

محمد السيف

المجلة العربية

العـــدد
475

شعبان 1437هـ | مايو 2016 م

www.arabicmagazine.com
لمراسلة المجلة على الإنترنت
info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)- شارع المنفلوطي
تليفون: 966-11-4767345   966-11-4777943
فاكس: 966-11-4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432

صفحة المجلة العربية على facebook
@arabic_mag
arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | هاتف: 4871414 فاكس: 4871460 | تلكس: 406725
كوندس إس جي | ص.ب: 84540 – الرياض 11671

الرياض	4871414	الباحة	7251869	الدمام	8112222
الزلفي	4222343	القصيم	3821942	القريات	6424512
أبها	2245984	الدوادمي	6423365	الطائف	7327711
الحوطة	5550777	المدينة	8361332	حفر الباطن	7222100
حائل	5323231	الجوف	6246733	تبوك	4230096
بيشة	6223073	مكة	5377730	جازان	3170381
جدة	6390333	ينبع	3223679	الأحساء	5922381
الخرج	5484020	نجران	5322654	عرعر	6625741

د. فاتنة أمين شاكر

إعلامية سعودية رائدة. أول رئيسة تحرير سعودية، حيث ترأست تحرير مجلة (سيدتي) عام 1980م، وهي أول صوت نسائي تبثه الإذاعة السعودية. حصلت على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال والدكتوراه في علم الاجتماع. ظلت في محارب العلم تبذل عطاءاتها ومناشطها ومحاضراتها خلال فترة امتدت نحو 27 عاماً تخللتها فترات إعارة وتفرغ وزيارات مثرية في الداخل والخارج.









كتاب العدد

يتناول كتاب العدد 11 لغة محكية في جنوب الجزيرة العربية لم تأخذ حقها بالدراسة. هذه اللغات لها تراث شفهي ولغوي له قيمته العلمية، لكنها تتعرض للانقراض دون أن نعمل شيئاً لحفظها أو جعلها لغات مكتوبة.

هنا تعريف بهذه اللغات ولفت الأنظار إليها، وهي لغات ليست سامية فقط؛ بل تنتمي لثلاث عائلات لغوية مختلفة.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 3 جنيهات | ليبيا 400 درهم
تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة
الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشــتراك الســـنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي .

بورتريه العدد : بريشة رضوان الرياحي



40

نصير شمة.. نخلة العود والنغم النبيل

الإبداع

وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 0097143916501 | دار الشرق للتوزيع - قطر 009744557810 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» **فاكس:** 331797 **جوال:** 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

أسر توشحت بالثقافة والفن



تركي التركي: الرياض

نألفُ توارث المهن، بل وكثيراً ما نورثها عن قصد وعمد، حفظاً لتاريخ العائلة وصيتها، في حين يغيب هذا الحرص إذا ما أصبح هذا الإرث يتعلق بأدب وفن أو غيرهما من أنواع الثقافة ومجالاتها المتنوعة، فنجد ندرة العائلات الأدبية والفنية تغلب على كثرتها ورواجها، رغم أن كثيراً من الأدباء والفنانين لدينا امتهنوا هذه المجالات ليس بوصفها أبواباً للإبداع فقط، بل ولكسب الرزق أيضاً، فإلامَ تعود هذه الندرة؟ إلى أمر يتعلق ببنيوية الإبداع وفردانيته؟ أم بخصوصية العلائق المجتمعية العربية ومحاذيرها؟ وقبل هذا وذاك هل الإبداع يورّث؟ أم هو طفرات لا يمكن رصد تسلسلها وضبطها، لا جينياً ولا ثقافياً؟ وغيرها كثير من الأسئلة التي لا نزعم في هذا الملف القدرة على إيجاد أجوبة حاسمة لها بقدر ما نحاول سوياً استعراض بعض التجارب العربية العائلية المميزة، على المستويين الأدبي والفني، لاستجلاء آفاقها وتفاصيلها، الممكنة والمتاحة. ففي التفاصيل تكمن مفاتيح الأجوبة، وشياطينها أيضاً، إذا ما تعلق الأمر، بجنون الإبداع وسياقاته المتفردة.



أسر علمية في السعودية ودول الخليج العربية واليمن



المجلة العربية: الرياض

يكفي أن نقول (بلاد الحرمين الشريفين)، لنعرف أن هذه البقعة الواسعة من الأرض حباها الله نعمة الإسلام، الذي شع بنوره ليبدد الجهل ولينتشر دين الله القويم وتوقد شعلة المعرفة، ليس في هذه البقعة المحدودة فحسب؛ بل في كافة أنحاء العالم، ومن هذا المنطلق لم يكن مستغرباً مطلقاً أن تكون هنالك أسر عرفت برجالها وأيضاً نسائها الذين توشحوا بالعلم، واتسموا بالقدرة على الإبداع وبث المعرفة.

والمملكة العربية السعودية بمساحتها الشاسعة، ومناطقها المختلفة، كان لها ذلك الحضور العلمي، الذي اتسم به كثير من أبنائها، وبالطبع كان هنالك كثير من الأسر العلمية، ومع التطور الحديث أصبح في كل بيت رجل أو امرأة حاز على شهادة علمية عالية، ولكن (وهذا ليس بغريب) عرفت كثير من الأسر بالعلم واقترنت به، فحينما نذكر مثلاً أسرة (آل الشيخ) فبكل تأكيد سيتبادر إلى ذهننا الشيخ محمد بن عبدالوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي التميمي، عليهم رحمة الله، الذي نبغ من سلالته حتى يومنا الحاضر عدد كبير من العلماء، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام في كتابه (علماء نجد خلال ثمانية قرون) نحواً من أربعين عالماً من هذه الأسرة.

وقد برزت في نجد بعض الأسر العلمية، أبرزها آل مشرف من الوهبة من تميم، إضافة إلى أسرة القصيِّر، وأسرة آل

إسماعيل وأسرة البسام، وأسرة المنقور وأسرة أبابطين، وكذلك أسرة آل شبانة والسليم وغيرهم.

وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة برزت عدة أسر علمية مثل أسرة آل المالكي والدباغ وأسرة آل شطا، وآل البار، وآل سيف، واليماني، وآل فدعق، وآل الدحلان، والمشاط، والكتبي، والمرداد، والقاري، والزواوي، والفاداني، والعزوز، وآل مدني ومن هذه الأسرة أمين مدني وأخوه عبيد مدني، وإياد أمين مدني والدكتور غازي عبيد مدني، وغيرهم، وكذلك أسرة آل عشقي، إضافة إلى أسرة آل البرزنجي، وآل أسعد، وغيرهم.

وقد نشرت (المجلة العربية) في عددها الصادر 468 لشهر محرم 1437هـ / نوفمبر 2015م دراسة لعثمان الغامدي عن أبرز الأسر العلمية في مدينة الطائف، مثل أسرة آل كمال العلمية التي اشتهر منها الكثير من العلماء والأدباء من أمثال الشيخ عبدالحي كمال المتوفى سنة 1412هـ، والشيخ محمد سعيد كمال المتوفى سنة 1416هـ، علاوة على أسرة آل القاضي، وأسرة آل النجار، وأسرة آل قاري، والقاضي، وأسرة ابن حريب، وآل سراج ومن أبناء هذه الأسرة العلمية حسين عبدالله سراج الأديب الذي عاش بين المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية، وأسرة آل الراضي، وأسرة سنبل، وغيرهم.

ومن غرب المملكة العربية السعودية إلى شرقها وكثير من الأسر وبالذات في الأحساء فقد كان لها امتداد في دول الخليج العربية وكذلك وسط المملكة العربية السعودية، فلا نستغرب أن يكون هنالك أسر في كل من الأحساء وقطر أو البحرين أو الكويت، ونحن نعرف أن مثلاً في دولة الإمارات العربية المتحدة هنالك أسر علمية مثل النعيمي والقاسمي، الأمر ينطبق أيضاً على بقية دول الخليج العربية.

وقد عرفت الأحساء بكثير من الأسر العلمية منها: الخليفة، والزواوي، والعبدالقادر، والعبداللطيف، والعدساني والأسرة هذه أيضاً موجودة في دولة الكويت، والعرفج، والعفالق، والعمير، والماجد، والمبارك التميمي وهي من الأسر العلمية البارزة في الأحساء وفي منطقة الخليج العربي، وقد حافظ الكثير من أفرادها على دراسة علوم العربية والحديث والفقه وهم ينتسبون إلى جدهم الشيخ مبارك بن علي بن محمد بن قاسم بن حمد بن سلطان التميمي ومن مشاهير شعرائهم الشيخ عبدالعزيز ابن الشيخ حمد المتوفى عام 1359هـ، ومن أعلامهم المؤرخ الشيخ يوسف بن راشد المتوفى عام 1416هـ، وأخوه الأديب الشاعر الأستاذ أحمد المتوفى عام 1415هـ، ومن علمائهم المتأخرين الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم المتوفى عام 1404هـ. وأما علماؤهم وأدباؤهم المعاصرون فهم: الشيخ عبدالرحمن والشيخ أحمد سفير المملكة العربية السعودية في عدة دول عربية وأجنبية والسفير في وزارة الخارجية، ويعد من أبرز أدباء ومؤرخي المنطقة، ومن الأسر أيضاً المزيدي، والملا وتتجاوز شهرة هذه العائلة حدود منطقة الخليج... وأنجبت هذه الأسرة عبر خمسة قرون عدداً كبيراً من العلماء والأدباء، ومن الأسر النعيم، وبني النجار، وغيرهم.

من جانب آخر برزت عدة أسر علمية في مدينة القطيف من ضمنهم أسرة آل نصر الله وهي عائلة معروفة بالعلم والأدب، وأسرة آل عمران، وأسرة آل عبدالجبار، وأسرة الخنيزي، والجشي، والعوامي، والمرهون، وغيرهم.

وبالنسبة لشمال المملكة العربية السعودية وجنوبها فهناك كثير من الأسر العلمية، ففي الجنوب نجد أسراً مثل الحازمي والبهكلي والحكمي وغيرهم في جازان، وفي عسير توجد أسر الحفظي والنعمي، ويسكن آل الحفظي في رجال ألمع. وتعد هذه الأسرة من أشهر الأسر العلمية في عسير. وقد كانوا مقصداً لطلبة العلم الذين يقصدون المدرسة الحفظية من أنحاء الجزيرة العربية. وقد ألف رجال هذه الأسرة العديد من المؤلفات الدينية والأدبية والتاريخية، ولهم الكثير من الشعر في مختلف الأغراض، وفي شمال المملكة نجد أسرة العطوي والشمري إضافة إلى بعض الأسر التي تنتمي إلى قبائل كبرى في المملكة.

وهنالك كثير من العلماء توزعوا بين المملكة واليمن وتحديداً حضرموت مثل أسرة آل السقاف، وآل العطاس، وآل المحضار، وآل الجفري، وآل الحبشي، وآل الحداد، إضافة إلى أسرة آل شرف الدين، ومن الأسر الوزير، والشامي، والأهدل، وغيرهم.

وهنالك كثير من الأسر العلمية في المملكة ودول الخليج العربية واليمن، قد يتجاوز عددها الآلاف تحتاج لرصد موسع، حيث إن هنالك بعض الآباء مثلاً دخل عالم الثقافة والأدب فارتبط به أبناؤه، وخير مثال عبدالقدوس الأنصاري الذي أسس مجلة المنهل وورثه ابنه نبيه ثم حفيده زهير، ولا ننسى الرائد الكبير أحمد السباعي، الذي أورث حب العلم لأبنائه فعرف الجميع ابنه الدكتور والكاتب زهير السباعي وابنه الصحفي أسامة السباعي.

ربما كان موضوع الأسر العلمية والفنية، في الوطن العربي وتحديداً في المملكة العربية السعودية واسعاً ومتشعباً كتشعب العلوم والآداب، وكل مجال منها يحتاج إلى قضية خاصة، فهنالك علماء الدين، وهنالك الأدباء، والمؤرخون، ولكن هذه نافذة تطل على بعض تلك النماذج المثمرة من أهل العلم والثقافة.

العوائل الفنية

قصة لم تكتمل



آدم العلي: الرياض

العائلة الفنية، ظاهرة موجودة في كل الأوساط الإبداعية والفنية والإعلامية في العالم، والوسط الثقافي السعودي ليس استثناءً.

من الممكن أن يضع فنان لبنة أولى في عالم الفن ثم يلحق به أعضاء آخرون من نفس العائلة للعمل إما جماعياً أو فرادى، متكئين على الموهبة لتكون المحرك الأول، لقيام وانتشار وشهرة هذه العائلة الإبداعية أو تلك.






الأنموذج الأبرز

عربياً، يظهر اسم الرحابنة في لبنان كمثال بارز على التكامل العائلي في مجال الفن. الزوج عاصي الرحباني يلحن، والزوجة فيروز تغني، وإلى جانبهما أخو الزوج منصور والأخ الأصغر إلياس، ثم يظهر لاحقاً الابن زياد عاصي الرحباني ليكمل المشوار مع فيروز، بينما يتجه أبناء منصور إلى التلحين ومجالات فنية أخرى، في قصة عائلة فنية بدأت منذ نهايات الخمسينات وبداية الستينات وقدمت العديد من المسرحيات الغنائية والتعاونات الفنية مع نجوم كبار أمثال وديع الصافي وملحم بركات ونصري شمس الدين وآخرين وصولاً إلى زمننا الحالي؛ حيث تستمر هذه الأسرة بفرعيها (عاصي ومنصور) في اكتشاف المواهب الصوتية وتقديمها للساحة الغنائية اللبنانية العربية.

عائلة بكر يونس

وإذا كانت العائلة الرحبانية (النموذج)، قد اتخذت مساراً متكاملاً يدور حول محور واحد هو الموسيقى والغناء، فإن تجارب العائلات الفنية في السعودية اتخذت المسار الآخر هو التنوع في مجال الفنون، وهنا يظهر اسم عائلة الإعلامي الراحل بكر يونس كمثال تحتفظ به ذاكرة الفن والإعلام السعودي منذ ما يزيد على الخمسة عقود.

البداية كانت مع الأب الذي عمل مذيعاً وتقلد مسؤوليات إدارية مرموقة في التلفزيون السعودي إبان انطلاقته عام (1962). في نهاية السبعينات برز اسم سناء بكر يونس كممثلة وإعلامية من خلال مشاركتها في سلسلة الأطفال الشهيرة (افتح ياسمسم)، بينما عملت أختها الإعلامية القديرة دنيا بكر يونس في تقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية منذ السبعينات، وتوجهت وفاء بكر يونس لكتابة القصص للأطفال، أما محمد بكر يونس فتوجه للغناء لكنه اعتزل، لتستمر الأخت الصغرى (الفنانة وعد) في مشوارها الغنائي إلى اليوم.

تجربة عائلة بكر يونس، تمثل واحدة من قصص العائلات الفنية التي ظهرت بفعل الموهبة في مجالات متعددة، وهي تنتمي لهذا النوع من العوائل التي كان للأبوين فيها الدعم الكبير، لكنها لم تأخذ مساراً تكاملياً بقدر ما أعطت كل موهبة فيها الحق لأن تحقق وجودها في المسار الذي تريد.

يظهر اسم عائلة الإعلامي الراحل بكر يونس التنوع في مجال الفنون كمثال تحتفظ به ذاكرة الفن والإعلام السعودي

رأفت طلال مداح

تجربة عائلية أخرى ظهرت في الثمانينات والتسعينات وهي عائلة الفنان طلال مداح، عندما قرر أحد أبناء الفنان السعودي الكبير وهو رأفت أن يتجه في طريق والده الغنائي إلا أن هذا الخيار لم يكلل بالنجاح وسرعان ما اعتزل الفنان رأفت طلال مداح تاركاً ألبوماً غنائياً يتيماً بعد أن تعرض لنقد شرس من نقاد تلك المرحلة، وكانت بطبيعة الحال، قائمة على المقارنة بين صوت الأب البارع في الغناء وإمكانات الابن البسيطة.. علماً أن طلال مداح قدم رأفت في حفلات غنائية مبكرة، غير أن المعلومات تشير إلى عدم رضاه عن طرح رأفت لنفسه كمطرب يقدم ألبومات غنائية خوفاً من المقارنة بين الصوتين وفشل الابن وما ينعكس ذلك على شعور الولد الشاب صاحب الصوت الشبيه بصوت والده، ولكن دون تلك الإمكانات الغنائية العالية التي تفرد بها صوت الأرض، طلال مداح.





اللافت أن الألبوم الغنائي الذي طرحه رأفت احتوى أغنية من كلمات أخيه عبدالله طلال مداح، وهنا يظهر سؤال التكامل بين العائلة الفنية مجدداً، فبدل أن يدخل الابن على خط الغناء في سكة تعترض قامة كبيرة كطلال ألم يكن من الأجدر أن يظهر عبدالله طلال مداح بوصفه ملحناً وشاعراً سجل حضوراً في المشهد الغنائي السعودي. لا أحد يدري، ربما كان لهذا العائلة (طلال مداح) مستقبل أطول لو أن المواهب تكاملت ولم تعترض بعض!.

محمد عبده.. سلطة الأب

قصة أخرى شاء لها مؤلفها أن لا تكتمل هي قصة عبدالرحمن نجل الفنان محمد عبده. هذا الشاب الذي طلب منه والده (مؤلف القصة) أن يختار طريق الإنشاد بدل الغناء!، عندما أحس بميول ابنه نحو الفن وعالم الغناء والشهرة. وليس غريباً على محمد عبده هذا السلوك إذا تذكرنا تصريحه الشهير بأن 90 % من الغناء حرام. الأمر الذي يبدد أي تطور لمشروع العائلة الفنية في قصة عبدالرحمن محمد عبده، الذي قدم عدة حفلات لصالح جمعيات خيرية وبعض الأغنيات الوطنية لكن سرعان ما اختفى من الساحة وربما اتجه لمجالات أخرى، وهو الذي صرح في لقاء مع MBC، بأنه يتمنى الشهرة في عالم البزنس ولا أن يقدم أعمالاً غير هادفة!.

قصص ناجحة

على هامش قصص عوائل الفن الشهيرة في السعودية، ثمة عوائل ظهرت واشتهرت على نطاق محدود لكنها كانت موفقة في الجانب التكاملي، كتجربة عائلة قريش في الساحل الشرقي السعودي، نهاية سبعينات القرن العشرين، حيث برز اسم المطرب الفنان حسين قريش الذي ظهر نجمه خلال الثمانينات بدعم من أخيه الموسيقي والملحن علي قريش الذي علمه مبادئ الغناء والعزف، ثم ليكتب له الشاعر عبدالإله قريش أيضاً قصائد غنائية، إلى جوار أعضاء آخرين من العائلة التي لا تزال المواهب الغنائية تظهر فيها وإن كانت بصورة غير احترافية.

الإخوة سعيد.. قصة شبابية

في العام 2015 فاز المخرج السعودي مجتبى سعيد بلقب أفضل مخرج سينمائي سعودي بعد أن فاز في مسابقة برنامج (بعيون سعودية) على قناة MBC1. مقدماً تجربتين سينمائيتين مغايرتين عن كل ما قدم في البرنامج وفق لجنة تحكيم البرنامج، وهما فيلم (بوصلة) وفيلم (ليمون أخضر)، والفيلمان من تأليف شقيق المخرج مجتبى وهو الكاتب والصحافي علي سعيد، الأمر الذي دفع الصحافة لتشير لهذا التعاون الناجح وكأنه عودة لزمن الثنائيات الأخوية في الفن، غير أن ما لم يلتفت له الكثيرون هو وجود الأخ الثالث حسن سعيد، المصور السينمائي المحترف والذي فاز فيلمان من آخر الأفلام التي صورها بجوائز مهرجان الأفلام السعودية، الأول فيلم (بسطة) للمخرجة هند الفهاد، والثاني فيلم (أصفر) لمحمد سلمان والفائز بذهبية الوثائقي عام 2016. من هنا يبرز التكامل الذي يعول عليه الإخوة سعيد بوجود: الكاتب ومدير التصوير والمخرج، وهم أعمدة أي مشروع سينمائي قائم.

طلال مداح ومحمد عبده وحسين قريش والإخوة سعيد وتشجيرات عائلية فنية سعودية أخرى

تفاعلات الحياة الأسرية



محمد محمود البشتاوي: الأردن

وأنت تشاهد (الثلاثي جبران)، سمير ووسام وعدنان، يتناغمون في أداء موسيقي واحد، تتساءل كيف تمكّن هؤلاء الإخوة من التوحد في النغم والشغف على آلة العود، كأنما ثمة عازف واحد في العرض الموسيقي؟!، سؤال قد تجد إجابته في مهنة الوالد الذي عرف بصناعة هذه الآلة الموسيقية الشرقية، وورثها عنه لاحقاً، وطورها، ابنه الأوسط وسام، لكن رحلة الإخوة الثلاثة بدأت فعلياً مع سمير، الذي اشتهر في أواسط التسعينات كمؤلف موسيقي.

ومن الثلاثي جبران في الناصرة العربية، إلى الغرب، وقصة (الأخوات برونتي) في بريطانيا، وإبداعهن السردي، فكتبت (شارلوت) رواية (جين إير)، وإيميلي (مرتفعات وذرنج)، وآني (نزيل قاعة ويلدفين)، كما نظمن الشعر وكتبن القصائد. وعلى عكس (جبران) الذي كان فيها الأب خيط البداية -باعتباره صانعاً للعود-، فورث الأبناء عنه حبّ هذه الآلة، وليس شغف العزف عليها، كان باتريك والد الأخوات الثلاث صانع المعاناة التي تولدت عنها حكايات الألم لدى (الشقيقات برونتي).

ولو انتقلنا إلى الأخوين الألمانيين يعقوب وفيلهلم غريم، لوجدنا أن وفاة والدهما القاضي لودفيغ كارل أثّر كثيراً في حياتهما، إذ اضطرا لأن يعتمدا على قدراتهما الذاتية، فعاركا الحياة ومتاعبها حتى أصبحا يعدّان من أكثر الروائيين شهرة، وشاعت قصصهما في العالم، مثل قصّة سندريلا والأمير الضفدع وبياض الثلج والأقزام السبعة وذات الرداء الأحمر..الخ.

وفي ضوء ذلك، نلتمس تأثير البيئة المحيطة، ونتاج التفاعلات اليومية داخل الأسرة، وتراكماتها، وما تفرزه من تحول في حياة الأبناء، من صقل، وبناء، وتكوين.

وفي قصص الأشقاء جبران، والأخوين غريم، والأخوات برونتي، كان الأب القاسم المشترك الذي مثّل الدافع للتجربة الأولى، أو السبب في تشكّل الصدمة الأولى!

الكاتب التشيكي فرانز كافكا ليس بعيداً عن تأثيرات الحياة الأسرية، إذ إن علاقته المضطربة مع والده، انعكست على أعماله وكتاباته، فتشكلت بذلك صورة الأب القاسي في قصته الطويلة (المسخ)، وتحدث صراحة حول الأمر في (رسالة إلى الوالد)، مشيراً إلى أنه (تأثر تأثراً عميقاً بشخصية والده الاستبدادية المتطلبة). وفي المقابل، فإن الأب ليس عامل التأثير الوحيد، فقد تأتي التأثيرات من أطراف أسرية أخرى، كما حدث مع غاريسيا ماركيز الذي أصبح سارد حكايات أمريكا اللاتينية بفضل جدته التي ملأت البيت بحديثها عن قصص الأشباح والهواجس والطوالع والعلامات، ما حدا به لأن يصفها بـ(امرأة الخيال والشعوذة)، ومثال آخر واضح، جعل من فريدريك نيتشه فيلسوف التشاؤم، وكارهاً للنساء، بسبب سوء والدته، وإهمالها له.



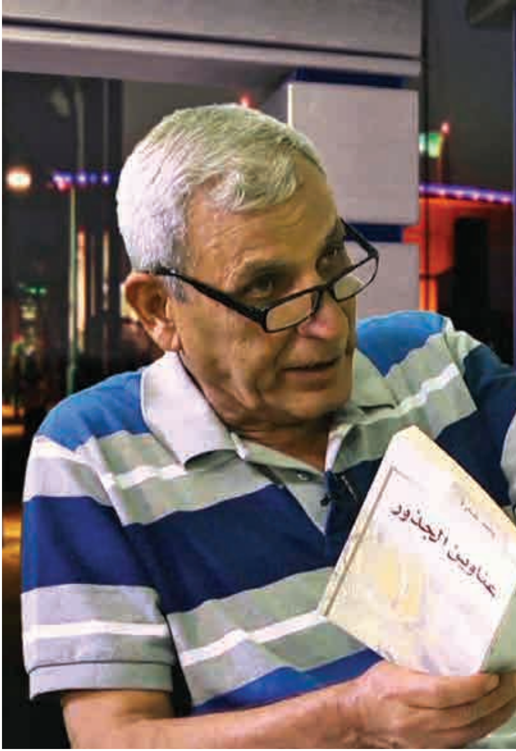
عن المبدعين الأزواج أو الأقارب
هناك طرف مظلوم دائماً



جعفر العقيلي: الأردن

لم أكن أعلم أن زواجي من كاتبة مثلي ستكون له ضريبتُه، فبعد أن كان من الطبيعي والمألوف أن تتجاور نصوصنا وموضوعاتنا في مجلة ما، أو ملحق ثقافي لإحدى الصحف، أصبح هذا متعذراً إلى حد كبير بعد زواجنا، ولسان القائمين على هذه المجلات والملاحق واحد: (إما أنت أو هي، أما أن تنشرا معاً في العدد نفسه فهذا مما سيثير الانتقادات). وبلغ بي الأمر في إحدى المرات أن صرختُ في وجه محرر قام بتأجيل موضوع لي بعد أن طلب مني ومنها المشاركة في ملف ثقافي: (كأنك تقصد أننا لن نكون معاً في الملفّ إلا إذا لم نكن معاً في البيت!)، فانفجر في الضحك وهو يحدّثني عن أعين المتربصين الذين سيبطشون به في حال حوّل صفحاته إلى (مزرعة عائلية).







ولاحقاً، حين توليتُ الإشراف على ملحق ثقافي أسبوعي لصحيفة يومية، التزمتُ بهذا النهج ولم أخرج عليه، فإذا ما تلقيتُ موضوعاً للروائي محمد سناجلة وموضوعاً آخر للقاصة جواهر الرفايعة، أختار منهما واحداً للنشر، وأؤجل الثاني إلى ما شاء الله، بحجّة أنهما زوجان، ولا يجوز أن يتجاوروا هنا! وعليهما -بوصفهما صديقين للعائلة- أن يتفهما موقفي كما اضطُررت إلى تفهم موقف الآخرين الذين سبقوني!

الأنكى أنني أصبحت مهتماً بالبحث في طبيعة العلاقات بين أصحاب النصوص قبل نشرها، فتشكّلت لدي قائمة بالأدباء الأشقاء، أو أبناء العمومة أو الخؤولة، أو الذين ينتمون إلى أسرة واحدة. وأبعد من ذلك، امتدّ نهجي في (المباعدة درءاً للشبهات) ليطال أيّ كاتبين لهما اسم العائلة نفسه وإن لم يكونا أقارب، وفي بلادي ما أكثر العائلات متشابهة الأسماء! وما أزال أذكر ما حدث في مسابقة للأدباء الشباب أشرفت عليها، فبعد أن أقرت لجنة التحكيم النصوص الفائزة من دون معرفة أصحابها، اكتشفنا أنّ المركزين الأول والثاني ذهبا لكاتبتين لهما اسم العائلة نفسه (نيرمينة الرفاعي، وضحى الرفاعي)، فشعرتُ ببعض الحرج وخشيتُ من الاتهامات التي لا ترحم، والحمد لله أن الأمور مرت على خير حين شاهدنا الكاتبتين تتعرفان إلى بعضهما بعضاً في حفل التكريم، فقلّ منسوب الحرج الذي تلبّسني بعد قرار اللجنة.

وفي إحدى التظاهرات الثقافية التي كنت من بين القائمين عليها، تحاشينا اتخاذ قرار بمشاركة الشاعر محمد ضمرة والقاص يوسف ضمرة معاً. وكان علينا أن نضحّي بأحدهما لأنهما شقيقان، ويكفي واحد منهما لتمثيل العائلة!

التحدي الأكبر الذي يواجه العاملين في الإدارة الثقافية والإعلام، هو عند التعامل مع أسرة من الكتّاب مثل (آل العامري)، فهناك الشاعر والتشكيلي محمد العامري، وشقيقه الشاعر علي العامري، وشقيقهما الثالث التشكيلي جهاد العامري، وهناك الشاعر عمر العامري. فعندما يتعلق الأمر بكتاب (مختارات شعرية) أو نماذج من الفن التشكيلي الأردني مثلاً، ستكون (القرعة) هي الخيار الأسلم.

في سياق متصل، سرعان ما تنفتح شهية المرء لإجراء المقارنات عند التعامل مع اسمين بينهما أواصر قربى، فما إن تسمع اسم تميم البرغوثي سيتبادر إلى ذهنك المقارنة بين شاعريته وشاعرية أبيه مريد البرغوثي، أو ربما تطرح السؤال: أيّهما أكثر إبداعاً، مريد الشاعر، أم زوجته الروائية (الراحلة) رضوى عاشور، أم ابنهما تميم؟

ما إن تسمع اسم تميم البرغوثي سيتبادر إلى ذهنك المقارنة بين شاعريته وشاعرية أبيه مريد البرغوثي أو ربما تطرح السؤال: أيهما أكثر إبداعاً؟





وهو ما يتكرر عندما ترى إحدى لوحات الفنانة تمام الأكحل، إذ سرعان ما تستذكر منجَز زوجها (الراحل) إسماعيل شموط، واضعاً إياهما في مربع المقارنة أيضاً، وهي المقارنة التي لن تفطن إليها لو أنهما لم يكونا متزوجين!

ومن الطريف في صلات القربى بين المبدعين وتشابه أسمائهم أو أسماء عائلاتهم، أن هناك أدباء تماهوا مع بعضهم بعضاً إلى حد أن المرء لم يعد يذكر الاسم الأول لأيٍّ من هؤلاء، مكتفياً بالعائلة، وخير مثال على ذلك (الياغيان)، في إشارة إلى عبدالرحمن ياغي وهاشم ياغي، وكلاهما عملا في الحقل الأكاديمي الجامعي ونشطا في الوسط الثقافي وتوليا مناصب إدارية في رابطة الكتاب الأردنيين، وأحدهما أصبح رئيسها، ولو سألتني الآن هل ترأسها د.عبدالرحمن أم د.هاشم، لتلعثمتُ في الإجابة. وكثيراً ما خلط باحثون شباب بين الشقيقين، فنسبوا أحد كتبهما إلى الآخر!

وأتذكَر أيضاً ما حدث حين توليت إدارة تحرير مجلة شهرية للأطفال تصدرها وزارة الثقافة، إذ لم أتردد في (ظلم) زوجتي أنا الآخر بعدم النشر لها، وهي الكاتبة التي نالت جوائز عربية في مجال الكتابة للطفل، وكنت أعتز بسلوكي هذا خلال اجتماعات هيئة التحرير، مشدداً على أن ما أقوم به يمثل أعلى معايير النزاهة! ولأن (الأيام دول)، فقد شغلت زوجتي عضوية هيئة التحرير في المجلة نفسها بعد ذلك بسنة، فانتقمتْ لنفسها مؤكدة لي أنها تسير على خُطاي في (إرساء دعائم النزاهة)!

وأخيراً، لاحظتْ الكاتبة التي صودف أنها زوجتي، أنني حين أضطر إلى إشراكها في ملف ما في الملحق الثقافي الذي أشرف عليه، فإنني أضع موضوعها في آخر الصفحة أو نصفها السفلي دائماً، وحين يتعلق الأمر بمجلة أشغل عضوية تحريرها، فلا أتردد في وضع موضوعها في الصفحات الأخيرة، خشية أن يقال إني أحابي. وربما ساعدني الحرف الأول من اسمها (هيا صالح) في أن أبرر ذلك باعتماد الترتيب الألفبائي للأسماء، ولكن هل كان سلوكي سيتغير لو أن اسمها يبدأ بحرف الألف مثلاً؟ أنا متيقن أن لا. وسأجد حجّة أخرى أبرّر بها ما أقوم به، فغضبها عليّ أهون كثيراً من أن يقال في الوسط الثقافي: (لأنها زوجته، فتح لها صفحاته، ووضعها في الصدارة)!

التحدي الأكبر الذي يواجه العاملين في الإدارة الثقافية والإعلام هو عند التعامل مع أسرة من الكتّاب مثل (آل العامري)


المجلة العربية
العدد 475

ما كل مهنة تورث والجينات بخيلة أحياناً

نسرين طرابلسي: سوريا

غالباً ما كان ينطوي تغيير يافطة محل لحرفة متوارثة إلى نوع آخر من الأعمال التجارية على بعض الحزن. أذكر بعد وفاة آرتين فنان الموزاييك، قلب أولاده المحل إلى سوبرماركت عصري ليبيعوا فيه المواد الغذائية. وبعد أن كان محلاً فريداً في الحارة يمنحها رسوخاً تاريخياً لحرفة راقية تزين البيوت وتتوارث قطعها الأجيال، وتنتقل من بيت إلى بيت محافظة على قيمتها، معتقة بذكرياتها، يرتفع سعرها كلما لمستها أكثر يد الزمان. أصبح دكاناً كالعشرات من الدكاكين التي تبيع اليوميات الاستهلاكية، التي تختفي كأن لم تكن في المعدة وفي الثلاجة.

لعل أحداً من أولاده لم تنتقل إليه جينات الفن والصبر وطول البال الذي تتطلبه هذه الصناعة. وقد نفهم هذا جيداً، وربما من الأفضل أن تترك ذكرى طيبة حول مهنتك عوضاً عن أن تورثها لمن يشوه السمعة.

في عائلتي نتوارث شغف اللغة من جهة الأب، جينات الفصاحة والتمتع بالحرف. أعمامي لهم صولات في ساحة الشعر والقصة والنقد الأدبي. لم يرث أحد من أولادهم تلك الجينات، بل كان من حظّي أنها تسللت إلى دمي.

حين أهديت عمي د. أمجد الطرابلسي كتابي الأول، كانت يداه ترتجفان من الباركنسون (الشلل الرعاش) لكنه كان سعيداً ناقشني بهدوء حول الأفكار، وفهمنا على بعضنا حين وجه لي انتقاداً قاسياً ملفوفاً بمخمل الخبرة. كنت جيناته أمامه، حاملة الأمانة. وبودّ الندية بين أولاد الكار، أهداني لأول مرة مؤلفاته في النقد وديوان شعر. بعض من أشكال الإبداع الإنساني في العالم هو المطبخ الشامي، كل امرأة سورية ترث عن والدتها وجدّتها فن الطهي. أحياناً ملعقة بنّ صغيرة تضيفها إلى تتبيلة اليالنجي أو رشة سكر فوق الفول الأخضر يمكن أن تصنع فرقاً هائلاً في الطعم واللون والنكهة والرائحة. بعض الوصفات مازالت تندرج تحت بند قدس الأقداس أو سر الأسرار. منطقياً قد لا يقنع أحداً أن قشرة بصلة مشتعلة توضع وسط القدر يمكن أن تمنح اللحم نكهة الشواء، أو أن ورقة من شجرة من نارنج توضع في الرز بحليب تمنحه نكهة عطرية أزكى وأشهى من مسحوق الفانيليا المصنع والمتعارف عليه عالمياً في صناعة الحلويات.

اكتساب المهارة هنا لم يكن مجرد إرث لعائلة واحدة. إنه إرث مدينة كاملة، تستدل على مفاتيحه من دفتر أزرق صغير تجمع فيه والدتي الوصفات المتعددة لطبق واحد. دفتر عمره أكثر من خمسين عاماً. وتجد فيه مثلاً أكثر من عشر طرق للكيك الإسفنجي بعدد السيدات اللاتي ذاقت أمي من أيديهن ما لا ينسى من اللذائذ، الفروق قد تكون تفصيلاً لا يكاد يذكر يصنع فرقاً كبيراً. إضافة برش قشر البرتقال أو خفق البيض كاملاً أو فصل الصفار عن البياض أو خفق البياض مع السكر على حدة أولاً.. ما لا نهاية له من التفاصيل ليخرج الكيك منفوشاً وثيراً يسيل لعاب العين والروح قبل اللسان. ذقت أطباق المحشي حول العالم، ومازلت أصر على أن أضيف منقوع التمر الهندي للمرق لإضفاء اللون الداكن والطعم الحامض، كما كانت أمي تفعل، وبشّرت بهذا الفعل المحمود في مطابخ كل من عرفت، أطرب حين أسمع الآهات، وصار أتباعي بالمئات.

كان «الأخوين طباخ» أول مصورين فوتوغرافيين في حي القشلة بدمشق القديمة. حين كان «الفوتوشوب» في تلك الأيام «رتوشاً» يقوم به المصور، يصحح العيوب، يصغر الأنوف، ويجعل كل العيون أفتح بدرجتين من لونها الأصلي. وكانا أول من أدخل صرعة صورة المنظر الطبيعي خلفية للصورة. ملصق كبير في الأستوديو لشاطئ ممتد ونخلة مائلة. جعل كل أهل الحي يتهافتون لالتقاط صور أمامه وكأنهم جميعاً سافروا إلى نفس المكان. قد يبدو هذا ساذجاً اليوم، لكنه كان تقليعة رائجة حينها.

بعد وفاتهما حاول أولادهما الذكور المتابعة في المهنة. استورد الأولاد أجهزة التحميض الإلكترونية والتصوير الفوري من الصين، وبقي ينقص الصور الجديدة شيء ما. خسر المشروع على الرغم من تعهدهما لتصوير الحفلات والأعراس. بعض المهن تحمل سرها في روح أصحابها، لا تنتقل ولا تورّث. خصوصاً في التعامل مع الزبائن، البشاشة والدماثة وحلو اللسان، مهارات لا تجدها إلا في أسواق دمشق، ولا تشير لها كتب الإدارة وعلم الاقتصاد.

بعض من أشكال الإبداع الإنساني في العالم هو المطبخ الشامي.. كل امرأة سورية ترث عن والدتها وجدتها فن الطهي

سر الخطاط الدفين



فادي عزام: سوريا

الخط العربي واحد من أبدع الفنون عبر التاريخ، فهو الخط الوحيد الذي يتحول شكله لموسيقى. كان لهذه المهنة في الحواضر الإسلامية (شيوخ كار)، معلمون كبار حفظوا أسرار الخط وقدراته، وتواتروها عبر أبنائهم وعائلاتهم.

هذا المهنة مثل الكثير من المهن، كان صاحبها يورّثها

إلى ابنه البيولوجي، ولكن أحد عباقرتها كسر هذا الاحتكار.

في تاريخ هذا الفن الرائع تتمرأى للمتابع حكايات إنكار لمعلمي الخط الكبار وعباقرته الأوائل، الكثير من المهتمين حتى من أهل الاختصاص بالكاد سمعوا عن ابن مقلة أو ابن البواب أو ياقوت المستعصمي. حتى انبرى أخيراً الكاتب الألماني من أصل سوري، رفيق شامي، بتكريم أهل هذا الخط ومعلميه في كتابه الرائع الذي لم يأخذ حقه حتى اليوم (قرعة جرس لكائن جميل) الصادر بالعربية عن دار الجمل 2012. وفي هذا الكتاب خص رفيق شامي العبقريَّ ابنَ مقلة بأسفار مثيرة لحياته ومهنته وعصره.

إن من يتبع تاريخ المهن والحِرَف عليه أن يدرك أنها لم تُتوارث عن عبث، بعضها كان يخصّ عائلات بعينها والأخرى تخصّ موهوبين أو حرفيين، ولكل مهنة تاريخ من النضال والألم والأبطال والدراما، تضيء الكثير من تاريخ الإنسان نفسه وصراعه مع الحياة.

ابن مقلة شهيد الخط العربي، تتلمذ على يد أبيه وجده. لكنه قرر أن يقوم بالمحظور، فأسس مدرسة للخط، أفشى فيها الأسرار لتلامذته، فتعرض لمحنة لم يشهد مثلها التاريخ. نقل التوحيدي بعض ما قيل عن ابن مقلة: (أُفرِغَ الخطُّ في يده كما أوحي إلى النحل في تسديس بيوته).

ولد هذا العبقري في عام 272 للهجرة في بغداد، تتلمذ في العائلة وعمل في النسخ، حتى لقيه الخطاط البارع أبو حسن بن الفرات، الذي عمل وزيراً لدى الخليفة.

فضمه للقصر، وأسند إليه مهنة تحتاج إلى الخط، وتكفل لصاحبها حسن الموارد، فعمل محصلاً للضرائب، ومسؤولاً عن النساخين. فما كان يُطبع في بغداد من كتب في ذلك الوقت يعادل ما تطبعه أوروبا مجتمعة.

وصف الثعالبي خطه بأنه (يضرب به المثل في الحسن، ما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر).

يذكر رفيق شامي أن ابن مقلة لم يقم بتحسين وتطوير أكثر الخطوط كالثلث والنسخ فحسب؛ بل أسس قواعد علمية لضبط المقاييس والأبعاد التي ما تزال سارية حتى اليوم.

كان ابن مقلة يسعى إلى التوصل لإصلاح الخط بجعله واضحاً ومتناغماً، وأيضاً كانت لديه الجرأة والعلم لخلق أبجدية جديدة قادرة على أن تجمع أصوات لغات الأرض اعتماداً على الخط العربي.

كتب ابن مقلة الدراسات، وحاضر واشتغل على نظريات بعمق الخط، ولكن للأسف تم استغلالها في صراع سياسي وديني لذلك العصر.

في البداية أعجب به الخليفة الراضي، ما أثار عليه سخط العديد من أهل النفوذ. وبالمكيدة والتحريض الخفي تم زجه في السجن بتهم التجديف والكفر. صودرت ممتلكاته وأحرقت مخطوطاته وعذب ونكل به، والأهم من كل هذا قطعوا يده اليمنى كي لا يعود لرسم الخط.

ندم الخليفة على ذلك، فأمر طبيبه بمعالجته، وعاد ابن مقلة إلى حبره وريشته. يذكر شامي من المصادر ألم ابن مقلة، حتى بعد أن ردّ له الخليفة الاعتبار، فيقول: (يدي خدمت بها ثلاثة خلفاء، وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين؛ تُقطع كما تقطع أيدي اللصوص!).

وبدلاً من الاستسلام لليأس، اخترع رابطاً ثبت به الريشة على معصمه، وبدأ يخط من جديد، يحاول مراسلة تلاميذه عبر الحمام الزاجل، ونشر أفكاره ومشاريعه بكل ما لديه من عزم وإصرار. أسس أول مدرسة لهذا الفن، ليهب علمه للجميع كاسراً احتكار شيوخ الكار. كان يملي على تلامذته ما يعرفه، يصوب لهم، يعطي بدون حساب كل ما اختزنه في داخله من معرفة. وهنا تتدخل السلطة والحساد من جديد، ليسجن ويتمّ هذه المرّة قطع لسانه كي لا ينقل معرفته إلى أحد. وينفى ليموت وحيداً في واحة مجدبة.

إعادة سيرة هذا العبقري، ومحنته؛ ألهمت تلامذته الممتدين عبر الزمن. أخلاقه في كسر احتكار المهنة، وبث أسرارها لخير الناس؛ جعلته شهيد هذا الفن الحي.

تكريم هذه المهنة وشيخها قام به رفيق شامي بكتابه الساحر (قرعة جرس لكائن جميل). وأيضاً لفهم كيف تورث المهن وأسرارها، كتب رفيق شامي أيضاً رواية معاصرة بالألمانية، ترجمت لأكثر من عشر لغات حية، بعنوان (سر الخطاط الدفين). ومن المفارقات المحزنة أن هذه الرواية لم تجد بعد من يترجمها إلى لغتها الأم.

لكل مهنة أسرارها، وطقوسها، وورثتها؛ ولكن أخطرها على ما يبدو هو سر الخط، وما يختزنه في جسد اللغة من روح الكلام.

لكل مهنة أسرارها وطقوسها وورثتها ولكن أخطرها هو سر الخط وما يختزنه في جسد اللغة من روح الكلام

الرحابنة
نموذج التوريث المتصاعد

منى كيوان: سوريا

وراثة المهن ليست حصراً بالأعمال اليدوية، أو المهن الحرّة، كالهندسة والمحاماة؛ بل إن هذا المفهوم كان له حصته في مجال الثقافة. وأبرز مثال عربي على ذلك، هم ورثة (الأخوين رحباني). فالرجلان يعتبران من الرواد في مجال الموسيقى والتلحين والكتابة، وهما أول من يخطر في أذهاننا عندما نود الحديث عن عائلة فنية لبنانية، أبدع



أغلب أفرادها على مر ستة عقود في مجالات الموسيقى، المسرح، التلفزيون والسينما، مع ارتباط اسمهم بسفيرة لبنان إلى النجوم السيدة فيروز.

يمكن الجزم أن السبب الرئيس في استمرار أعمالهم، يعود إلى مواكبتهم الدائمة وفهمهم لمتغيرات العصر، وإضافة كل ما هو جديد بطريقة سلسة، وباستخدام اللغة البيضاء الآتية من المجتمع الذي احتكوا فيه وعاشوا ضمن فئاته. وعلى الرغم من توارث الموهبة في أسرة الرحابنة، إلا أن كلاً منهم أغنى الموسيقى والمسرح بشيء من شخصيته ورؤيته وبصمته الخاصة في مجاله، وكل ذاك كان مكللاً بالعلم والعمل الدؤوب للمحافظة على المستوى الذي يرضي (الأخوين) والذوق الفني المطلوب. لذا مازال اسمهم ختماً ملكياً يدمغ أي عمل فني جذاب يدهش الجمهور ويدفعه للوقوف أمام سر إبداعهم وريادتهم في عالم التأليف الموسيقي.



بدأت بوادر التشجيع الفني من حنا الرحباني (القهوجي)، عازف البزق في أمسيات المقهى الذي أنجب ثلاثة صبية وفتاة (عاصي، منصور، إلياس وسلوى). أخذ هؤلاء عنه ولعه بالموسيقى ومفاتيحها. وورثوا عن جدتهم لأمهم نسج الحكايات والخرافات الشعبية التي كان لها تأثيرها الحاد والبالغ في أعمالهم، خصوصاً المسرحية. وكانت فرصة مضافة للموسيقى أيضاً.

وعلى الرغم من الصعوبات المعيشية التي واجهها الأخوان عاصي ومنصور، من ضيق العيش وعدم وجود الداعم لهما في بداياتهما إلا أنهما استطاعا عبور طريقهما بشق النفس. ومن تجربة الرحابنة نجد أن عوامل كثيرة تضافرت لتكون نموذجاً حياً لدور البيئة والظروف المشجعة لصقل الموهبة، فالهبة الموسيقية خلقت عند الأخوين رحباني (كما يلقبون)، فقد عاشوا الظروف الصعبة نفسها، ولكنهم رغم ذلك استمروا بالنضوج في ظل عقبات وتحديات متنوعة، على عكس ما حدث مع أولادهم الذين تجرعوا الموسيقى بتوجيه والديهم ومباركتهم، فكانت ضرورة معيشية كالخبز اليومي لتصبح موجودة في اللاوعي، كما ذكر الموسيقي أسامة الرحباني نجل منصور، في أحد اللقاءات، وشدد على أن كافة الظروف التي أحاطت بهم متجلية بالآلات الموسيقية وأساتذة السولفيج، فضلاً عن حضور تدريبات المسرحيات واللعب على خشبة المسرح عوضاً عن الحدائق كأقرانهم، والحث الدائم من آبائهم على قراءة الأدب وتاريخ الموسيقى الشرقية والغربية، والتعليم والصقل الممنهج لموهبتهم من خلال الالتحاق بالجامعات والمعاهد العالية للموسيقى؛ كل ذلك أدى إلى نشوء الجيل الرحباني التالي متمثلاً بزياد وريما ابني عاصي، وأسامة نجل منصور وغسان نجل إلياس، ليسلكوا طريق آبائهم الفني، فهنا بذرة الموهبة نمت في أخصب تربة فنية على الإطلاق. كل هذه الرعاية أدت بالجيل الرحباني اللاحق لحمل شعلة (الأخوين رحباني)، والاستمرار بخطاهم لتبني قضايا المجتمع اللبناني في مسرحياتهم وأغانيهم، وحديثاً بافتتاح أكاديمية الموسيقى التي أسسها غسان الرحباني. كل هذا سعياً لإيصال الأفكار البناءة بطريقة الكلمة البسيطة والإيقاع السلس لتخريج أجيال عربية من مدرسة الرحابنة، واعية لقضاياها، وناشرة للسلام، في زمن كثرت فيه أصوت الرصاص ورائحة البارود.

استمرار أعمال الرحابنة يعود إلى مواكبتهم لمتغيرات العصر وإضافة الجديد بسلاسة وبلغة بيضاء آتية من المجتمع الذي احتكوا فيه وعاشوا ضمن فئاته

معلوف
العائلة التي بدأت الحكاية

جهاد أبو هاشم: الرياض

يبقى الحديث عن العائلات الأدبية ناقصاً، ولا يستقيم بغير الكتابة عن عائلة معلوف، الذين جمعهم القلم، وخلدوا أسماءهم في سماء الأدب والثقافة، عبر ألف قصيدة وقصيدة، ومجموعة فريدة من روائع الروايات والمؤلفات والنصوص الباقية إلى يومنا هذا.

(المعالفة) كما يحلو للبعض تسميتهم، هم عائلة لبنانية عريقة، اشتهرت بأنها ولادة للأدباء والشعراء، تمتد جذورها للغساسنة.

كان الأدب نبتة العائلة التي لعبت دوراً في النهضة الثقافية العربية، فكانوا عائلة أدبية منفردة بسمات خاصة، وإنتاج أدبي يعد ذخيرة للأدباء والمثقفين.

ورغم أن العيش في المنفى والمهجر أخذ (المعالفة) بعيداً عن وطنهم، إلا أنه كان حاضراً وبقوة في أشعارهم وكتاباتهم.

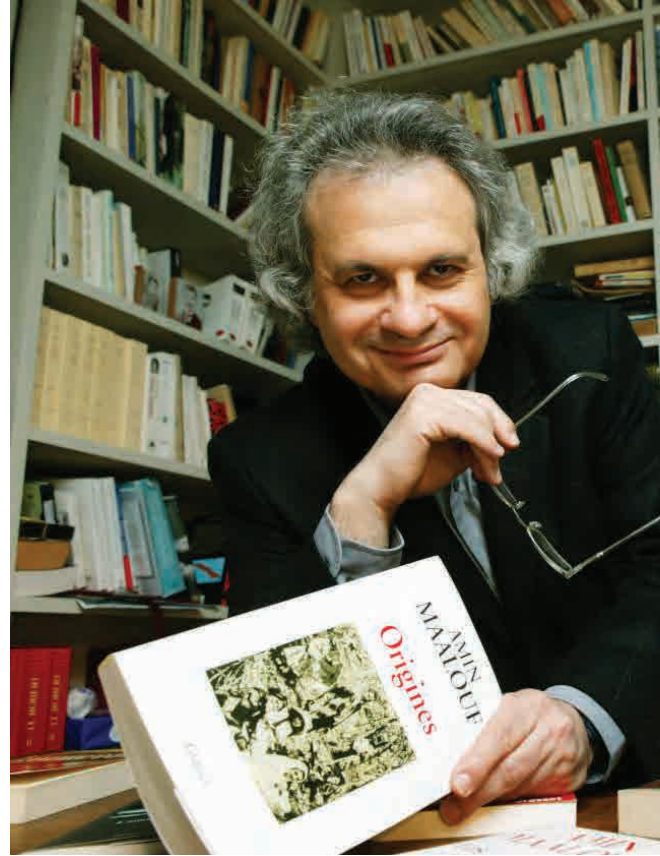
(هذه الصور كتبتها بسواد العين، كيف لا، وأنا شدتني إلى لبنان أواصر الرحم، وحبال الشوق، بعد ما هجرته زمناً، فراودتني أحلام العودة إلى زحلة وواديها، ورحت أستعيد ذكريات الطفولة والصبا في الأمس الغابر، فكل صورة منها منتزعة من صميمي وحشاشتي وقلبي وستظل هذه الصور ترافقني طيلة حياتي، إلى أن يطفئ الموت نور حدقاتي ويمحوها).. تلك كانت العاطفة الرقيقة للشاعر الراحل رياض معلوف التي قدمها في كتابه (صور قروية) عن موطنه لبنان.

فرياض، المكنّى بشاعر (الكوخ الأخضر)، هو ثالث الشعراء المعالفة فوزي وشفيق، اللذين أسهما في تجديد القصيدة العربية في الثلث الأول من القرن المنصرم، رافق والده المؤرخ عيسى إسكندر المعلوف إلى مصر ونشر فيها ديوانه الأول، قبل أن يهاجر إلى البرازيل منتمياً إلى المدرسة الكلاسيكية الجديدة، التي طوّرت شكل القصيدة العمودية ومضامينها، وأحد أعضاء (العصبة الأندلسية) (رابطة أدبية أسسها خاله ميشيل المعلوف في سان باولو).

(الكآبة) بدورها هي التي استحوذت على فوزي، وتبدو بارزة في شعره الوجداني المفعم بروح التشاؤم، ومن آثاره: سقوط غرناطة، شعلة العذاب، أغاني الأندلس، من قلب السماء، على بساط الريح.

أما ضلعهما الثالث، شفيق، صاحب (ملحمة عبقر)، فكما يصفه الشعراء هو فرع باسق من دوحة الأدب المعلوفية، بدا واضحاً تأثره بالمعري في رسالة الغفران، وقد تولى رئاسة العصبة الأندلسية خلفاً لخاله ميشيل، وله مؤلفات وأشعار حافظ عليها الإعلام الجديد في عصرنا الحالي، ومنها دواوين: لكل زهرة عبير، نداء المجاذيف، سنابل دارغوث، عيناك مهرجان، ستائر الهودج، ومجامر العنادل.

هذا ليس كل شيء، فالخال الآخر قيصر المعلوف، صاحب القصيدة الشهيرة (عليا وعصام)، لا يقل شأناً عن سابقيه، فهو رائد الصحافة العربية في أمريكا الجنوبية،



الذي أصدر صحيفة عربية هناك باسم (البرازيل)، وربما الجو الأدبي المميز الذي أتاحته له العائلة، سمح له بتفتق عبقريته في سن مبكرة، حتى قيل إنه كان يجيد القراءة عن سن الثالثة، وأحسنها في الخامسة، وراسل أباه من جارة الوادي (زحلة) إلى دمشق في الثامنة.

ومن أمريكا الجنوبية إلى أستراليا، حيث نابغة الأدب والتأليف الروائي ديفيد معلوف، والذي قلب المعادلة وغيّر من المسلمات التي يؤمن بها (المعالفة)، باستثناء سيرته الذاتية التي ذكر فيها جذوره اللبنانية في إحدى إصداراته، لم يخصص ديفيد في أعماله الأدبية أي دور لشخصية لبنانية، رغم اعتزازه وفخره بتلك الجذور، ربما لكونه يكتب من منظار العولمة، ليكون أحد (المعالفة) القلائل الذين لم تبرز كتاباتهم حب الوطن وشعور الانتماء.

ولكن، ألا يشوب حديثنا شيء من النقص؟ هذا صحيح، فالحديث عن عائلة معلوف يجب أن يزهو بذخيرة فريدة من التاريخ والسرد، كتبها أمين معلوف، منها رواياته الشهيرة: ليون الأفريقي، سمرقند، حدائق النور، رحلة بلداسار، التائهون، القرن الأول بعد بياتريس، بالإضافة إلى روايتيه اللتين تتناولان لبنان، ألا وهما: صخرة طانيوس، وموانئ الشرق. فضلاً عن مؤلفَين فكريين بعنوان (الهويات القاتلة) و(اختلال العالَم)، وكتاب ينتمي إلى السيرة الذاتية بعنوان (بدايات)، ونصوص أوبرالية مثل: الحب عن بُعد، الأم أدريانا، مأساة سيمون، وإيميلي.

هذا الإنتاج المميز للصحفي أمين، المستنطق للتاريخ، خاصة في مجال الرواية، والتي نقل فيها -ببراعة- تاريخ العرب والشرق باللغة الفرنسية إلى العالم، سوّغ لجائزة الشيخ زايد للكتاب مؤخراً بمنحه لقب شخصية العام الثقافية في دورتها العاشرة، تقديراً لتجربته المميزة، وأسلوبه الأدبي الذي يجمع مفاتن السرد العربي إلى بعض منجزات الحداثة الغربية في الكتابة الروائية وكتابة البحث الفكري.

وأمين معلوف نجمة ساطعة أخرى من نجوم عائلة معلوف. وبطبيعة الحال، فإن تناول تاريخ هذه العائلة وآثارها الفريدة من نوعها يحتاج إلى المزيد من البحوث والدراسات الفاحصة، التي قد لا يتسع لها المقام هنا.

لا يمكنني إلا أن أشيد بما قدمه (المعالفة) للمكتبة العربية والثقافة الإنسانية، الذين تنفسوا الشعر والنثر حتى بات أحد سماتهم الشخصية، وتجرعوا الأدب أباً عن جد، حتى بات عدوى تنتقل بين أفرادها.

إن التفكير بحد ذاته في وجود عائلة عربية (أدبية جداً) -إن صح لنا التعبير- باعث على البحث وراء هذا التميز، وليس من شك أن بيئة ثقافية راقية تلك التي عاشوها، وساهمت في غرس الأدب بكل فنونه وألوانه.

قليلاً ما تجد عائلة أدبية ومثقفة كما هذه العائلة، على الأقل في وقتنا الحاضر، لاعتبارات عدة، فلا البيئة خصبة لغرس هذا الحب، ولا اهتمام منصب على الثقافة والمبدعين، لنغدو كمن يحاول زرع الأرز في رمال النفود، لا ماء ولا جو يسمح بنموه!.

(المعالفة) عائلة لبنانية عريقة اشتهرت بأنها ولادة للأدباء والشعراء تمتد جذورها للغساسنة

العائلات الثقافية

تجليات الوراثة والبيئة

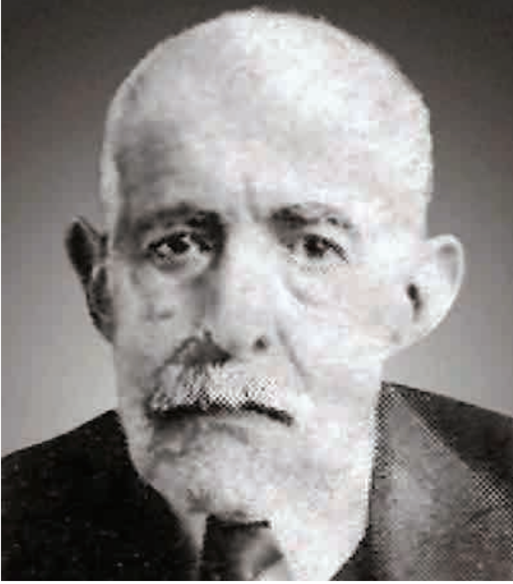


د. ناصر أحمد سنة: مصر

أسر عريقة، يصعب حصرها في سطور معدودة. أسهمت في نهضة الأدب والثقافة العربية الحديثة. وجرى الأدب مجرى الدم بعروقها، وتغلغل في موروثاتها، لتجيب على التساؤلات: هل يمكن توريث الأدب والثقافات كما تُورث الحرف والصناعات؟ وهل يُمكن وراثة (الملكات الفكرية) كتوريث (السمات الجسمية)؟ وهل تُنمي الظروف البيئية الملكات الأدبية والثقافية؟ وهل يشتمل توريث الموهبة توريث قضاياها، واهتماماتها الفكرية والشعورية؟







العائلة البستانية.. المعلم بطرس البستاني

(بطرس البستاني) (1819 - 1883) أديب موسوعي، ومؤرخ لبناني. صنف كتباً في اللغة، والأدب، وترك خطباً، ومقالات. وكُنية (البستاني) لقب لأسرة مارونية أنجبت رجالات بارعين في مجالات عدة، وبخاصة الثقافة. ولد في قرية (الدّبّيّة)، منطقة (الشوف) / لبنان، وتلقى علومه في اللاهوت والفلسفة، وتعلم السريانية، واللاتينية، والإيطالية.. عين أستاذاً في مدرسة (عبية)، وترجماناً للقنصلية الأمريكية ببيروت. وألف أول موسوعة عربية بمنهج حديث: (دائرة المعارف): قاموس عام لكل فن، ومطلب. وأصدر منها ستة أجزاء، وبعد وفاته صدر خمسة أخرى. واشتغل فيها أبناؤه وبخاصة (سليم)، مع نسيبه (سليمان خطار البستاني). كما ألف أول قاموس عربي عصري مُطول: (معجم محيط المحيط) (مجلدان)، ورفعه إلى السلطان العثماني، فنال الوسام المجيدي الثالث.

وأنشأ جريدة (نفير سورية) كأول جريدة وطنية، ودشن مع ابنه (سليم) صحفاً أخرى: (الجنان)، و(الجنة)، و(الجنينة)، و(البيان). كما أسس (المدرسة الوطنية). وأخرج (أدباء العرب) الذي بحث أدباء الجاهلية وصدر الإسلام، ثم الجزء الثاني مشتملاً على آداب العبّاسيين، واهتم الثّالث بالأدب الأندلسيّ وعصر الانبعاث. وأخرج كتاباً عن آثار طائفة من الشعراء والكُتّاب. وكتب (معارك العَرَب) الشهيرة منذ صدر الإسلام. وله كتاب (الشعراء الفرسان) في العصر الجاهلي.

الشيخ عبد الله البستاني.. حجة اللغة

ولد (عبد الله البستاني) (1854 - 1930) أيضاً في (الدبية). وعاش في لبنان، وقبرص، وتعلم في مدرسة قريته، ثم في المدرسة الوطنية / بيروت. وتعلم العربية، وأتقن الفرنسية، وترجم عنها، ولها. وأنشأ بقبرص صحيفة (جهينة الأخبار). وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. وله قصائد عدة. وكتب في التأريخ الشعري، وله مسرحيات شعرية منها: (جسّاس قاتل كليب)، و(امرؤ القيس في حرب بني الأسد)، ومؤلفات منها: (قاموس البستان، وفاكهته)، و(تصحيح ديوان أبي فراس الحمداني). وعرّب شعراً كثيراً من أمثال الشاعر الفرنسي (لافونتين). واتسمت لغته بالسلاسة، مع خيال خصب، وبنية سردية شائقة.

سليمان البستاني.. هوميروس العرب

(سليمان خطار البستاني) (1856- 1925)، أديب، وشاعر مُجدد لبناني. ولد في (بكتشين) / قضاء (الشوف) بلبنان. وتلقى مبادئ العربية، والسريانية، ودخل المدرسة الوطنية / بيروت. وقرأ روائع الأدب والشعر العربي، والغربي، وأتقن عدة لغات، وأسهم في تحرير: (الجنان)، و(الجنة)، و(الجنينة). وسافر للتدريس في العراق، وقصد مصر فأسهم في تحرير (دائرة المعارف) التي بدأها (بطرس البستاني) وشغف بالشعر القصصي، وهام بأساطيره، ونظم مقطوعات شعرية. وتفتحت شاعريته مع (الإلياذة) التي عربها تعريباً شعرياً رائعاً (أكثر من أحد عشر ألف بيت في أكثر من ألف صفحة). ووضع لها معجماً، وملحقاً، ومقدمة مطولة تعد كتاباً مستقلاً. وأصدرتها (1904) دار الهلال بالقاهرة، في 1260 صفحة. وشارك في وضع: (لكل فن ومطلب) (قاموس عام- 1884)، وله (عبرة وذكرى) (القاهرة، 1908)، و(طريقة الإختزال العربي). وله أبحاث في دائرة المعارف، ومقالات

بلغات عدة، ومذكرات بالإنجليزية تتناول الحياة العربية المعاصرة، وديوان العرب الحاليين (مخطوط).

فؤاد جرجس أفرام البستاني.. مجمع المعارف، ومعلّم الجيل

(فؤاد جرجس أفرام البستاني) (1906 - 1994) أديب، وشاعر، ومؤرّخ، وأكاديمي. درّس الأدب العربي والفرنسي، والفلسفة الإسلاميّة، والحضارة العربيّة، وتاريخ الشرق. وأسهم في إنشاء البكالوريا اللبنانيّة وأشرف على إعداد البرامج الأدبيّة والتاريخيّة والامتحانات الرسميّة. وأسهم في إنشاء (الجامعة اللبنانيّة) وتولّى رئاستها (1959-1970). وله أكثر من مئة كتاب أهمّها (دائرة المعارف) (12 مجلّداً)، وترجمات، وأبحاث. ونال الدكتوراه الفخريّة من جامعة ليون الفرنسيّة، وحمل أوسمة عديدة.

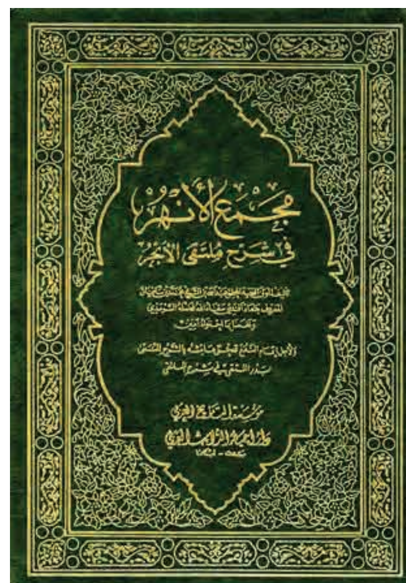
قطوف من عائلة البستاني

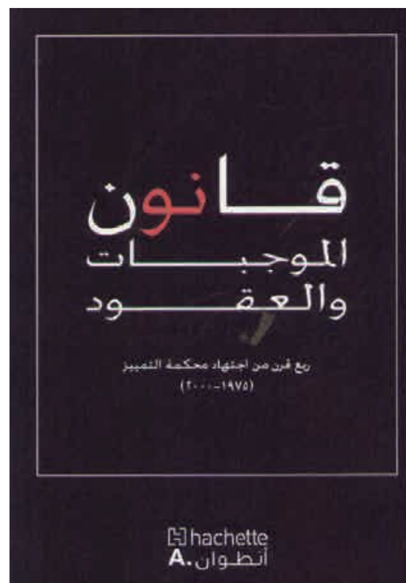
عائلة تشعبت جذورها، وفروعها في مختلف المجالات. ومن القطوف الثقافية البارزة: (سعيد جرجس البستاني) (1852-1912). فقيه، وكاتب. ألّف شعراً رواية (داود النبي). وجمع قصائده، وشروحاته الفقهيّة في (مجمع الأنهر وملتقى الأبحر). أما (أمين زيدان أفرام البستاني) (1854 - 1937) فكان محامياً، وأديباً، وصحافياً. حرّر: (الجنان)، و(الجنّة)، و(الجنينة)، و(لسان الحال). وسافر إلى مصر ودرس الحقوق، واحترف المحاماة. له (شرح قانون العقوبات) (1894). وكتب في (المقطّم)، و(المحروسة). وفي الأهرام 1914 - 1915، وفي (البصير) و(الأخبار). وطبع مقالاته في (مختارات أمين البستاني المحامي) (1919). واشتهر (سعيد بن راشد حنا البستاني) (1859-1901) بالخطيب (أخو الفصاحة والنهي). تخرج بمدارس الأميركان وبالمدرسة الوطنية، وحرر في جريدة لبنان الرسمية. ومن آثاره: روايات (ذات الخدر)، و(سمير الأمير).

أما (ميخائيل أنطون عيد البستاني) (1868 - 1934) ففقيه، وشاعر، وأديب. ومن آثاره كتاب في الفقه بعنوان (مرجع الطلاب). وكان عضو لجنة الفقهاء اللبنانيّة التي ترجمت القوانين الفرنسيّة إلى العربيّة، وترجم القوانين التركيّة. وله ديوان شعر غير مطبوع. وكان (يوسف إلياس أفرام البستاني) (-1875؟) صحافياً، وكاتباً، وبحّاثة. سافر إلى مصر وحرّر في (الأهرام). وكتب في جريدة (حزب الأمّة) المصري. ترجم بمعاونة مدير العدليّة سامي الخوري (قانون الموجبات والعقود)، و(قانون المحاكمات) وقوانين أخرى. له (تاريخ حرب البلقان)، وكتاب عن الشركات. ودرّس الأديب (بطرس يوسف البستاني) (1876 - 1933) الخطابة والبيان. وله مؤلّفات أدبيّة وتاريخيّة، ومسرحيّة، وحرّر في مجلّات وجرائد ونشر مقالات وقصائد.

وكان (نعّوم سليمان أفرام البستاني) (1885 - 1950) كاتباً، وصحافياً، وإدارياً. علّم العربيّة في مدرسة قرنة شهوان. وألّف روايات مثّلت على مسارح دير القمر، أنشأ وابن عمّه (وديع أفرام) بشراكة الشاعر (مسعود سماحة) جريدة (دير القمر) (1912) الشهيرة. وترأس بلديّة (دير القمر) زهاء 12 عاماً. علّم في مدرسة الفرير، وعيّن وكيلاً لقائمقام (دير القمر). وأدار مدرسة (الرابطة الوطنيّة) (1930-1932). وحرر الأديب والشاعر (كرم سليمان أفرام البستاني)

عائلة البستاني عائلة تشعبت جذورها وفروعها في مختلف المجالات





(1894 – 1966) في (البيرق)، و(الوطن)، و(لسان الحال)، و(الأرز)، و(الفتاة)، و(الراصد)، و(رقيب الأحوال). وساعد شقيقه (بطرس) في تحرير (البيان)، وساهم في إنشاء وتحرير مجلات (عسكري الشرق)، و(الجندي اللبناني)، و(المكشوف). ودرّس في كليّة القدّيس (يوسف)، ومدارس عدة. وله كتب مدرسيّة، وعرّب عن الفرنسيّة (مشاهدات في لبنان)، وشرح دواوين كبار الشعراء العرب، وشرح ورتّب (قطوف الأغاني)، و(العقد الفريد).

وبدأ الأديب والصحافي (بطرس سليمان أفرام البستاني) (1898 – 1969) كاتباً في الصحف اليوميّة. وأصدر أسبوعيّة (البيان) (1923 – 1930). له مؤلّفات في الأدب والتاريخ، وأشرف على وضع سلسلة (مناهل الأدب العربيّ). وذاع صيت (إدوارد عيد البستاني) (1901 – 1979) كحقوقي، ومترجم، وشاعر، وأديب. وترجم لكبار الكتّاب الفرنسيّين. وله مؤلّفات في مناهج الترجمة، والقانون، وديوان شعر. وسافر (ألفريد جرجس أفرام البستاني) (1910 – 1969) إلى إسبانيا وتعلّم الإسبانيّة، وتبوّأ المناصب. علّم في المعاهد العربيّة في تطوانيا، عضو لجنة التحريّات عن المخطوطات العربيّة في إسبانيا والمغرب. حقّق ونشر مخطوطات عربيّة مع ترجمتها إلى الإسبانيّة، ووضع لها مقدّمات وفهارس. وأشرف على الإذاعة الرسميّة في تطوانيا. وقلّد وسام (إيزابيل) الكاثوليكيّة من رتبة كوماندور، ووسام النهضة الأردنيّة.

العائلة التيمورية

إلى مصر مع الحملة العثمانية (1801).. جاء (محمد الكاشف تيمور) (من سلالة كردية بشمال العراق) ليلتحق بجيش الوالي (محمد علي باشا) الذي عينه برتبة (كاشف)، ثم محافظاً للمدينة المنورة (1837)، فمديراً للشرقية إلى أن توفي (1848). ثم ترقى ابنه (إسماعيل باشا) في مناصب الدولة فكان مديراً لمديريات، ورئيساً للقلم الإفرنجي بديوان الخديوي (إسماعيل)، ورئيساً عاماً للديوان الخديوي. ونبغ أولاده في مجال الأدب: (عائشة التيمورية)، وأخيها (أحمد تيمور) لينطلق بعدهما ولدا (أحمد) وهما (محمد)، و(محمود أحمد تيمور). وكذلك الحفيدة الروائية (رشيدة محمد أحمد تيمور) التي أصدرت روايتها الأولى (ميفان) المضيفة. فعزفت عائلة (تيمور) العريقة نشيداً أدبياً وثقافياً طال لحنه، وبرع نظمه. وكما ترك (التيموريون)، مكتبة كبيرة (الخزانة التيمورية)، مازالت بمثابة ذخيرة للباحثين، بدار الكتب المصرية.

العائلة التيمورية بمصر من سلالة كردية بشمال العراق نبغ أولادها في مجال الأدب: عائشة وأخوها أحمد وولدا (أحمد) محمد ومحمود والحفيدة رشيدة

عائشة التيمورية.. شاعرة الحب والألم

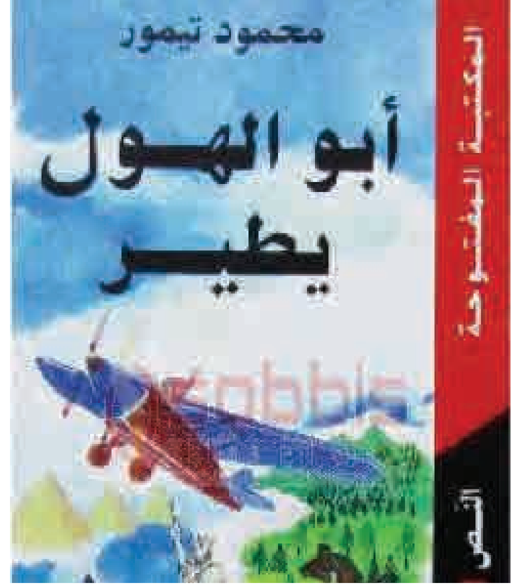
(عائشة بنت إسماعيل باشا بن محمد الكاشف تيمور) (1840–1903) شاعرة مصرية. ولدت في (درب سعادة) /



(الدرب الأحمر) بالقاهرة. شجّعها والدها على حب الأدب. فأحضر لها من يعلمها الفقه، والنحو، والتركية، والفارسية. وعلمها بنفسه روائع الأدب الفارسي (الشاهنامة للفردوسي)، و(المثنوي). وضم ديوانها (حلْية الطّراز) أشعارها العربية، واشتهرت قصيدتها التي ترثي فيها ابنتها (توحيدة) التي توفيت صغيرة. وأما ديوانها الثاني (شكوفة) فضم أشعارها باللغة التركية، والفارسية. ووصف (العقاد) شعرها، بأنه وصل لدرجة رفيعة لا يبزه سوى شعر (البارودي)، و(الساعاتي). ولها كتابات نثرية، ومقالات صحفية منها (مرآة التأمل في الأمور) وهو رسالة رائدة في الموضوعات الاجتماعية. ولها كتاب (نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال)، على نسق المقامات. وتعد (عائشة) كما وصفتها (مي زيادة) من رائدات الرواية العربية الحديثة، وأنها لا تعلم امرأة عربية اللغة، وضعت قصة تامة قبل (عائشة).

أحمد تيمور باشا.. من رموز الأدب العربي الحديث

(أحمد بن إسماعيل بن محمد) المشهور (بأحمد باشا تيمور) (1871 – 1930) أديب مصري بارز. ولد في (درب سعادة) بالقاهرة. تعلم اللغات ومبادئ العلوم في مدرسة (مارسيل) الفرنسية، ودرس العلوم العربية والإسلامية. وكان (أحمد تيمور باشا) من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية. وهو صاحب (الخزانة التيمورية). الجامعة للمخطوطات النادرة، والمطبوعات المتميزة (نحو 19527 مجلداً، و 8673 مخطوطاً). وتفرغ لها بعد وفاة زوجته ينقب، ويعلق، ويفهرس، ويؤلف إلى أن فقد ابنه (محمد)، فجزع جزعاً شديداً، ولازمته نوبات قلبية. وكان يدون بخطه



على المخطوطات ما يفيد اطلاعه (قرأناه). ويعد بخطه لكل منها فهرساً بموضوعاته ومصادره وأعلامه وترجمة لمؤلفه. كما وضع فهرساً ورقياً لمكتبته، ولكل فن فهرساً مستقلاً. وأهديت هذه (الخزانة) بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية. وتألفت (لجنة نشر المؤلفات التيمورية) التي أخرجت العديد من مؤلفاته للنور.

ومن كتبه: (أعلام المهندسين في الإسلام)، و(الآثار النبوية)، و(ضبط الأعلام)، و(التذكرة التيمورية) (مجلدان)، و(تاريخ الأسرة التيمورية)، و(أسرار العربية)، و(أوهام شعراء العرب في المعاني)، و(ذيل طبقات الأطباء)، و(مفتاح الخزانة)، و(فهرس لخزانة الأدب للبغدادي)، و(ذيل تاريخ الجبرتي)، و(الألفاظ العامية المصرية)، و(قاموس الكلمات العامية) (ستة أجزاء).

محمد تيمور بك.. شكسبير الشرق

(محمد أحمد تيمور) (1892 - 1921) من مؤسسي الأدب القصصي، والمسرحي. أديب، وشاعر، وناقد، ورائد الحداثة المسرحية والأدبية. وصنف بعضهم (الحياة الأدبية) لعصرين: ما قبل تيمور، وما بعده. ولد في القاهرة، ورحل إلى (برلين) لدراسة الطب. لكن حبه للأدب غير وجهته إلى فرنسا. وعاد إلى مصر (1914) بعد ثلاث سنوات، فألف فرقة تمثيلية عائلية، ووضع مسرحيات، ونهض بالمسرح المصري. وبرع في مجال القصة القصيرة، وأرسى قواعد كتابتها، وفنياتها، ومضمونها المحلي. وشكلت كتاباته منظومة إبداعية متكاملة في مجال تحديث الأدب والمسرح العربي. وبدأت ريادته المسرحية بـ(العصفور في القفص)، حتى مسرحية (الهاوية) بأسلوب أدبي تجديدي. ولولا مقالاته النقدية عن الحياة المسرحية في عصره لما عُرف الكثير عن نجومها، وعروضها، ومعداتها إلخ. ورغم قصر عمره (29 عاماً)، فقد ترك إرثاً أدبياً ضخماً خلال ثمان سنوات فقط (1913-1921). ونشرت مؤلفاته في ثلاثة مجلدات: (وميض الروح) (ديوان شعره، وكتاباته الأدبية، وبعض القصص والخواطر)، و(حياتنا التمثيلية) (تاريخ التمثيل، ونقد الممثلين، ورواية الهاوية)، و(المسرح المصري) (عبد الستار أفندي، والعصفور في القفص). وكرمته الحكومة المصرية، وأصدرت جائزة (محمد تيمور) للإبداع المسرحي العربي.

محمود أحمد تيمور.. موباسان مصر

(محمود أحمد تيمور) (1894-1973) كاتب قصصي/ (حكواتي الأدب العربي). ولد في (درب سعادة) بالقاهرة. وورث عن أبيه العديد من الملكات والصفات. فكان مغرماً بالأدب واللغة، وشغوفاً بالقراءة، محباً للكتابة والتأليف. تعهده والده (أحمد تيمور باشا)، فحبّب إليه المُطالعة، ونهل من روائع خزانته، ولمرضه (بحمى التيفوئيد) لزم داره وانقطع عن دراسته الزراعية. وحصل على البكالوريا.. منزلياً، وسافر للاستشفاء بسويسرا. وانصرف (محمود) إلى الفن القصصي. وأقبل بشغف على قراءة (مصطفى لطفي المنفلوطي)، واستهوته مدرسة (المهجر)، وعلى رأسها (جبران). كما اهتم بقراءات تجنح للواقعية، وكانت أولى قصصه القصيرة (1919) بالعامية. ثم أخلص للفصحى ومزج بين الرومانسية والواقعية. وأعاد كتابة القصص التي كتبها بالعامية، ونال عضوية مجمع اللغة العربية. ونشرت له جريدة الفجر قصة (الأسطى حسن يُطالب بأجرته)، وكتبت تحته (بقلم صاحب العزة: محمود تيمور، موباسان مصر). وأصدر (محمود) أكثر من خمسين عملاً ما بين قصة ورواية (تُرجم بعضُها). وتدور أعماله حول قضايا عصرية، وتُراثية، وتاريخية، فضلاً عن روايات استوحاها من رحلاته، مثل: (أبو الهول يطير)، وروايات حول شخوص فرعونية، مثل (كليوباترة في خان الخليلي). وشارك في العديد من المؤتمرات الأدبية، ونال عدداً من الجوائز الأدبية، منها: جائزة مجمع اللغة العربية، وجائزة الدولة للآداب، وجائزة (واصف غالي) بباريس، وجائزة الدولة التقديرية. واحتفت به جامعات في روسيا، والمجر، وأمريكا. وقال عنه (طه حسين): (لا أكاد أصدق أن كاتباً مصرياً وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة مثلما وصلت إليها أنت، فلا تكاد تكتب، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما تكتب حتى يصل إلى قلوبهم كما يصل الفاتح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله).

عائلة أحمد أمين الأديب والمفكر والمؤرخ المصري.. سار أبناؤه على الدرب الثقافي.. السفير والمفكر الكاتب حسين وشقيقه المفكر والمؤرخ د. جلال

العائلة الأباظية

إسماعيل باشا أباظة.. عميد الأسرة الأباظية

ولد (إسماعيل أباظة) (1854-1927) في بلدة (شرويدة)، الزقازيق، مديرية الشرقية. وتعلم في كتّاب القرية، ثم في مدرسة المبتديان، والمدرسة التجهيزية بالقاهرة. وتخرج في مدرسة الحقوق، كان من مؤسسي حزب (الأمة) في مصر، سافر (1908) إلى لندن مع وفد للدفاع عن مصالح البلاد. وتولّى منصب الوزارة في خمس حكومات مختلفة. كما اشتغل بالكتابة، والصحافة. وأنشأ (1894) وأدار جريدة (الأهالي). وألّف كتب (حديقة الأدب)، و(مقدمة أساس التاريخ العصري لمشاهير القطر المصري).

فكري أباظة باشا.. شيخ الصحفيين

(محمد فكري حسين أباظة) (1896-1979) أديب، وصحافي. وُلد (الأديب الضاحك الباكي) في (كفر أبو شحاته) بالشرقية. تخرّج في مدرسة الحقوق، واشتغل بالمحاماة، وكان من خطباء ثورة 1919، ومؤلف وملحن نشيد الثورة المصرية. وصفه أمير الشعراء (شوقي):

ابني أباظة إن رافع بيتكم
جعل المكارم فيه والإحسانا
فكري أذقت القوم عفو بلاغة
وأذرفت محضاً للنهى ولبابا

وبدأ (فكري) عمله الصحافي في جريدة (المؤيد)، ثم في (الأهرام)، ثم محرّراً في مجلة (المصور)، فرئيساً لتحريرها. وبلغ عدد مقالاته فيها 5500 مقالة. كما رأس تحرير مجلة (الهلال) لسنوات. وانتُخب نقيباً للصحفيين المصريين لأربع دورات متتالية. وكان عضواً في المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية. ولعب فترة بالنادي الأهلي، وانتُخب رئيساً شرفياً له. كما كان موسيقياً هاوياً، وألّف 100 قطعة تُعزف على الناي والمندولين. وهو متحدث إذاعي لبق، وقدّم لبعض حفلات (أم كلثوم). كما ألّف قصصاً، منها (خلف الحبايب)، و(الضاحك الباكي)، و(أحاديث فكري أباظة). وحصل على درجة الدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفنون.

عائلة حفني ناصف.. والد كل من ملك (باحثة البادية) ومجد الدين وعصام الدين عائلة أثرت الحياة الثقافية بالكثير من الفنون المؤلفة والمترجمة

عزيز أباظة باشا.. عميد المسرح الشعري

(عزيز أباظة) (1898-1973) رائد الحركة المسرحية الشعرية بعد أمير الشعراء (شوقي). ولد (بالربعماية)، (منيا القمح) / بالشرقية. تعلم بالمدرسة الناصرية، وقرض الشعر وهو في العاشرة من عمره. وأكمل دراسته الثانوية بالمدرسة التوفيقية بشبرا، والمدرسة السعيدية. ونال الليسانس الحقوق. وعمل مساعداً، فوكيلاً للنيابة



بمديرية الغربية. وفاز بعضوية مجلس النواب. وعضواً بمجلس الشيوخ. وفاز بالجائزة التقديرية في الأدب (الشعر) (1965).

وكان (عزيز أباظة) المرشح لإمارة الشعر بعد (شوقي) (الذي كان قدوة له). وبوفاة زوجته.. انبعثت ملكته الشاعرة بـ(الأنات الحائرة)، ديوان كامل في رثائها. وأتم روايته الشعرية (العباسة) التي قدمت في الأوبرا. كما شكلت رواية (قيس ولبنى) صدى هذه اللوعة، ولاقت نجاحاً فائقاً. وجال (عزيز) وبرع في الشعر المسرحي فنظم: (قيس ولبنى)، و(العباسة)، و(الناصر) وغيرها. وجاءت مسرحياته أكثر حركة، واقتراباً من روح الشخصيات. واعتاد (عزيز) الحفاظ على عمود الشعر في أعماله. وغنت له (أم كلثوم) قصيدة (السد العالي). كما شدا (محمد عبد الوهاب) بأغنيته (همسة حائرة). وترك دواوين: (أنات حائرة)، و(تأملات)، و(تسابيح)، و(من إشراقات السيرة النبوية). وبعد وفاته.. أصدرت ابنته (عفاف أباظة) كتاب (أشعار لم تنشر لعزيز أباظة). أما (عثمان أباظة) (1903-1960) فرائد المخرجين بالإذاعة المصرية. ومن تمثيلياته الإذاعية (عزيزة ويونس)، وأوبريت (معروف الإسكافي)، وبرنامجه الغنائي (أعياد الحصاد).

ثروت أباظة.. الأستاذ الأديب

(ثروت دسوقي أباظة) (1927 - 2003) كاتب، وروائي. كان والده (دسوقي أباظة) أيضاً من الأدباء. حصل (ثروت) على ليسانس الحقوق، من جامعة فؤاد الأول، كتب القصة الطويلة (ابن عمار) وقررتها وزارة التربية والتعليم في مناهجها، وكتب مسرحية (الحياة لنا). تولى رئاسة مجلة



الإذاعة والتلفزيون، ورئاسة القسم الأدبي بالأهرام وكتب فيها حتى وفاته. كما شغل منصب رئيس اتحاد الكتاب، ووكيل مجلس الشورى. وعضواً بالمجلس الأعلى للثقافة، وبالمجالس القومية المتخصصة، ومجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون، ورئيس شرف لرابطة الأدب الحديث، وعضواً بنادي القلم الدولي. وألف (ثروت أباظة) عدة قصص وروايات من أهمها: (هارب من الأيام)، و(ثم تشرق الشمس)، و(الضباب)، و(شيء من الخوف). كما كتب أكثر من أربعين تمثيلية إذاعية، وأربعين قصة قصيرة، وسبعة وعشرين رواية طويلة. وحصل على جوائز منها جائزة الدولة التشجيعية، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب. أما ابنته (أمينة ثروت أباظة) (أكتوبر 1955) فإعلامية، ورئيس مجلس إدارة (الجمعية المصرية لرعاية حقوق الحيوان). واختيرت 2008 كأول (سفيرة مصرية لحقوق الحيوان). تخرجت في كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسية بجامعة القاهرة. وعملت محررة في صحف مصرية حتى استقرت بقطاع القنوات الفضائية بالتليفزيون المصري.

رشدي أباظة.. نجم السينما

كان أول أعمال الفنان (رشدي أباظة) (1927 – 1980) (المليونيرة الصغيرة) مع (فاتن حمامة). ثم انصرف عن التمثيل، ثم عاد ومثل في: (دليلة – رد قلبي – موعد غرام – جعلوني مجرماً) إلخ. واسترد نجوميته في (امرأة على الطريق). وقدم أعمالاً مهمة: (جميلة – وإسلاماه – في بيتنا رجل – الطريق – لا وقت للحب – الشياطين الثلاثة – أريد حلاً – حكايتي مع الزمان) إلخ. وأجاد (رشدي) خمس لغات غير العربية. وكان مرشحاً للسينما العالمية، وعمل كدوبلير للنجم العالمي (روبرت تايلور) في فيلم (وادي الملوك). واشترك في فيلم (الوصايا العشر) للمخرج (سيسيل ديميل). وكان آخر فيلم أفلامه (سأعود بلا دموع)، ثم اشترك في (الأقوياء)، وتوفي أثناء تصويره، فأكمله الفنان (صلاح نظمي) عام 1980.

العائلة الرافعية

مصطفى صادق الرافعي.. نابغة الأدب وحجة العرب وجاحظ القرن العشرين

(مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي) (1880–1937) شعره نقي الديباجة، ونثره من الطراز الأول. (الأديب الأروع، والشاعر الناثر المبدع، صاحب الذوق الرقيق، والفهم الدقيق، الغواص على جواهر المعاني، الضارب على أوتار مَثالثها والمثاني) (كما وصفه محمد رشيد رضا، صاحب المنار). ولد في (بهتيم) بالقليوبية، وعاش حياته في طنطا. تولى والده منصب القضاء الشرعي في كثير من أقاليم مصر. وتلقى (الرافعي) تعليمه الابتدائي في دمنهور، وحصل على الابتدائية فقط (كالعقاد). ثم أصيب بمرض (التيفود) ألزمه الفراش. وأصيب في أذنيه، وفقد سمعه نهائياً في الثلاثين من عمره. وللرافعي (ديوان شعر– ثلاثة أجزاء)، و(رواية حسام الدين الأندلسي– مسرحية)، و(ديوان النظرات)، و(تاريخ آداب العرب– جزءان) (وصدر الثالث بعد وفاته بتحقيق (محمد سعيد العريان))، و(تحت راية القرآن)، و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، و(رسائل الأحزان)، و(على السفود)، و(وحي القلم– ثلاثة أجزاء)، و(السحاب الأحمر في فلسفة الحب والجمال)، و(المعركة– في الرد على كتاب في الشعر الجاهلي)، و(أوراق الورد) إلخ.

أمين الرافعي بك.. الكاتب والصحفي الرائد

(أمين عبد اللطيف الرافعي) (1886–1927) كاتب وصحفي مصري. التحق بمدرسة الحقوق في القاهرة وتخرّج فيها. وانضم إلى الحزب الوطني في عهد مؤسسه (مصطفى كامل). وكتب في جرائد: (اللواء)، و(العلم)، و(الشعب). ونشر سلسلة مقالات عن (قناة السويس). ودعا عام 1911 إلى تنشيط الحركة النقابية. وسُجن في الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب ابتاع جريدة (الأخبار) فصارت منبره اليومي. ومن مُؤلّفاته (مفاوضات الإنجليز بشأن المسألة المصرية)، و(مذكرات سائح).

العائلة الرافعية.. مصطفى وأمين وعبد الرحمن.. والعائلة الأباظية إسماعيل وفكري وعزيز وثروت ورشدي

عبد الرحمن الرافعي بك.. المؤرخ الألمعي

(عبد الرحمن الرافعي) (1889–1966) مؤرخ مصري،

تلقى تعليمه في المدارس الحكومية، وتخرج في مدرسة الحقوق، وعمل محرراً بجريدة (اللواء). وأخرج كتابه (حقوق الشعب)، وأعقبه بكتاب (نقابات التعاون الزراعية).

ملأ أعمدة الصحف بمقالاته. ومن مؤلفاته التأريخية: (الجمعيات الوطنية)، و(تاريخ الحركة الوطنية وتطور نظام الحكم في مصر) (جزءان)، و(عصر محمد علي) نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية.

عائلة (حفني ناصف)

(حفني ناصف بك) شاعر، ومحقق، وأديب، ورجل القانون، وأحد مؤسسي الجامعة المصرية. ووالد كل من (ملك) (باحثة البادية)، و(مجد الدين)، و(عصام الدين). عائلة أثرت الحياة الثقافية بالكثير من الفنون المؤلفة، والمترجمة. ولد (محمد الحفني بن محمد إسماعيل خليل ناصف) (1856 - 1919) ببركة الحج، بالقليوبية. والتحق بكتّاب القرية، والتحق بالأزهر ومعهد دار العلوم. شارك في تحرير (الوقائع المصرية) اختير عضواً في مؤتمر المستشرقين في (فيينا). وعين قاضياً حيث تنقل في عدة أقاليم مصرية. ورأس (الجامعة الأهلية)، وكان من المؤسسين والمدرسين بها. وشارك في إنشاء (المجمع اللغوي الأول). ومن مؤلفاته: (تاريخ الأدب- أو حياة اللغة العربية)، (مميزات لغات العرب)، ورسالة في (المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري)، واشترك في تأليف (الدروس النحوية). وجمع ابنه (مجد الدين ناصف) شعره، في ديوان سماه (شعر حفني ناصف).

ملك حفني ناصف.. باحثة البادية

ولدت (ملك حفني ناصف) (1886 - 1918) بحي الجمالية بالقاهرة. أديبة وشاعرة مصرية، وداعية إصلاح اجتماعي. وأول فتاة مصرية تحصل على الشهادة الابتدائية (1900)، وشهادة التعليم العالي. والتحقت بقسم المعلمات بالمدرسة السنية، وبتخرجها عملت بالتدريس حتى 1907. واتخذت اسم (باحثة البادية) اشتقاقاً من بادية الفيوم. وعرفت بثقافتها الواسعة، وإجادتها الإنجليزية، والفرنسية، وكتاباتها في العديد من الدوريات. وجمعت بعض مقالاتها في كتاب (النسائيات- جزءان)، ولها كتاب (حقوق النساء) حالت وفاتها دون إنجازه. ورثاها (حافظ إبراهيم)، و(خليل مطران)، و(مي زيادة). وأسست (باحثة البادية) عدة جمعيات منها: جمعية الاتحاد النسائي التهذيبي، وجمعية للتمريض.

عائلة الأديب أحمد أمين

(أحمد أمين إبراهيم) (1886-1954) أديب، ومفكر، ومؤرخ مصري. ولد في المنشية / حي الخليفة بالقاهرة. تعلم في (الأزهر)، ومدرسة (القضاء الشرعي) ونال شهادة القضاء. وعمل قاضياً ومدرساً بكلية الآداب جامعة القاهرة ثم عميداً. وأنشأ مع زملائه (لجنة التأليف والترجمة والنشر) وترأسها حتى وفاته. وقدمت ذخائر الفكر الأوروبي، والتراث العربي (أكثر من مئتي كتاب مطبوع). وكان عضواً مراسلاً في (المجمع العلمي العربي) بدمشق وفي (المجمع العلمي العراقي)، ونال عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وشارك في إخراج (مجلة الرسالة). وأنشأ ورأس تحرير مجلة (الثقافة) الأسبوعية. ونال عضوية المجلس الأعلى لدار الكتب. وبعد توليه الإدارة الثقافية بوزارة المعارف، أنشأ (الجامعة الشعبية / قصور الثقافة الشعبية). وأنشأ (معهد المخطوطات العربية) التابع لجامعة الدول العربية. وكان مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.



ألّف حوالي 16 كتاباً، كما شارك في تأليف وتحقيق عدد من الكتب، وترجم كتاباً في الفلسفة. ومن مؤلفاته: (فجر الإسلام)، و(ضحى الإسلام) (3 أجزاء)، و(ظهر الإسلام) (4 أجزاء)، و(يوم الإسلام)، و(حي بن يقظان)، و(قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية)، و(من زعماء الإصلاح)، و(زعماء الإصلاح في العصر الحديث)، و(كتاب الأخلاق)، و(حياتي)، و(فيض الخاطر) (10 أجزاء)، و(الشرق والغرب)، و(النقد الأدبي) (جزءان)، و(هارون الرشيد)، و(الصعلكة والفتوة في الإسلام)، و(المهدي والمهدوية)، و(إلى ولدي). كما اشترك في ترجمة وكتابة أعمال عدة، منها: قصة الفلسفة اليونانية، وقصة الفلسفة الحديثة (جزءان)، وقصة الأدب في العالم (4 أجزاء).



وسار أبناؤه على الدرب الثقافي.. فبرز السفير السابق، والمفكر، والكاتب (حسين أحمد أمين)، وشقيقه المفكر، والمؤرخ د. (جلال أحمد أمين) الأستاذ بالجامعة الأمريكية وصاحب الكتابات في الإقتصاد والعلوم الإنسانية. وكتب الأخير سيرته الذاتية في (ماذا علمتني الحياة؟)، و(رحيق العمر) (دار الشروق).

عائلة الخميسي.. برتراند راسل المصري

(عبد الرحمن عبد الملك الخميسي مراد) (1920-1987)، شاعر مصري من (مدرسة أبوللو). ولد بمدينة بورسعيد، ودرس في مدرسة القبة الثانوية بالمنصورة. وكتب الشعر في سن مبكرة، وأرسل قصائده (من المنصورة) لتنشرها مجلات أدبية مثل (الرسالة) لأحمد حسن الزيات، و(الثقافة) لأحمد أمين. وترك (الخميسي) سبعة دواوين شعرية: (أشواق إنسان)، و(دموع ونيران)، (ديوان الخميسي)، و(ديوان الحب). وتقلب بين مختلف الفنون: الشعر، والقصة، والمسرح، والتمثيل، والصحافة، والتأليف الإذاعي، والإخراج السينمائي، وتعريب الأوبريت، والتأليف الموسيقى والأغاني (كتابة ولحناً)، ومذيعاً (صاحب صوت ذهبي).

وتوالت مجموعاته القصصية: (من الأعماق)، و(صيحات الشعب) وغيرها، وله قصة طويلة (الساق اليمنى) نشرت في (المصري) أواخر الأربعينات. وقدم كتاب (الفن الذي نريده)، وكتاب (مناخوليا- محاورات ونظرات في الفن)، وكتاب (المكافحون). وترجم (الخميسي) مختارات من أشعار (ووردزورث)، و(كيتس)، ثم مختارات من القصص العالمية (يوميات مجنون)، ومختارات من الشعر السوفيتي، ثم (الصهيونية غزو بلا سلاح) للكاتب فلاديمير بيجون.

وألف (الخميسي) فرقة مسرحية باسمه. وقدمت عرضها الأول بثلاث مسرحيات قصيرة من تأليفه، وإخراجه، وتمثيله، وهي: (الحبة قبة)، و(القسط الأخير) و(حياة وحياة). وكانت (عزبة بنايوتي) تأليف محمود السعدني ثالث عروضها، وفيها قام (الخميسي) بدوره، كممثل بارع. ثم توقفت بسبب ظروف مالية بعد عرض مسرحية (نجفة بولاق). وبادر (الخميسي) إلى تعريب أوبريتات (الأرملة الطروب)، و(حياة فنان). وألف للمسرح الغنائي أوبريت (مهر العروسة). وقدم أربعة أفلام شارك في وضع قصصها وسيناريوهاتها وألف الموسيقى التصويرية لبعضها ومثل في بعضها، وهي: (الجزاء)، و(عائلات محترمة)، و(الحب والثمن). كما اكتشف الفنانة (سعاد حسني) في فيلم (حسن ونعيمة) الذي كتب له السيناريو. كما أدى دور الشيخ (يوسف) في فيلم (الأرض) ليوسف شاهين. وترجمت أعمال (الخميسي) إلى الإنجليزية، والروسية، والفرنسية، وكانت موضوعاً لرسائل الدكتوراه في جامعات أوروبية عدة.

وبرز من أسرته من سار على نهجه: (أحمد الخميسي) (قصصي)، و(خالد الخميسي) (روائي)، و(عزة الخميسي) (مترجمة)، و(فتحي الخميسي) (موسيقار)، والحفيدات (آنا أحمد الخميسي) (قصصية)، و(لقاء الخميسي) (ممثلة). وصدرت مؤخراً (2015) مجموعة قصصية جمعت بين (الأجيال الثلاثة) الجد، والابن، والحفيدة. فكانت قصة (النوم) للخميسي الكبير، وقصة (بط أبيض صغير) للخميسي الابن، وقصة (الأيدي) لآنا الخميسي. عنوان لأسرة عرفت بقدراتها ومواهبها وإخلاصها للحياة والفن.

عائلة طوقان

إبراهيم طوقان.. شاعر فلسطين/ شاعر الجامعة

(إبراهيم عبد الفتاح آغا طوقان) (1905 - 1941) شاعر فلسطيني. أخ شقيق لفدوى طوقان (شاعرة فلسطين)، ولأحمد طوقان رئيس وزراء الأردن في بداية سبعينات القرن المُنصرم. ويعتبر إبراهيم أحد الشعراء المنادين بالقومية العربية. تلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية في نابلس، وأكملَ دراسَته الثانوية بمدرسة المطران بالقدس. والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، ودرّس في مدرسة النجاح النابلسية، وعَملَ مدرساً للغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت. وتسلم القسم العربي في إذاعة القدس وعُين مُديراً للبرامج العربية. انتقل بعدها إلى العراق وعملَ مدرساً في دار المعلمين العالية، ثم عاجله المرض

فعاد مريضاً إلى وطنه. نشر شعره في الصحف والمجلات العربية، ونُشر ديوانه بعد وفاته: (ديوان إبراهيم طوقان). ومن أشهر قصائده في ثلاثينات القرن الفائت: (موطني)، وقصيدة (وطني أنت لي، والخصم راغم).

فدوى طوقان.. أم تمّام/ شاعرة فلسطين/ أم الشعر الفلسطيني

(فدوى عبد الفتاح آغا طوقان) (1917 - 2003) أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين. مثّل شعرها رافداً مهماً للتجارب الأنثوية في الحب، والثورة. ولدت في مدينة نابلس، وتلقت تعليمها حتى المرحلة الابتدائية. واستمرت في تثقيف نفسها، ودرست على يد أخيها شاعر فلسطين الكبير (إبراهيم طوقان)، الذي نمى مواهبها ووجهها نحو كتابة الشعر. وشغلت عدة مناصب جامعية. ووقّعت قصائدها الأولى باسم (دنانير)، لكن أحب أسمائها المستعارة كان (المطوّقة). وتوالت النكبات في حياتها، بعدما توفي والدها، ثم أخوها (إبراهيم)، ونكبة (1948)، وقد تركت تلك المآسي أثرها كما يتبين من ديوانها الأول (وحدي مع الأيام). سافرت (فدوى) إلى لندن في بداية الستينات، وأقامت هناك سنتين. وبعد نكسة حزيران 1967، خرجت من قوقعتها لتشارك في الحياة العامة في نابلس. وكانت (فدوى) أكثر جرأة على الذات، واندفاعاً في البوح والاعتراف، وكتبت سيرتها في جزأين: (رحلة جبلية رحلة صعبة)، و(الرحلة الأصعب) وترجمت أشعارها إلى عدة لغات. وصدرت للشاعرة مجموعات شعرية ونثرية منها: (وجدتها)، و(الليل والفرسان)، و(اللحن الأخير)، و(أخي إبراهيم)، حصلت (فدوى) على عدة جوائز، وأوسمة منها: جائزة الزيتونة الفضية الثقافية لحوض البحر الأبيض المتوسط، باليرمو، إيطاليا، وجائزة (عرار) السنوية للشعر، رابطة الكتاب الأردنيين، وجائزة سلطان العويس، الإمارات العربية المتحدة، وسام القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، وجائزة المهرجان العالمي للكتابات المعاصرة، إيطاليا، جائزة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، وغيرها من الجوائز، وعديدة هي الأطروحات العلمية التي تناولت أعمال (فدوى طوقان).

فواز طوقان.. الشاعر والأكاديمي

(فواز طوقان) (-1940) شاعر وكاتب وأكاديمي. ولد في (نابلس) في بيت علم وأدب وسياسة. فوالده رئيس الوزراء الأردني الأسبق (أحمد طوقان)، وأعمامه (إبراهيم طوقان) والعلامة (قدري طوقان) وعمته (فدوى طوقان). أنهى دراسته الثانوية في بيروت، وأكمل دراسته حتى حصل دكتوراه في لغات وحضارات الشرق الأدنى، جامعة (يال) الأمريكية. وعمل كأستاذ للأدب العربي وتاريخ الحضارة الإسلامية



في الجامعة الأمريكية في بيروت. وعمل في عدة جامعات أمريكية، وأردنية، وبحرينية. وهو عضو مؤسس في رابطة الكتاب الأردنيين وعدد من الجمعيات والاتحادات. ترأس تحرير صفحات ثقافية في الرأي والأخبار، وترأس تحرير مجلة الرابطة الثقافية، وله في الإذاعة والتلفزيون ما يزيد عن مئتي برنامج في الثقافة والإبداع والوثائقيات.

ومن إنتاجه الشعري: (أغنية الموسم الواحد)، (ماء لطائر الصدى). ومن أعماله: (محمود درويش): مختارات شعرية (ترجمة وتحرير)، و(تاريخ الأردن المصور) و(الحركة الشعرية في الأردن)، و(فدوى طوقان): مختارات شعرية (ترجمة وتقديم)، و(أسرار تأسيس الرابطة القلمية وعلاقة أعضائها بالفكر الاشتراكي).

وحاز (فواز) على جائزة أفضل نص في مؤتمر اتحاد الإذاعات العربية وعدة جوائز أخرى، ومن عائلة (طوقان) يوجد: العلامة (قدري طوقان)، و(حافظ طوقان)، و(بهاء الدين طوقان)، و(إبراهيم صالح طوقان)، و(أسعد طوقان)، و(عبد الله طوقان) إلخ.

عائلة البرغوثي

عمر الصالح البرغوثي.. السياسي والمؤرخ

(عمر محمود الصالح البرغوثي) (1894 - 1965) من أبرز نشطاء الحركة الوطنية الفلسطينية. شارك في تأسيس (الجمعية الإسلامية المسيحية). والتحق بمعهد الحقوق الفلسطيني في القدس. وعين في نفس المعهد لتدريس القانون المدني. وبقي في عمله حتى نكبة (1948). وإلى جانب اهتماماته السياسية.. كان (عمر) مُهتماً بالدراسات



التاريخية. فألف كتاب (المراحل) (ثلاثة أجزاء) كسيرة ذاتية، ورؤية تأريخية لمجريات الأمور العامة. كما شارك (خليل طوطح) في تأليف كتاب (تاريخ فلسطين).

مريد البرغوثي وأسرته

(مريد البرغوثي) (-1944) شاعر وأديب فلسطيني. ولد في (دير غسانة)، (رام الله)، فلسطين. تخرج (1967) في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعة القاهرة، ولم يستطع العودة إلى دياره إلا بعد ذلك بثلاثين عاماً. وله اثنا عشر ديواناً شعرياً، نشر أولها (الطوفان)، وأحدثها (منتصف الليل). وكان ديوانه الأكثر شهرة (قصائد الرصيف) صدرت أعماله الشعرية الكاملة. وحصل (مريد) على جائزة فلسطين في الشعر. وترجمت أشعاره إلى عدة لغات. وحاز كتابه النثري (رأيت رام الله) على جائزة (نجيب محفوظ). وصدر بالإنجليزية، ترجمة أهداف سويف. وله أيضاً كتاب (وُلِدْتُ هُناك، وُلِدْتُ هُنا).

تزوج (مريد) من الروائية والأديبة الراحلة (رضوى عاشور) (1946-2014) أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة عين شمس. وأنجبا ولداً هو (تميم البرغوثي). ونشرت (رضوى) أول أعمالها النقدية: (الطريق إلى الخيمة الأخرى) حول التجربة الأدبية لغسان كنفاني. وصدر لها بالإنجليزية كتاب (جبران وبليك). وتوالت أعمالها، ومنها: (الرحلة)، و(رأيت النخل) (مجموعة قصصية)، و(ثلاثية غرناطة)، و(قطعة من أوروبا)، و(أثقل من رضوى). وحصلت على جائزة أفضل كتاب (1994)، والجائزة الأولى من المعرض الأول لكتاب المرأة العربية عن (ثلاثية غرناطة)، وجائزة (قسطنطين كفافيس) الدولية للأدب في اليونان، وجائزة سلطان العويس للرواية والقصة وغيرها من الجوائز. أما (تميم مريد البرغوثي) (-1977) (شاعر القدس)، فأكاديمي حاصل على دكتوراه العلوم السياسية من جامعة بوسطن الأمريكية. وعمل أستاذاً مساعداً للعلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة. ومحاضراً بجامعة برلين الحرة، وعمل بقسم الشؤون السياسية بالأمانة العامة للأمم المتحدة بنيويورك، وأستاذاً مساعداً زائراً للعلوم السياسية في جامعة جورج تاون بواشنطن. وكتب في العلوم السياسية: (الوطنية الأليفة: الوفد وبناء الدولة الوطنية في ظل الاستعمار) وكان أول ظهور جماهيري له في برنامج أمير الشعراء على تلفزيون أبو ظبي، وألقى قصيدة (في القدس). وكان أول دووانه (الميجنا) باللهجة الفلسطينية العامية. وتلتها (المنظر) باللهجة المصرية العامية. وكتب (قالولي بتحب مصر) بالعامية المصرية، و(مقام عراق) بالفصحى، و(في القدس) بالفصحى، و(يا مصر هانت وبانت) بالعامية المصرية.

حسين البرغوثي.. مهندس القصيد

(حسين جميل البرغوثي) (1954-2002) شاعر ومفكر فلسطيني. ولد في (كوبر)، رام الله، فلسطين. ودرس العلوم السياسية واقتصاديات الدولة في جامعة بودابست بالمجر. كما حصل على بكالوريوس الأدب الإنجليزي من جامعة (بيرزيت) (1983). وحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب المقارن ما بين من جامعة واشنطن في سياتل. وعمل في جامعة بيرزيت وجامعة القدس. وكان عضواً مؤسساً لبيت الشعر الفلسطيني، وعضواً للهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب الفلسطينيين ورئيساً لتحرير مجلة (أوغاريت)، ومديراً لتحرير مجلة (الشعراء) حتى رحيله. وله ما يزيد عن ستة عشر عملاً توزعت بين الشعر، والرواية، والسيرة، والنقد، والفلكلور. إضافة إلى عشرات الأبحاث والدراسات الفكرية بعدة لغات، منها (سأكون بين اللوز)، و(الضفة الثالثة لنهر الأردن)، و(الضوء الأزرق)، و(ما قالته الغجرية)، و(سقوط الجدار السابع: الصراع النفسي في الأدب). ووضع (البرغوثي) سيناريوهات لأربعة أفلام، وكتب سبع مسرحيات، والعديد من الأغاني. كما تبرز عائلة فلسطينية هي عائلة (تماري)، وفيها: (وهبة تماري)، و(فيرا تماري)، و(تانيا تماري)، و(فلاديمير تماري)، و(مريم تماري)، و(سليم تماري). والأخير (سليم تماري) (-1945) باحث في علم الاجتماع، يميلُ نحو التأريخ، لأهل فلسطين. وتمر على عائلة (جبران): (ديب جبران)، و(بديع جبران)، و(حاتم جبران). أما عائلة (الخالدي)، ففيها (روحي الخالدي)، و(يوسف الخالدي).

حكاية قصيدة

في تراثنا الأدبي العربي طائر يحلق بجناحين في ثنائية من نوع مختلف، ذلك الطائر يتجسد في (حكاية قصيدة)، تلازما معاً، فارتبطت القصيدة بالحكاية والحكاية بالقصيدة. وأدبنا العربي يزخر بالعديد من تلك المواقف والقصص التي خلدتها القصائد، حتى استحال بعضها إلى ثنائية متلازمة تناولها الرواة والنقاد، وحيكت حولها خيوط، وأضيفت إليها أخرى، حتى صارت أسطورة متماسكة تروى جيلاً بعد جيل.



عندما تكون المجالس محفزة للإبداع

د.عبدالله ثقفان: الرياض

العقل

اجتمع قوم من ذوي النهى في مجلس فكري، وكلٌ منهم قد شحذ ذهنه، وأعمل فكره؛ واضعين لكل جلسة موضوعاً لمناقشته، بحيث يتناوله كل من حضر إما بموهبة، وإما بما تختزنه الذاكرة، بادئين بما يُزين الإنسان: (العقل)، إذ قال الناثر:

العاقل لا يستحقر أحداً؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته، ومن استحقر العوام أذهب صيانته.

وقال الشاعر:

ألم تَر أن العقل زين لأهله
وأن كمال العقل طول التجارب

وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهى
ويزداد في أيامه بالتجارب



وقال الناثر:

الواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة، فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يبيس العوسج: الاستغراق في الضحك، وكثرة التمني، وسوء التثبت، لأن العاقل لا يتكلف مالا يطيق ولا يسعى إلا لما يدرك، ولا يعد إلا بما يقدر عليه، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الفناء، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه.

فقال الشاعر:

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى
يكون كذي رجلٍ وليست له نعل
ومن كان ذا مال، ولم يك ذا حجًى
يكون كذي نعل، وليست له رجل

وقال الناثر:

الواجب على العاقل أن يكون حسن السَّمت، طويل الصمت فإن ذلك من أخلاق الأنبياء، كما أن سوء السَّمت وترك الصمت من شيم الأشقياء.

قال الشاعر:

إن المكارم أبواب مصنَّعة
فالعقل أولها، والصمت ثانيها
والعلم ثالثها، والحلم رابعها
والجود خامسها، والصدق سادسها
والصبر سابعها، والشكر ثامنها
واللين تاسعها، والصدق عاشرها

ثم أجمعوا على حسن قول القائل:

وأفضل قسم الله للمرء عقله
فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه
على العقل يجري علمه وتجاربه
يزيد الفتى في الناس جودة عقله
وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

×××

× من كتاب: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للحافظ البستي، تحقيق محمد الفقي، ص 16 وما بعدها.



نصير شمة

نخلة العود والنغم النبيل

رحب علواني: بريطانيا

كان الموسيقار العراقي الفذ نصير شمة - ولا يزال - واحداً من أكثر المؤلفين الموسيقيين العرب والعالميين إبداعاً وأثراً، ناسجاً من ألحانه ومؤلفاته الموسيقية أقصوصة حب عذبة تجوب بك في عوالم إنسانية فريدة. تحكي لك بين الأوتار شيئاً عن أسرار آشور وبابل، تأخذك بلا إذن أو إنذار في جولة روحية فريدة عبر ثنايا الحاضر والماضي والمجهول.

لم يقتصر حبه للعود على الكتابة الموسيقية، بل زاد حتى صار معلماً وأباً - شاباً - لجيل كامل من عشاق العود ومبدعيه، فكان، كشجرة زيتون عريقة، يزخرُ حباً وأصالة، دائم الخضرة والعطاء، باثاً عبر عوده أبهى رسائل الحب والسلام من بيت العود إلى العالم.

وقفنا معه (على حافة الألم) نستعرضُ (أحلاماً عتيقة) وهواجس يافعة، وحكايات جوى وهيام لمنجز العود المثمن، خبرنا عبره جماليات (ليل بغداد) في انتظار (رحيل القمر) حتى آخر هزع من الليل، تماماً قبل (إشراق) شمسه على (أرض السواد)، وتعلمنا منه كيف لأيقونة الموسيقى العربية أن يقف (صامتاً يعلن حبه) لملايين من عشاقه وعشاق العود حول العالم.

(من القلب) أنجزت «المجلة العربية» مع المبدع العربي نصير شمة، هذا الحوار.

ـ من هو الأستاذ الأول الذي يشعر نصير شمة أنه تتلمذ على يده؟ أهو منير بشير أم معتز البياتي؟

الأستاذ علي الإمام هو مدرسي الأساسي عندما انتقلت لدراسة الموسيقى في بغداد لست سنوات في معهد الدراسات النغمية - أصبح اسمه لاحقاً معهد الدراسات الموسيقية - وبعد ذلك تولى تدريسي الأستاذ سالم عبد الكريم ثم الراحل الكبير روحي الخماش، ولكني كنت أيضاً قريباً جداً من الراحل الكبير منير بشير لسنوات، واستفدت من تجارب كل الأساتذة والزملاء وما زلت أتعلم كل يوم. الرغبة في التعلم إحساس وفعل لا أتمنى أن يغادرني، على الرغم من أني علّمت وخرجت المئات من العازفين الشباب لكنني أشعر دوماً بأني ما زلت ذلك التلميذ الشغوف بالعلم والإصغاء والتعلم.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنني تعلمت من جميع رموز العود الحقيقيين الراحلين أمثال الشريف محي الدين حيدر، والسنباطي، وسلمان شكر، والأقرب لروحي البارع جميل بشير، إضافة إلى المدرسة الكلاسيكية التركية في العود. وكما يقال: لا يوجد نص بريء، نحن خلاصة أجيال سبقونا.

ـ (قبل أن أُصلب) هو اسم المقطوعة التي ألّفتها في مقتل الحلاج.. وبالطبع لا يخفى على أحد أن التصوف قد احتل جانباً واسعاً من فؤادك وحياتك وعزفك.. كيف ينظر نصير شمة إلى علاقته بموسيقاه الصوفية؟

. لأكون أكثر دقة، لا توجد لدينا موسيقى صوفية عربية اليوم بالمعنى الحقيقي، بالقدر الذي يتواجد فيه شعر صوفي أو نصوص نثرية صوفية، لأن أغلب الصوفيين استخدموا اللغة للتعبير عن علاقتهم بالله عز وجل، ولم نجد بينهم من عبّر عن تلك العلاقة موسيقياً، كل ما هو متوفر من موسيقى تحت هذا الاسم لا يمت بصلة للصوفية، والفرق كبير بين الذكر والمدائح من جهة والنتاج الموسيقي الصوفي من جهة أخرى. عندما يترجم الصوفي الحقيقي مشاعره وأفكاره بكتابة موسيقية عندئذ نقول إن هذه موسيقى صوفية. كل الموسيقيين الكبار في مختلف ثقافات العالم حاولوا الاقتراب من معنى الصوفية لكنني حقيقة لم أجد سوى محاولات شكلية لا تلامس الجوهر، باستثناء قداس موتزارت الـ (ريكوييم) الذي لم يسبقه إليه مؤلف آخر كمعنى صوفي حقيقي.

ـ لجأت باكراً لبناء مؤلفات موسيقية تمزج بين الموسيقى والشعر، وتضمنت أعمالك العديد من الحوارات الموسيقية الشعرية أو القراءات الموسيقية للشعر.. إلى أي حد تأثر نتاجُك الموسيقي بالشعر؟ وكيف تصف علاقتك بالقصيدة العربية عموماً؟

. الشعر الجيد منجم للصور والأفكار والمواضيع، ومحرك ذهني فعال نحو مناخات عميقة، أقصد تلك النصوص التي يبدعها شعراء يقفون على ثقافة كبيرة ومرجعيات متعددة. بدأ اهتمامي بالشعر مع اهتمامي بالموسيقى والمسرح والرسم والسينما وبقيت تلك المتابعة متواصلة بكل الأشكال، لكن الشعر يغريني ويحفزني، لذلك كرست مراحل مهمة في حياتي لدراسته بعمق حتى أفهم دلالات وإشارات الشاعر التي تقود لمرجعيته الفكرية وقاموسه الشعري.

لابد من وقوف الدول العربية إلى جانب العراق لئلا يترك فريسة (لن تكون سهلة) بيد دول مجاورة تحلم بالسيطرة عليه مثل إيران

بعد القصيدة العمودية، سحرني بدر شاكر السياب بتفرده وانعطافاته التي ربما غيرت أو ساهمت بتغيير شكل القصيدة، وجع السياب أنيق، استعاراته دقيقة وعميقة وتحتاج لثقافة حقيقية لسبر أغوار نصه، وقد خرجت منه بعمل عرض كامل مع الفنان العراقي عزيز خيون قدم في اتحاد الأدباء في بغداد في ثمانينات القرن الفائت، وبعدها ونحن داخل العمل وجدته أعمق بكثير من فهمي له أول مرة، وقررت الخوض بعرض آخر لقصيدتين له؛ أنشودة المطر وغريب على الخليج، لم ألحنهما، بل وضعت رؤية موسيقية لهما، وكان الفنان جواد الشكرجي أميناً على نص السياب ومخلصاً في تقديمه بأفضل ما يمكن.

كان لك تجربة خاصة مع أدونيس؟

طلب أدونيس أن أكون في تكريمه بمعهد العالم العربي بباريس عام 2000 وكنت قد قرأت فيما سبق معظم دواوينه وحتى مقالاته، وسرعان ما أسعفني ذلك الاطلاع بعمل ليلة أطلقنا عليها عنوان (ليلة استثنائية) نجحت في باريس، ثم في القاهرة بالمجلس الأعلى للثقافة، ودبي في حفل العويس، والدوحة معرض الكتاب، وافتتاح معرض الكتاب في فرانكفورت والعام الماضي في أبو ظبي وغيرها من دول العالم. كانت تجربتي مع المفكر والشاعر أدونيس ثرية وفتحت لي آفاقاً مهمة جداً في مساري في الفن والحياة خصوصاً عبر حواراتنا المتواصلة، خلال تحضيرنا لتقديم عرض مشترك، وتعلمت منه أشياء كثيرة. الجدير بالذكر هنا أنه حتى إن اختلف معه كثيرون، فأنا أجده في منطقة فكرية بعيدة أحياناً عن خصومه، وهذا ليس تقييماً بقدر ما هو رأي ومعرفة عن قرب.

بعد القصيدة العمودية سحرني بدر شاكر السياب بتفرده وانعطافاته

كيف تقيم تجاربك الموسيقية الأخرى مع محمود درويش وأمجد ناصر؟

انطلقت التجربة المشتركة مع محمود درويش بعد صدور ديوانه (لماذا تركت الحصان وحيداً) وسرعان ما بدأت النصوص تتنافس في جلب اهتمامي لتحويلها إلى أعمال موسيقية قدمناها معاً في تونس وبرلين في دار ثقافات العالم، وآخر عرض مشترك كان قبل رحيله بفترة قصيرة في العاصمة الأردنية عمان. هذه التجربة لها خصوصيتها في وجداني وروحي وأحببت فيها محمود الإنسان الطيب والعنيد والمشاكس وصاحب المشروع الشعري الأبرز.

كذلك كان هناك تعاون مع عدد من الشاعرات في ليلة شهرزاد في مدينة سوسة أواخر التسعينات وأخرى مع الصديق الشاعر أمجد ناصر في القاهرة في المجلس الأعلى للثقافة.. أعتز جداً بالتجربتين لتنوع الأولى وجمالها في طرح قصيدة النثر بطريقة جديدة، والثانية لحضور نص أمجد ناصر القوي والعالي. اليوم أقرأ كل شعراء قصيدة النثر على مستوى العالم وما زلت أخرج من كل نص بفكرة لعمل موسيقي جديد وأخيراً أشعر بالغبطة لأني أرتبط بشاعرة لها نصها الخاص والمختلف، المهتم بالتفاصيل المنسية، ربما هي الأقرب للتصوف مني، الشاعرة السورية لينا الطيبي، شريكة حياة وحلم وأمل.. وقد منحنا الله معاً أجمل قصيدة؛ ابنتنا ليل.

كانت ظاهرة (بيت العود) -وما زالت- أنجح مشروع موسيقي عربي، ما الذي يضمن برأيك استمرارية وازدهار هذه الظاهرة؟

المنهجية الجدية، دخول الطالب لبيت العود برغبته خارج قوانين العمر والشهادة والدراسة المتعارف عليها في المعاهد الرسمية، طريقة التدريس المكثفة التي تقود الطالب للتطور بسرعة تحفزه على التورط أكثر في عالم الموسيقى، حرصي على متابعة كل طالب على حدة، نجاحات الخريجين في بلدانهم وخارجها شجع الآخرين على اللحاق بأحلامهم وتحقيقها، الاعتماد على جيل من الخريجين من بيت العود كمدرسين كلهم في عمر العشرينات، الحوافز التي يقدمها البيت للطالب وتقديمه على حسب اجتهاده في المحافل المحلية والدولية، وغيرها من الأمور التي يشعر معها الطالب أن الهدف الأساسي لمشروع بيت العود هو تنمية الثقافة، وليس الربح.

ألا يفكر (مصمم / مُنجز العود المثمن) و(العازف بيد واحدة) أن يصدر كتاباً تعليمياً على غرار جميل بشير؟

لا بد أن أنوه أولاً أنني لم أدّعي يوماً أنني من صمم العود المثمن، بل ذكرت مراراً أنني نفذته، أو حققته بناءً على تصميم ورقي للمعلم الفارابي. بالنسبة للكتاب فقد ظهر كتابي الأول منذُ أعوام بعنوان (أحلام عازف الخشب) من مهرجان أبو ظبي، وله إصداران، الأول مؤلفاتي الموسيقية، وكل ما يحتاجه الطالب، مكملاً لكتاب الراحل جميل بشير، ومنه يدرس طلبة بيوت العود، والثاني كتبه الصديق الذي رحل مؤخراً خضير ميري وهو بمثابة سيرة روائية.

المدرسة العراقية التي تنتمي إليها هي الأكثر حضوراً في ساحة الموسيقى العربية، ورغم ذلك هناك من يزعم أن هذه المدرسة تكرر نفسها دون تجديد.. ما رأي نصير شمة في ذلك؟

إذا كانت هي الأكثر حضوراً فهذا يلغي فكرة التكرار، لكن هنالك -داخل المدرسة نفسها- كثيرون ممن يقلدون تجارب ناجحة، هؤلاء أصبح عددهم كبيراً وهم منتشرون في كل مكان، قد يدفع أداء البعض من هؤلاء لمقولات

تربطني صداقات كثيرة بالجمهور السعودي وبالفنانين السعوديين من التشكيليين إلى الشعراء إلى الموسيقيين والمطربين والصحفيين وكذلك المتذوقين



كهذه، كون التقليد الضعيف ممل، لا يصدقه المتلقي، لذلك يبدو مكرراً، لكن الرموز الأساسية في المدرسة ناجحون بالتأكيد وتلقى عروضهم حضوراً مهماً.

لا بد من القول إن المدرسة أسلوب وشكل يتجدد من جيل لآخر، مهما تغير التكنيك فالهوية حاضرة، ومن لحظات سماع خاطفة تستطيع أن تتعرف على هوية العازف والمدرسة التي ينتمي إليها، وهذا تراكم لن يأتي بسهولة ولن يذهب سدى.

شوهدت مراراً في مخيم الزعتري للاجئين السوريين ضمن سياق أنشطة ومبادرات إنسانية مهمة.. من المؤكد أنه لا يمكن للفن الحقيقي أن يغرد خارج نطاق قضايا الحياة المعاصرة. إلى أي حد انعكست الظروف التي تمر بها المنطقة العربية على الموسيقى العربية عامة؟ وعلى نصير شمة خاصة؟

ما حصل للشعب السوري غير مسبوق في التاريخ بين حاكم ومحكوم، شخص يدمر كل مدن دولته من أجل أن يبقى على كرسي بلا أقدام وبلا قاعدة، مأساة شعب تفرق منه بالشتات ما يتجاوز العشرة ملايين، خارج ديارهم، بلا مأوى، بلا مال، ولا أفق، تتناهشهم المنافي، ثم تلقفهم العالم الذي لم ينصفهم لا عربياً ولا إسلامياً بشكل حقيقي فتركهم مداداً للبحار، عدا دول جوار سوريا التي وجدت نفسها بين ليلة وضحاها أمام امتحان أخلاقي وإنساني، نجح فيه البعض، والبعض يحاول، والكثير أخفق.

على المستوى الشخصي غيرت هذه الأحداث والحروب مفاهيمي بعد أن أثرت نتائجها سلباً على مستقبل أطفالنا، نسائنا، ومجتمعاتنا.

لو كنتُ على سدة حكم العراق لبنيت للسوريين مدناً لا خياماً وسط العراء، الشعب السوري قبل ثورته شارك قوته اليومي ومدارسه ومستشفياته مع قرابة مليوني عراقي هربوا من جحيم الحرب والاحتلال.

المستشارة الألمانية إنجيلا ميركل أحرجت العالم أجمع بقوة موقفها، الذي تستحق عليه جائزة نوبل للسلام بجدارة، لأهمية ما قدمته في لحظة حاسمة، كان البحر يبتلع كل يوم مئات الأشخاص، كانت المراكب تضرب من حرس البحار قبل أن تصل لدولهم، لكنها هي -والشعب الألماني الذي خرج مرحباً ماداً يد العون للشعب السوري- وضعت أوروبا بأكملها والعالم أمام مسؤوليته الإنسانية وساعدت على احتواء آلاف العوائل الذين سرعان ما انتشروا يعملون ويخدمون الأوطان المؤقتة بالوقت الذي لا يُسمح لهم بالعمل في معظم الدول العربية.



مـن كل هـذا الوجـع كان لابد أن أفعل شـيئاً، كنت في أول أيـام النزوح السـوري إلى العاصمـة الأردنية التي احتضنـت قرابة المليون أو يزيد رغم شـح المياه والوضـع الاقتصادي الصـعب الـذي تعانيـه كمـا شـقيقتها لبنـان، وبدأنـا حملـة (كرفـان لـكل عيلـة) الـذي سـاعد إلـى حـد مـا فـي تخفيـف معاناة العديد من الأسـر المنكوبة وضغطنا كثيراً بعلاقتنا لفتـح الحـدود العراقيـة لاسـتقبال الهاربيـن مـن جحيـم البراميـل المتفجـرة والطائرات التي دفع الشـعب السـوري ثمنها لتقصفه وتلاحقه من مكان لآخر. وبعد ذلك، ونتيجة لسياسـات دوليـة خرقاء، ظهـر تنظيم (داعش) الذي حرق الناس والأرض وبدأت جموع النزوح العراقي وأطلقنا (حملة أهلنا) التي أردناها عراقية في انطلاقها والحمد لله افتتحنا مخيمات جيدة بخدمات أساسية وأوصلنا الدواء والمؤن لكل مكان استطعنا الوصول إليه ومازال عملنا متواصلاً.. لدينا الآن مشـروع كبيـر عبـر جمعيتنا (أهلنا) يقـوم على تحويل الأطفـال الأيتـام وأولئك الذين بلا مـأوى إلى مبدعين في كل مجـالات الحياة هذا بالإضـافة إلى مشـروعي الأساسـي جمعيـة (طريـق الزهـور) الـذي نعالـج مـن خلالـه أطفالاً مـن مختلـف مـدن العـراق، ونتكفـل عبـره بإجـراء عمليات القلـب المفتوح فـي مدينة بانكلور الهنديـة على يد الجراح العظيم ديفي شـتي، وتساعدنا فيه شخصيات إنسانية مهمة من السـعودية والبحرين والإمارات ومصـر والعـراق. وآخر مجموعـة مكونة من ثلاثين طفلاً ستسـافر خلال أيام إلى ذويهـم بعـد أن قدم لهم العلاج، لا يوجد فـي هذه الحياة ما يبهج قلبي أكثر من عودة طفل معافى إلى حضن والديه.

إلى أي حد تضر السياسة بالموسيقى؟

ليسـت الحـروب وحدهـا سـبب الضـرر الـذي لحـق بالموسيقى والفنون بل عوامل كثيرة، والموسيقى اليوم على المسـتوى العربي تضـررت وتأخر تطورها وتقدمها لصالح التشـدد والتطرف والتحريم الذي صـار يعتقد أنصاره أنهم فقط من يمتلكون الصواب، عدا عن أن بعض الدول العربية إلـى هـذه اللحظة لم تفتتح معاهد للموسـيقى، أو لا تسـمح قوانينها بذلك، مع أن الموسيقى تكاد تكون الشكل الإبداعي الأهـم مـن حيـث التأثيـر الإيجابي علـى الإنسـان وتحويله من مشـروع مجرم يفجر نفسه بالأبرياء إلى إنسان حقيقي يحترم النفس التي حرم الله قتلها.

الموسيقى اليوم على المستوى العربي تضررت وتأخر تطورها وتقدمها لصالح التشدد والتطرف والتحريم

والموسـيقى التي أتحدث عنها هي الشكل الإبداعي الذي يسمو بالنفس لأعلى المراتب، وتأخذ بيد الإنسان إلى راحة النفـس والسـكينة والتأمـل، الموسـيقى التي صـارت علاجاً وعنصـراً مسـاعداً للدعم النفسـي والقادرة على جلب حالة من التوازن الروحي للإنسـان، الموسـيقى التي تخلصه من ضغط الحياة ومكننتها.

ألـم يكـن الكنـدي، أحـد أهـم علمـاء الإسـلام، يعالـج بالموسـيقى، وله فيها رسـائل عميقة وعلمية جـداً، ألم تكن الموسـيقى بديـلاً للمخدر في المرحلة العباسـية والأموية والأندلس؟ إذن لمـاذا هـذه الحـرب مـن المتشـددين علـى جمال صنعة الله في الإنسان؟ أليس الوهاب من يمنح البشر مواهبهم وأصواتهم وإبداعهم؟ إذن من أين يأتون بمنطقهم المعادي لطبيعة الإنسـان؟ نحن بأموال الموسـيقى عالجنا الآلاف مـن الأطفـال بعمليـات قلـب مفتـوح منـذُ بدايـة التسعينات إلى يومنا هذا.

بـدءاً بـأول مؤلفاتك (الأميـرة)، وليـس انتهاء بـ (أناجيـه علـى مـلأ) احتلت المرأة مكانة مقدسـة في الإبداع الموسـيقي لنصير شمة. لكننا بالنظر للساحة العربية السـابقة والمعاصرة نلحظ غياباً لحضـور المـرأة العازفة مقابل الرجـل. كيف تعلل ذلك؟

مـن الطبيعـي أن يتنـاول الفنان المـرأة فـي أعماله لأنها المحـرك الأول لأهـم الإنجازات الشـعرية والإبداعية. أقدر المرأة بكل مراحل حياتها وخصوصاً في العالم الثالث، حيث تواجه أقسى الظروف. كذلك أقدر المرأة التي تهتم بفكرها وروحهـا، المـرأة التـي أراد الله أن يجسـد بهـا كمـال الخلـق والعطـاء والنبـل والتسـامح. المـرأة أكثر من نصـف الحياة والمجتمع ومن لا يعرف قدرها يستحق الشفقة.

أمـا المـرأة العازفة فهي موجودة في بيـوت العود وتدرس منـذُ سـنوات وتقـدم عروضـاً موسـيقية ناجحة ولهـا دور لا يختلف لا بالحقوق ولا بالواجبات عن زميلها الشاب.



كان العـود مكونـاً رئيسـاً فـي تجربـة جيل من العمالقة من الفنانين السعوديين أمثال طلال مداح وعبادي الجوهر، على عكس فناني الحاضر سعودياً وعربياً.. كيف ينظر نصير شمة لهذا الاتجاه؟

العود خليجياً يكاد يكون كما الملح لا يخلو منه بيت، ورواده كُثر، وكذلك مـن برعوا بالتعامل معه وحققوا لأنفسهم وأوطانهم نجاحات مهمة وجماهيرية كبيرة، وليس غريباً أن هذه الأداة العجيبة كانت على مر ما يزيد عن أربعة آلاف عام مرتبطة بالعلماء والملحنين والمغنين من الكندي والفارابي إلى إسحاق وإبراهيم الموصلي وصولاً لزرياب وهكذا إلى أن نصل إلى يومنا هذا. ولا يمكن أن نتخيل صورة أي اسم كبير من الملحنين والعازفين دون عوده منذ أيام السنباطي إلى عبد الوهاب والقصبجي، ثم إلى طلال مداح، والصديق عبادي الجوهر وقبله فريد الأطرش وهكذا.

كيف تصف علاقتك بالتراث الفني السعودي؟

بالتأكيد تربطني صداقات كثيرة بالجمهور السعودي وبالفنانين السعوديين من التشكيليين إلى الشعراء إلى الموسيقيين والمطربين والصحفيين وكذلك المتذوقين، وكثير منهم يتابعون عروضي في دول العالم، وفي آخر حفل منذُ شهرين حضر عدد كبير من مدن المملكة إلى باريس حيث شهدوا حفل مسرح الأولمبيا الذي خصصناه للسلام العالمي الذي نحتاجه في كل مكان.

أما التراث الحجازي والمكي وغيرهما والأشكال الإيقاعية التي ميزت المنطقة فأعتبرها كنوزاً نغمية نستفيد منها، ولكن مازالت تحتاج إلى دراسة ومنهجية وحصر للفلكلور الشفاهي الذي توصي به اليونسكو كونه يمثل إرثاً إبداعياً جمعياً للمجتمع، ومن هنا تأتي أهميته ولابد من تسجيله في كل مدن المملكة عبر مسح ميداني، والاستفادة من كبار السن الذين يحفظون الكثير منه، وعلى الرغم من الصعوبات التي يواجهها الفنان السعودي فقد استطاع أن يحقق لبلده انتشاراً ومكانة متميزة على مستوى الغناء والتلحين، لكن على صعيد الموسيقى مازال الأمر يحتاج لتوفير مناخ ملائم ومعاهد مختصة، قبل عدة سنوات طُرحت فكرة إطلاق بيت العود العربي في جدة من قبل مهتمين، وقد وافقت على الفور رغم علمي بما سنواجهه من صعوبات، لأن هناك آلاف الشباب ممن يراسلونني راغبين بتعلم الموسيقى، لدي يقين أن العدد سيكون أكبر من التصور في حال حصوله، لكن المشروع اصطدم بعقبات حالت دون اكتماله.

آمل أن يتمكن الجيل الجديد بمساعدة المثقفين السعوديين من مبدعين وغيرهم من أن يأخذ بزمام المبادرة ويحقق أحلامه طالما هي في قلب الجمال ولا تؤذي أحداً.

ليس بعيداً عن الموسيقى، أعجبتني مجموعة تشكيلية من الفنانين الذين اطلعت على تجاربهم، من مختلف مدن السعودية في معرض مشترك أقيم في دار الأوبرا المصرية، وفوجئت بمستوى البعض منهم لما يتمتعون به من حداثة وانفتاح على تطور حركة الفن التشكيلي في العالم، والفن الحديث. بصراحة لم أكن أتخيل ذلك المستوى المتميز كوننا لم نتعرف على الواقع الثقافي والإبداعي لدى أبناء المملكة العربية السعودية إلا في حالات الرواية وقصيدة النثر.

الأشكال الإيقاعية في التراث السعودي كنوز نغمية يجب الاستفادة منها



تجربتي مع المفكر والشاعر أدونيس ثرية وفتحت لي آفاقاً مهمة جداً في مساري في الفن والحياة

اقترحتم نشــيداً وطنياً لبلدكم العراق. كيف كان التجاوب معكم؟

أنجزت منذ فترة وجيزة نشيد العـراق وهو من اقتراحي ليصبح النشيد الوطني وطلبت من كل الفنانين العراقيين القادريـن علـى تلحيـن عمـل يليق بـأن يكـون نشـيداً وطنياً للعـراق أن يقدموا اقتراحاتهم للشـعب، وهـو الذي يجب أن يختار ما يمثله وما يليق به، هذه المهمة ليسـت سـهلة، لكن حبـي وانتمائـي لبلـدي يدفعني لمسـاعدته فـي كل الطرق والاتجاهات إلى أن تأتي حكومة تقوده لبر الأمان.

كيف تنظر إلى عراق اليوم؟

لقـد دفـع شـعبنا العراقـي ثمنـاً غيـر مسـبوق فـي تاريخ البشـرية من دم أبنائه وسـيادته وحرماته وتهجير وتشـريد الملاييـن بيـن نـازح ولاجئ وجريـح أو قتيل، ونسـأل الله أن يعوض شعبنا خيراً ويمنحنا السلام الذي نحلم به. لابد من وقـوف الـدول العربية إلى جانب العراق لئلا يُترك فريسـة (لـن تكـون سـهلة) بيد دول مجـاورة تحلم بالسـيطرة عليه مثل إيران أو غيرها.

عودة العراق إلى وضـعه الطبيعي ستجعل منه سنداً قوياً للـدول العربية، فقـوة العراق قوة للعرب، وإضـعافه سـيجر خراباً مديداً يذكر بغزو هولاكو والتتار، ووجود داعش اليوم ليس إلا غزواً جديداً للتتار، لكن باسم الدين هذه المرة.

ماهي المشاريع التي تعكفون عليها هذه الفترة؟

أعمل على أسـطوانة جديدة ستظهر هذا العام وقد تشكل انعطافـة مهنيـة جديدة لعلاقتي مـع العـود. وأعمل كذلك علـى افتتـاح بيت عـود عربي فـي أوروبا سـيكون جسـراً بين الثقافتيـن العربيـة والأوروبيـة. كذلك سيشـهد بيـت العود في القاهرة تخريج دفعة من طلبة سـودانيين جاؤوا بمنحة مـن مؤسسـة دال الثقافيـة فـي الخرطـوم ودرسـوا لعامين وبعد تخرجهم قريباً سـوف يكونون مؤهلين لتدريس العود وتقديـم العروض الموسـيقية وتمثيل بلدهم وأنفسـهم في المحافـل الدوليـة. كذلـك سيشـهد بيت العود فـي أبو ظبي في النصف الثاني من الشهر القادم مايو / أيار سيشهد حفل تخرج دفعة من عازفي القانون.

كيف يصف نصير شمة هؤلاء:

يوسف عمر
أيقونة المقام العراقي.
طلال مداح
جسر الخليج في المشرق والمغرب.
فيروز
حارسة الأحلام وصديقة العشاق.
محمد عبد الوهاب
الحنجرة النبيلة والأذن الفذة والملحن الاستثنائي.
صباح فخري
صوت لا نشبع من شدة عذوبته.



على سبيل الأمل

جاسم عساكر: الأحساء

متَى أعانقُ فيكِ الحبَّ يا بلداً
تنكّبَتْ عن هوىً، يزهو بهِ البلَدُ

أتوقُ.. أحلُمُ.. ما استبقيتُ مفردةً
في الحبِّ إلّا بها قد شئتُ أنفرِدُ

فليتَ غيمةَ عشقٍ أنجبتْ مطراً
مرّتْ على جسدي كي يعشبَ الجسَدُ

أو ليتَني وترٌ، يا ليتني وترٌ
قد حرّكتهُ علَى عودِ الغرامِ يَدُ

يُهدي إلى الأرضِ من أصدائهِ أملاً
بهِ تُبلُّ علَى رُغمِ الظَما كَبِدُ

ويستفيقُ علَى أنغامهِ سَهَراً
كلُّ الذينَ على الآلامِ قد رقَدُوا

***

أيقظْ عصافيركَ الخضراءَ يا شَجَري
ودعْ غصونكَ ضدَّ الريحِ تتحدُ

فقد يعودُ بريقُ الوقتِ من سفرٍ
من حولهِ درّةُ الأحلامِ تتقدُ

يا جمرةَ الفقدِ في أحشاءِ قافيتي
مازال يولدُ في الأشعارِ من فُقدوا

حزنُ الذينَ معي ماضٍ إلى أبدٍ
لكنَّ حزنيَ لا يمضي بهِ أبَدُ

***

يا ريحَ عمريَ كم بدَّدتِ من شَجَرٍ
كُفّي صراخاً، فقد يَستَجْمعُ البددُ!

دعي مراجيحَ آمالي بمقربةٍ
منّي، سئمتُ لها أدنو وتبتعدُ

في داخلي ظامئٌ سارتْ به قدمٌ
نحو المسراتِ، لكنْ جفّ ما يردُ

يُصغي إلى وجعٍ من خلفِ نافذةٍ
ما سالَ من صدرِها الإشراقُ والرغَدُ

مسافراً في هزيعِ اليأسِ مصطحباً
حقيبةَ الليلِ، لم يشرقْ عليهِ غَدُ

***

أنا المحبُّ الذي أضناهُ خافقُهُ
كأنّني فرطَ هذا الحبِّ مضطهَدُ

وكلُّ أنّةِ عصفورٍ تعذّبُني
يا للعذابِ! أ يبكي الطائرُ الغرِدُ؟!

تجرّحتْ من حصادِ الشوكِ أغنيتي
ومسّني طائفٌ مِنْ ريحِ من حُصِدوا

فما تدرَّبتُ في عزفي على لغةٍ
إلاّ لأحضنَ في الإنسانَ ما يجدُ

واضيعةَ الأرضِ، يلهو المترفونَ بها
حتّى كأنَّ لها لمْ ينتبهْ أحَدُ

قلبي مدينةُ من تاهتْ مسالكهُمْ
ومَنْ همُ بسياطِ الحُزنِ قد جُلدوا

والحبُّ ما خفيتْ عنَّا دوافعُهُ
لا الحبُّ فتوىً ولا الإحساسُ مجتهدُ

عبدالرحمن الداخل واستشراف المستقبل



د.عبدالله ناصر الحديب: الرياض

تعتمد تصرفات القائد على حصاد خبراته السابقة، مع نظرة استشرافية للمستقبل؛ بُغية تحقيق الآمال والأحلام، كي تتجسد على أرض الواقع، وتصبح حقيقة. كل ذلك يلوح للمتأمل في شخصية عبدالرحمن بن معاوية بن هشام (عبدالرحمن الداخل)، ذلك الشاب المغامر، والأمير الأموي الذي استطاع أن يُقيم ملك بني أمية بعد فترة انقطاع تُعد قصيرة جداً في عمر الزمن، وهي ست سنوات فقط (132-138هـ)، هي تلك السنوات التي فصلت بين سقوط الخلافة الأموية في مشرق العالم الإسلامي، وقيام الدولة الأموية في الأندلس.



لقد أقام دولته وهو الذي كان مُطارداً من بني العباس، وغير مُرحب به في الأندلس في تلك الفترة، فضلاً عن أن يكون عليها أميراً، فواجهته ظروف عصيبة وسنوات قاسية، استطاع أن يتجاوزها بفضل الله تعالى، ثم بجهده، وما وهبه الله من شخصية أهلته ليخلد عبر صفحات التاريخ الإسلامي: أن الدولة العباسية التي استطاعت القضاء على حكم بني أمية، وإن كثرت أملاكها؛ عجزت عن امتلاك (الأندلس) التي استقل فيها عبدالرحمن الداخل وجعلها إمارة له ولأبنائه من بعده.

وكي لا نسهب في الحديث عن هذه المعلومات التي يعرفها المثقف العادي، فضلاً عن كل مهتم بالتاريخ ومتخصص فيه؛ ننتقل إلى سمة من سمات عبدالرحمن الداخل، وهي (الوعي السياسي بالتاريخ واستشراف المستقبل)، من خلال استعراض بعض النماذج، ومنها:

عناصر الدولة

لا شك أن قيام الدول يعتمد على الشعب أو عناصر المجتمع، وقد أدرك عبدالرحمن الداخل أن دولة آبائه وأجداده التي دالت بالمشرق كانت تعتمد على العنصر العربي، وتتعصب له دون غيره من بقية العناصر، الأمر الذي حدا بالعناصر الأخرى للانضمام لبني العباس في بدايات ظهور دولتهم. ومن جهتهم اعتمد العباسيون على العنصر الفارسي، ثم العنصر التركي في دولتهم، وسعوا إلى تحجيم دور العنصر العربي. وبالرغم من أن عبدالرحمن الداخل لم يمتد به العمر ليرى آثار وعواقب اعتماد العباسيين على عناصر الفرس والترك؛ إلا أنه أدرك أن تصرف أسلافه الأمويين بالمشرق لم يكن موفقاً، فلذلك عندما قدم إلى الأندلس لم يُعَوّل كثيراً على العنصر العربي دون غيره، بل استفاد من كل العناصر ليحقق التوازن، فاعتمد على العرب (المتمثلين في القيسية واليمنية) تارة، والبربر تارة أخرى، وكذلك الموالي وسكان البلاد الأصليين وبقية العناصر الأخرى.

يقول أحد المؤرخين: ومضى عبدالرحمن بثاقب نظره وحصافته السياسية في تثبيت أركان دولته، فلم يكافئ اليمانيين على مناصرتهم لقضيته، ولم يقتص من المضريين لمحاربتهم إياه، لقد اتبع سياسة متوازنة بين الطرفين، وبدأ بتشكيل جيش ثابت الولاء له، فاستكثر من جلب البربر من العدوة المغربية. ليس ذلك فحسب؛ بل إن بعض أبناء عمومة عبدالرحمن الداخل الذين نجوا من بطش العباسيين، وقدموا عليه بالأندلس؛ لم ينالوا مناصب مؤثرة في دولة الداخل.

لقد كان عبدالرحمن الداخل يستشرف أن تستمر دولته، وأن يبني دولة يَسري في عروقها حس الانتماء للمكان (الحس الوطني) الذي يحفظ ويحافظ على كيان الدولة لتبقى قروناً من الزمان، فلم يعتمد على القبيلة، وقد نقول: أين اعتماده على (العقيدة)؟ فتأتي الإجابة: إن كلاً من الأمويين والعباسيين في المشرق أيضاً كانوا يعتمدون على الدين (العقيدة الإسلامية)؛ إلا أن جانب التعصب للقبيلة أو القومية يطغى ويؤثر، لذلك حرص عبدالرحمن الداخل على تحقيق التوازن بين عناصر المجتمع الأموي الأندلسي ليكون مزيجاً واحداً للمحافظة على الوجود الإسلامي في الأندلس المتمثل في استمرار بقاء الدولة الأموية، وقد تكون محاولة (الداخل) بهذا المزج لم تؤت أكلها في العقود الأولى من عُمر دولته، لكن بعد ذلك رأينا شيئاً من آثارها، ومنها: أن كُتب التراجم سطرت أسماء الكثير من الأعلام والعلماء، ليصبح مؤلفوها ينتسبون إلى مدنهم وأقاليمهم، فهناك: القرطبي، والأشبيلي، والطليطلي، والسرقسطي.. رغم أن بعضهم قد ينتسب إلى إحدى القبائل العربية أو الموالي أو بعض أسر المولدين في الأندلس. لذلك حق لنا أن نقول: إنه كان هناك وعي سياسي من عبدالرحمن الدخل، يُحتّم علينا أن نوضحه فيما سبق من سطور وما سيأتي.

ولاية العهد

بعد أن أمضى عبدالرحمن الداخل ربع قرن من الزمن في توحيد الأندلس، والتصدي للخصوم، والعمل على توطيد الحكم فيها، وإشاعة الاستقرار، والقيام على بناء

استطاع الداخل أن يقيم ملك بني أمية في الأندلس بعد ست سنوات فقط من سقوط الخلافة الأموية في المشرق الإسلامي



دولتـه؛ أدرك (الداخـل) أن كل هـذا الجهـد سيصبـح أثـراً بعـد عيـن إن هو عَهد بالإمارة لابنه سليمان الذي كانت أُمه عربية، وسليمان هذا هو الذي لحق بوالده بالأندلس هارباً من بطش بني العباس، وهو الأكبر سناً والأحق بولاية العهد، وفعـلاً أصبـح (الداخـل) أمـام أزمة لم يتجاوزهـا إلا بعد أن أسند ولاية العهد لابنه هشام الذي كانت أمه إسبانية -أهل البلد الأصليين- رغم أن هشاماً الأصغر سناً، وبالفعل آلت الأمور لهشام، ومع معارضة سليمان لأخيه هشام، وما حدث بينهما من صدام؛ إلا أننا لن نتوقف بالتفصيل عن أسباب اختيار عبدالرحمن الداخل لابنه هشام ليكون ولياً للعهد.

ثـم ما يُدريك أن سليمان إن آلت إليه الإمـارة لن يعتمد على العنصر العربي، ويسير على سير أسلافه من بني أُميَّة بالمشرق، وهو الأمر الذي لم يفعله عبدالرحمن الداخل؛ لأنـه أراد أن يحفـظ كيـان الأندلـس مـن خـلال عناصـر المجتمع الذي أراد ألا تكون عناصـره إما عربية أو إسبانية أو بربريـة؛ بل عناصـر مجتمـع أموي أندلسـي يكون الولاء منها للمكان حيزاً، وإن كان حيزاً يأتي في المركز الثاني بعد الإسلام.

لقـد كان (الداخل) يستشـرف أن ابنه هشام هو الأنسب ليكـون وليـاً للعهد، ليس مـن واقع الاختيـارات التي ذكرتها بعض الروايـات التاريخية فحسـب؛ بل إنه أدرك أن هشـاماً هو رجل الفترة القادمة الذي سيتقبَّل منه عناصر المجتمع (الشـعب) ويتقبَّل منهم، فهو الـذي ولد بينهم، وهم أخواله -مجازاً، والأقرب للطبيعة والبيئة الأندلسـية. لقد كان هذا الاختيـار هـو رؤيـة والـده الداخـل، (فنجح الاختيـار ونجح المُخَتـار)، كمـا أن تلك الفترة أيضـاً كانت تشـهد النقلة في المذهب الفقهي الإسـلامي من مذهب الإمام الأوزاعي إلى مذهـب الإمـام مالـك بـن أنس -إمـام دار الهجرة-، بفضل عـودة بعض من طلاب العلم الأندلسـيين إلى الأندلس من أمثـال: الغازي بن قيس، وأبي موسـى الهـواري، ومحمد بن بشـير المعافري.. وغيرهم، فقد كانـت الأندلس مقبلة على نقله علمية وفكرية تواكب مستجدات الفترة القادمة آنذاك.

استشرف الداخل استمرار دولته عبر حس الانتماء للمكان الذي حافظ على كيان الدولة لتبقى قروناً من الزمان

اكتفى بالإمارة ولم يعلن الخلافة

لقـد كانت الدولـة الأموية قبل زوالها هي صـاحبة الحق فـي الخلافة، إلا أنه بزوالها آلت الأمور لبني العباس الذين تسـمَّوا بالخلافـة، وعندمـا اسـتقل عبدالرحمـن الداخـل بالأندلـس، لم يشـأ أن يُعلـن الخلافة مُراعياً فـي ذلك عدَّة اعتبارات، يأتي في مقدمتها الاعتبارات الشرعية بعدم وجود خليفتين للمسـلمين، وأنه لم يُرد أن يؤلب عليه العباسـيين ودولتـه مازالـت فـي طـور التأسـيس والبناء، ولذلـك اكتفى بالإمـارة، وظلت الدولـة الأموية بالأندلس إمارة حتى سـنة 316هـ، عندما أعلن عبدالرحمن الثالث (الناصر) الخلافة.

مـن خـلال اسـتعراض النماذج الثلاثة السـابقة؛ يتضـح بجـلاء مـا كان عليـه عبدالرحمـن بـن معاويـة بـن هشـام المعـروف بالداخل من رؤية سياسـيَّة مكنـت للحكم الأمويّ فـي الأندلـس أن يسـتمر ثلاثة قـرون (من سـنة 138هـ حتى سـنة 422هـ). وبذلـك كانـت الدولـة الأموية فـي الأندلس أطول عمراً من سابقتها الدولة الأموية في المشرق التي لم يتجاوز حكمها تسعين سنة.



خديجة النمر: الأحساء

(لم يبق في يدنا إلا أن نصلي وندعو له.. أفضل هدية تقدمها لميت هو أن تعينه على غسل ذنوب لم يسعفه الوقت لغسلها)..

هذا حرفياً ما قاله أخي في طريق عودتنا من المقبرة! وفي محاولة لتصديق أنه قال هذه الجملة بالفعل كان عقلي يكرر صورته التي تشبه شيخاً يقدم خطبة جمعة ضمن وظيفة محددة ومرسومة..

منذ صار يئن عند الجلوس ويأخذ وقتاً أطول للقيام من السفرة أصبحتُ متصالحاً إلى حد ما مع فكرة الاستيقاظ في يوم من الأيام دون أن أجد أبي في البيت، كنت أتخيل الموقف أحيانا كنوع من التدريب على تلقي الصدمة، أن أستيقظ ولا أجد له أثراً ولا أسمع له صوتاً ثم أتذكر أنه توفي قبل يوم أو يومين. الموت أعرفه جيداً وأدرك أنه مصير كل حي، وراض بقدر الحي في فقد الأعزاء الميتين. لكن ما لا أطيقه أو أستسيغه أبداً هو فكرة البر بالأموات.. وكذلك فكرة اقتراب الإخوة من بعضهم بعد رحيل آبائهم.. أخي غير الشقيق الذي كان مستقراً في الرياض حينما وُلدت حاول التقرب مني بعد رحيل والدي، شعرت بنفور شديد تجاهه وتجاه فكرة الأخوة الطارئة التي تطبطب على يتمي. كرهت تلك الحالة كثيراً.. خصوصاً أنني أتذكر جيداً أن علاقته بوالدي لم تكن جيدة.. كان صوتاهما دائماً أعلى من المقبول حينما يجتمعان مهما كان موضوع الحديث. كان يحبه بالتأكيد، وأبي كذلك، لكنهما لا يجيدان



التعبير عن الحب كما يجب، يعبران عنه تعبيراً كريهاً، يغضب منه والدي لغيابه، إذ لم يكن راضياً أصلاً عن تركه للأحساء واستقراره في الرياض هاجرا بيت أهله الكبير وأرض أجداده، وكان يبدأ عتاباً مريراً كلما رآه لأن أحفاده الذين يذكرونه بولده يكبرون بعيداً عن جدهم وأهلهم. فيغضب هو من أبي الذي يتهمه بالعقوق، ويحاول إثبات بره بالصراخ، وهكذا تصبح لقاءاتهم الفائضة بالشوق مليئة بالجدال الذي لا ينتهي.

تصدّر أخي مجلس العزاء في صورة فاقعة على الواجب الاجتماعي المؤسس للنفاق، لكنه كان مريحاً لي، فقد كنت أحوج ما أكون لسماع الصمت اللائق بحضور الموت، لكن تلك الأغلبية من الناس تدفقوا في محاولة لاضطهاد الموت بالثرثرة وضجيج كلمات التأبين والترحم وكأننا في عرس، رأيت بأم عيني كيف تسأل تلك الوجوه التي لا أعرفها عن أحوال الصحب القدامى بفرح! كان اجتماعاً لممارسة النوستالجيا العابرة.. قلت في نفسي لابد من وجود شخص يتصدى لمسرح الحزن المدعى الكبير هذا، وأخي خير من يسند له هذا الدور.

حينما انفض المجلس ولم يبق إلا أسرة الفقيد الصغيرة، ورجل دين من أقربائنا، أظهر من جيبه ورقة كبيرة وقال: هذه وصية الفقيد التي ائتمنني عليها.

كان ملخص الوصية أن يرث أخي الأكبر الثلث، فيما يقتسم ما سواها بقية الورثة بما فيهم أنا وأخواتي التسع الشقيقات وغير الشقيقات. وبحسب القسمة الشرعية المفصلة في كتب الفقه.

بعدها ببضعة أيام حدثني أخي وطلب مني شرب قهوة معاً.. سألته أين؟ فقال في أي مكان تحبه.. أخذني بسيارته إلى مقهى قريب وجلسنا، سأل عن أحوالي، وحال كل من أعرفهم، ثم عاد وسأل عن أحوالي مرة أخرى وثالثة وعاشرة.. كانت عيناه تطفوان بماء الشفقة، وصوته يحنو أكثر مما يجب، وشعرت أنه يريدني أن أشعر أنني طفل في الخامسة توفيت أمه وأنه يعرض سد الشاغر الطارئ. نفرت بشدة.. كنت أنظر إلى عينيه متأملاً التجعيدات تحت عينيه وشعرتان بيضاوان في حاجبه الأيمن، أفكر في عقوقه الغبي.. لقد عاش مرتاحا واعدا نفسه بالبر بأبي بعد رحيله.. في رسالة مضمرة للذات أن الابتعاد كان مبرراً لأنه سيتم التكفير بالترحم أو بصلاة ركعتين عنه فور العودة من المقبرة.

كنت أظنه سيحدثني عن الوصية، لكنه حدثني عن الحياة، بدا حكيماً لأول مرة حينما ابتدأ حديثه بأن الحياة ليست عادلة، وأن البشر أكثر تعقيداً مما أظن، وأن الواجبات الاجتماعية التي لا أهتم بها هي التي تهندس حياتنا كلها حتى على مستوى مشاعر أقرب الأقربين كما فعل أبي (والدي يعلم أنني أنا من سيبني مسجداً باسمه وليس أنت، يعلم تماماً أنك لن تسمي ابنك البكر باسمه البشع كما فعلت أنا، ويعلم أيضاً أن الناس ستظل تراه وتذكره في وجهي أنا وليس من خلال خاطرة تكتبها لتواسي مشاعرك الحزينة) وظل عقلي يردد كلماته هذه.

لم أكتب خاطرة تعزية في والدي.. لكنني مع مضي الوقت صرت أراه في وجه أخي.

آخر إجازة عامة كتبتها إلى الآن في الأسانيد والمرويات

تباريح



أبو عبدالرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: ليقيني باستيعاب هذا النموذج المبارك مجامع الخير بحذافيرها: آثرت أن يكون أهم تباريحي بالمجلة العربية، وإليكم النص:

الحمد لله رب العالمين لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشكره على آلائه وإحسانه.. وأعظم نعمه نعمة الإسلام، والنشأة على الإسلام في البيت والمجتمع والدولة.. وأصلي وأسلم على عبده ورسوله النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. واجعلنا معهم ومنهم بمنّك وفضلك وكرمك وجودك ولطفك وبرك وإحسانك وعفوك وغفرانك ورحمتك يا أرحم الراحمين.. آمين آمين آمين يا رب العالمين.

أما بعد: فإن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء؛ فندب الله عدول الأمة بقضائه الكوني لتحقيق هذا الدين وتمييزه وحفظه ضمانة لقضائه الشرعي؛ إذ أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بحفظه هذا الدين الخالد المهيمن الناسخ غيره من الأديان، وامتدت بركة الإسناد إلى علوم المسلمين الأخرى؛ فكانت مؤلفات المسلمين تعرف بأسانيدها كما في كتب الفهارس والبرامج والأثبات؛ وكل هذا من خصائص أمة محمد.. وفي حكم الإسناد معرفة خطوط العلماء والنساخ، وما يوجد على الكتب الخطية من علامات المقابلة، وإثبات أسماء أهل السماع والمتملكين.. وكان عند العلماء السابقين ما يشبه الطبعة الأولى والثانية والثالثة.. إلخ، بما يضيفونه أو يسقطونه بالتهذيب والتشذيب.. عرف ذلك من المقارنة بين النسخ، وتمييز كل راو للكتاب بروايته كما نجد في فهرسة ابن خير مثلاً حينما يذكر الفروق بين روايات الرواة؛ ولهذا ميز العلماء الكتب المنحولة، وما نسب لغير مؤلفه وهماً، وقد استقرت كتب المسلمين، ولم نعد بحاجة إلى الإسناد في هذا العصر؛ وإنما ثمرة الإسناد الآن في أمرين:

أولهما: الأسوة بصلحاء الأمة وعدولها، وتحقيق اتصال السند بين الأجيال، وهذه الأسوة كما قال الشاعر:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

وثانيهما: حفظ المؤلفات الحديثة بالإسناد وإن كانت معروفة الهوية بالمطبعة والناشر وتاريخ النشر، وتحقيق المنفعة وسنة السلف في قراءة الكتب على مؤلفيها، أو تعهد قراءتها من أجل الإجازة؛ ولهذين الأمرين أجزت الأستاذ (.......) بالإجازة العامة إلى أن تتيسر قراءته علي أحد الكتب أو بعض كتاب؛ فتكون الإجازة عن سماع مني وسماع منه، كما أعد في لقاء آخر إن شاء الله تعالى أن أسلمه صورةً من كل إجازة لي من مشايخي.. وإنني أوصيه بالحد -بالحاء المهملة- من الحماس لأهل الظاهر، والتقليد لهم، بل عليه حذق الظاهر نفسه تأصيلاً من الشرع والفكر واللغة؛ فالظاهر ما حصل اليقين أو الرجحان بأن الله أراده في خطابه الشرعي من معنى صحيح في لغة العرب؛ فلا بد من برهان التصحيح لغة، ولا بد من برهان الترجيح على مراد الشرع يقيناً أو رجحاناً، والتوقف فيما لم يتبين رجحانه أو مرجوحيته مع مواصلة البحث عن حكمه.. وأوصيه وزملاءه ومشايخه وما قد يكون له من تلاميذ، وأوصي نفسي بالحرص على العلم النافع، وإحسان النية فيه؛ بأن يكون خالصاً لله سبحانه وتعالى.. وأوصيه بنصرة مذهب أهل السنة والجماعة إذا كان اتباعاً بإحسان للسلف من المهاجرين والأنصار ذوي السبق والأولية رضي الله عنهم.. ينصر مذهب السلف بالعلم والفكر والرفق والكلمة الحسنة.. وأوصيه بمحاربة البدع ولا سيما التصوف الذي انتشر بين المسلمين، ومحاربة الغلو والإرهاب وتطرف الإخوانيين فيما خالفوا به مذهب السلف.. ومن أهم مذاهب السلف نصرة الحاكم المسلم، والالتفاف حوله في غير معصية الله؛ ولهم

أسوة ببقية الصحابة رضي الله عنهم وقدماء أئمة المسلمين رحمهم الله تعالى؛ فقد رأوا بأعينهم انتقال الخلافة الراشدة إلى ملك رحمة؛ فأنكروا بقلوبهم وألسنتهم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وتأخير بني أمية الصلاة عن وقتها، وسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وقتل حجر بن عدي رضي الله عنه، وقتل سعيد بن جبير رحمه الله تعالى.. وجاهروا في الإنكار، ولكنهم لم يشقوا عصا الجماعة، ولم ينقضوا البيعة، ولم يرفعوا يد الطاعة والمؤازرة والمناصحة في السر، وساعدوا حكامهم: بجهاد العدو، وقتال الخارجين على السلطة، وبالعمل معهم في القضاء والفتوى، ولم يفتوا إلا بما يعتقدونه، ولم يفتوا على أهواء السلطان.. بل هذا أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ضرب وعذب، ورأى زملاءه يقتلون؛ فلم يخف، ولم يتراجع.. ولكنه لم يخرج على البيعة، ولم يشق عصا الطاعة، وعارض ابنه لما اقترح عليه الدعاء على يزيد بن معاوية ولعنه؛ فقال: متى رأيت أباك يلعن الناس؟!!.. وقال: لو كان لي دعوة مستجابة لدخرتها للسلطان!!.. وأوصيه أن يقدم الأهم على المهم في العلم، وأن يقدم مستغلق العلوم على غيرها في أوقات النشاط بعد النوم وفراغ البال من المشاغل.. وأجيزه برواية جميع مروياتي عن مشايخي، وهم سماحة المحدث الشيخ العلامة أبو زاهد عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وسماحة الشيخ الفقيه الحنبلي عبدالله بن عبدالعزيز العقيل رحمه الله تعالى، وفضيلة الشيخ أبو محمد عبدالحق العمري رحمه الله تعالى، كما في روايتهم بفهارسهم، سأناوله إياها إن شاء الله تعالى من صور إجازات بعض مشايخي الآخرين.. كما أجيزه رواية مؤلفاتي، وأرجو منه تجاهل مؤلفات لي تراجعت عنها كلها مثل (نظرات لاهية) أو تراجعت عن بعض الأبحاث في بعضها مثل (هكذا علمني ورد زورث) (هذا اسم أعجمي مركب يفتح طرفاه في كل حال) و(النغم الذي أحببته).. (كل الضم على الحكاية)، وأن لا أكون قدوة له في إباحة الغناء؛ فإنني أبرأ إلى الله مما خطه قلمي سابقاً، ولا أبيح منه إلا ما أباحه الشرع بشروطه في نطاق ضيق.. مع أن ترك سماع المباح منه (وهو قليل جداً) أفضل، بل ترك اللهو واللغو والعبث هو الأفضل من أجل السلامة من مغبتهن، وتحقيق ما هو أجل وأفضل؛ وذلك هو العلم النافع تعلماً وعملاً وتعليماً.. وألحق بوصيتي السابقة وصية أخرى؛ وهي اتباع العلم النقلي الأناة والتبصر فكرياً من جهة: دقة التمييز بين الأشياء، ومعرفة الفروق والعلاقات بينها، ومعرفة أحكام العقل الذي هو حجة شرعية قطعية في فهم الشرع: من إحالة المحال، وإمكان الممكن، وإيجاب المتعين، والتوقف عما لم يحصل بعلم يقيني أو رجحاني.. وأوصيه أن يفرق بين درجات العلم؛ فهناك علم وجود، وآثار موجود، ووصف له من قبل من يوجب العقل أو التواتر تصديقه.. وهناك علم وجود وكيفية وكمية، وهناك علم بالشيء من وجه، وعلم بالشيء من أوجه.. إلخ، مع تحرير محل النزاع في كل خلاف.. وأوصيه بالتخلق بآداب البحث والمناظرة؛ فإن عصرنا بحاجة إلى علماء مفكرين، وأما النقل البحت دون مسؤولية السمع والبصر والفؤاد فإنما هو زيادة نسخة في البلد!!.. وأوصيه بالتضلع في اللغة؛ لأن ديننا بلغة العرب، ويكفي في ذلك مقاييس اللغة لابن فارس، والمفردات للراغب، وأساس البلاغة للزمخشري، والجنى الداني في حروف المعاني، وديوان الأدب للفارابي، وكتاب سيبويه، وكتاب المبرد (وكلاهما في النحو).. وأوصيه باقتناء (تاج العروس) للزبيدي، و(تكملة المعاجم العربية) لـ (رينهارت بيتر آن دوزي)، و(المعجم الكبير) الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ ليتوسع بهما إذا أراد التعمق بلا تكلف؛ فإن الاستيلاء على مسألة واحدة يسهل الاستيلاء على مسائل أخرى؛ فكلما استزاد فذلك خير وبركة؛ وإنما ينبغي

التقصـي إذا تفـرغ لتحقيق مادة لغوية، أو صيغـة صرفية، أو حرف مـن حروف المعاني، أو مسألة فـي الكلام المركب من النحـو أو البلاغـة.. وأوصيه بالعناية بالنحـو الثاني الذي هو البلاغـة، ويكفي في ذلك كتابـا عبدالقاهر، وكتاب التلخيص وشروحـه.. وأوصيه بتصفح كتب مصطلـح الحديث، وأصول الفقـه.. ويكفيه قراءة وتحقيقـاً كتابا (البرهـان)، و(البحر المحيط)، وكلاهما للزركشـي رحمه الله تعالى.. كما أوصيه بكثـرة القراءة والتصفح قبـل التأليف تحقيقـاً لقول الصفي الحلي:

لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً

إلا لتسـمـع ضـعـف مـا تتكلم

فهذه وصية نافعة، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها.. وأما التبحر في تفسير كلام الله، وشروح أحاديث رسول الله: فيجب أن يصـرف لهن عمره منذ شرخ الشباب قـراءة وتدويناً.. إلا أنه في تدوينه يبدأ حسب وفيات المؤلفين، أو تأريخ التأليف إن وجد ذلك؛ ثم لا يأخذ عمن بعده إلا ما عنده من زيادة تفسيراً أو استـدراكاً.. وأمـا الموافقة في المعنـى وإن اختلف اللفظ؛ فيقـول في الحاشية عند الإحالة إلـى المتقدم: (ووافقه فلان في كتابه الفلاني)، ثم يذكر الجزء والصفحة وهوية الطبعة، أو يذكـر قليلاً من ذلك بالإحالـة إلى كتبهم، ثم يقول: (وعلى هذا جمهـور العلماء) إن كان هذا هـو رأي الجمهور، وأما إذا كان رأي الجمهـور غير ذلـك فيتقصى الإحالـة إلى كتبهم.. وأوصيـه أن يستغل جزءاً من وقت النشـاط في قراءة حواشي العلماء المتأخرين، والحواشي على الحواشي، والهوامش على الحواشي؛ فإنها مليئة بكنوز من العلم في غير مظانها.. وبقية النشاط (ولا سيما بعد النوم، وفراغ البال): يصرفه في قراءة العلوم الصعبة، وأما عند ضعف النشاط فيكون التصفح للعلوم السهلـة كالتراجم؛ وكتـب المسامرات والمحاضـرات، وكتب التاريـخ؛ لسهولتها.. وليصحب قراءتـه وتصفحه بالتقميش؛ فقـد قال شيخي أبو غدة رحمه الله تعالى: (فتش، ثم قمش)؛ وذلك بأن يعلم على ما يريده بقلم رصاص خفيف، ويضع رقم الصفحـة فـي الغلاف، ثم بعـد الفراغ من المجلـد يسجل ما قمش في كناشة كما قال الناظم:

لا بـد لـلـطـلاب مـن كـنـاش

يـكـتـب فـيـهـا قـاعـداً أو ماشي

قـال أبو عبدالرحمن: مستعلـن (/ 5 / / 5) إذا لم تكن لازمة في كل القصيدة: فهي كسر للوزن لم يحس بقبحه أكثر الشعـراء؛ لأنهم يعتمدون على التقطيع البصري للعروض، ولا يعتمدون الغناء بالقصيدة غناء ساذجاً بلا آلة كما قال حسان رضي الله عنه:

تغـن بـالـشـعـر إمـا كـنـت قائله

إن الغناء لـهـذا الشعر مضمار

والنـاظمـون يتجـوزون فـي نظـم العلـوم على بحـر الرجز بزحافات وعلل (غير لازمة في القصيدة كلها) يقبح سماعها.. ويسلس ذلك النظم لو قال:

لا بـد لـلـطـلاب مـن كـنـاش

يجبى لها من قـاعـد أو ماشي

أو (لابـد للتقييـد) 1.. وأوصيـه بذكـر هويـة الطبعـة في الكناش؛ فلو استبدلت الطبعة فـي مكتبته بغيرها يسهل عليه الرجوع إلى الطبعة التي قمش منها من مكتبة عامة.. وأوصيه بالاطـلاع على كتب الرواية بشرط ألا يتشوف إلى رواية أخرى (ولو طالـت المدة أشهراً لا تزيد على عام) حتى يستولي على مادتها، ويحيط علمه بأعلامها ورموزها؛ لأن فهم رواية واحدة متعة من جهـة، وتحصيل دفق من العلم عقيـدةً وثقافة عامة وعلمـاً معاصـراً وفكـراً وإحساسـاً جمالياً لا حد لـه من جهة تصوير الأشخاص والمكان، وفيه تهذيب للذائقة الأدبية أداءً.. وليبدأ بالروايات المترجمة؛ فإنها الأساس لاستلهام الروائيين مـن العرب، ويقدم ما ترجم أكثر من ترجمة لذوي اختصاص في ثقافـة اللغتين.. يترجمـون الصور المجازيـة، وخصوصَ اصطلاح ضمن مصطلحات أخرى مختلفة تطابق مراد الكاتب بأداء خـلاب كترجمات أحمد حسن الزيـات ودريني خشبة.. ومثـل ذلك مـا كان ذا سياق يعتمد على معطـى ثقافي يفسره كروايـة (الإخوة كارامازوف)؛ فلن يفهمها من لم يقرأ (سفر أيوب) الإلحادي الوضعي الذي تبرأ منه أهل الكتاب النصارى، وافتـراه كذبة يهود الذين يشترون بآيـات الله ثمناً قليلاً؛ فهو إذن مـن وضع يهود.. وأجيزه الآن بهـذا الإسناد؛ لتكون أثباتُ وبرامـج وفهارس من ذكـروا في السند مرجعـاً له كـ (حصر الشـارد) للسندي، و(قطف الثمـر) للفلاني، وثبت الكزبري، وفهرسـت الحافظ ابن حجر، وثبت الـوادي آشي رحمهم الله تعالـى؛ فتكون أسانيدهم إلى الكتب من روايته بإجازتي، وهذا هـو إسنادي إلـى عبدالحق: (قال أبـو عبدالرحمن محمد بن عمـر بن عقيل: حدثني شيخي إسماعيـل بن محمد بن ماحي بـن عبدالرحمن الأنصاري رحمـه الله تعالى بمدينة الرياض فـي21 / 5 / 1400هـ إجازة بعد قراءتي أحاديث من (صحيح مسلـم)، وبعد قراءته بحثاً لي مطـولاً عن معنى الأمية.. قال: حدثني الشيخ أبو محمد عبدالحق المكي في 21 / 2 / 1372هـ

إجازة قال: ح.. قال أبو عبدالرحمن: وحدثني شيخي أبو تراب الظاهـري رحمـه الله تعالـى بالإجـازة العامـة مشافهة: عن أبيـه عبدالحق إجازة قال: ح.. قـال أبو عبدالرحمن: وحدثني الشيـخ المذكور أبو محمد عبدالحـق المكي الهاشمي العمري المدرس بالحرم المكي رحمه الله تعالى، وهو والد شيخي أبي تـراب الظاهري (بمنزلـه بمكة المكرمة منذ ثلاثـة وأربعين عاماً مشافهة وكتابـة بالإجازة العامة لجميع مروياته).. قال: أجازنـي شيخنا أبو سعيد الحسن بـن عبدالرحيم: عن السيد نذير حسين الدهلوي: عن الشاه إسحاق الدهلوي: عن عمر بن عبدالكريم: عن الشيخ محمد عابد السندي بنفس إسناده لكتب عبدالحق المدون في (حصـر الشارد).. قال أبو عبدالرحمن: وبالإسنـاد المار الذكر إلى السيد نذيـر: عن عبدالرحمن بن محمـد الكزبـري: عن صاحب قطـف الثمر الشيـخ صالح بن محمـد بن نوح العمري الفلانـي المسوفي المغربي قال: رويت جميـع كتـب أبـي محمـد عبدالحق بـن عبدالرحمـن الأزدي البجائي رحمه الله تعالى بالإجازة عن شيخي محمد بن سنة، وقـرأت عليه (الأحكام الصغرى) من أولـه إلى آخره، وقرأت عليـه كتاب (الأحكام الكبرى) إلى كتاب الزكاة.. روى شيخنا ابـن سنة كتب عبدالحق عالياً عن مولاي الشريف محمد: عن محمد بن خليل (عـرف بابن أركماش الحنفي): عن الحافظ ابن حجـر العسقلاني: عن إبراهيم بـن أحمد بن عبدالواحد التنوخـي: عن محمـد بن جابر الـوادي آشي سماعـاً.. وقال: قـرأت بعض (الأحكام الصغرى) من أولها على الشيخين أبي محمـد عبدالله بن هـارون، وأبي زيد عبدالرحمـن بن الدباغ مفترقيـن، وناولانيها، وأجازانيها بروايـة الأول منهما لها عن الشيخين أبوي الحسن علي بن فاتح البجائي، وسهل بن مالك إجـازة منهما له بسماع الأول مـن مؤلفها وإجازة الثاني منه.. وبروايـة الثاني لها: عن شيخـه: عن أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن عيسى: عن المؤلف المذكور عبدالحق).

قـال أبـو عبدالرحمن: وقـد أجازوني بروايتهـم كل الكتب المذكـورة في الأثبـات التي مر ذكرهـا؛ وإنما ذكـرت الإمام عبدالحـق نموذجاً؛ فأنـا أروي كتب السنة والتفسير وكتب ابن حزم.. إلخ بهذه الأسانيد؛ وبهذا أجيزه، وأوصيه بعد ذلك بكتب الرحلات تصفحاً وتقميشاً؛ فإن فيها ما يخدم الفهارس.. والله أسـأل أن يعلمنا ما ينفعنا دنياً وآخـرة، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعمـر بقية أعمارنـا بالعصمة والصحـة والجد والنشاط فيما يرضي ربنا سبحانه وتعالـى تعلماً وعملاً وتعليماً.. وآخر مـا أوصي بـه الأخ الكريم، وجميع إخوانـي، وأوصي به نفسي: الحرص علـى الدعـاء والأوراد الشرعيـة الصحيحـة ثبوتـاً ودلالـة في الأوقات الموظفـة بعد صلاة المغـرب وبعد صلاة الفجر، وآخر ساعة من يوم الجمعة.. إلخ، وكذلك في الأوقات المخصوصة بزيادة فضيلة كشهر رمضان المبارك، ويوم ذي الحجة التاسع من شهر ذي الحجة، وفي الأحوال الخاصة كمن أصيب بمرض، أو فساد ولد، أو غلبة دين، وكالدعاء عند نزول المطر، وفي السفر بشرط تحقيق شروط الدعاء وآدابه: بأن لا يأكل، ولا يؤكل من يعول مالاً حراماً؛ بل يأكل ويؤكل مالاً حلالاً؛ فـإن أي جسـد غذي بالسحت فالنـار أولى بـه، وأن يدعو ربه موقناً بالإجابة، وأن يكون على طهر، والأفضل أن يكون مستقبل القبلـة، وألا يستبطئ الإجابة، وأن يكون متضرعاً خاشعاً، وأن يقـدم للدعاء بتمجيـد الرب سبحانه وتعالـى تسبيحاً وتهليلاً وتكبيراً وشكـراً.. ولا ريب أن الله ضامن قبـول الدعاء بوعده الكريم، متوعداً من ترك الدعاء في عدد من الآيات؛ ولا سيما في سـورة غافر، وفي سورة البقرة.. ولا بد -وذلك عن تجربة عايشتهـا-: أن يرى المسلم أثر الدعاء في نفسه؛ حتى الكافر قـد يستجيب له ربه لتحقيـق مأربه في دنياه؛ فـإن كان دعاؤه طلـب الهداية من ربه: أن يستنقذه ربه من الكفر غير محارب ربه بالمعصية، معترفـاً بظلمه نفسه: فإن الله ضامن الإجابة فـي مسألة طلب الإيمان، ولم يضمن إجابة المطلوب بعينه في أمـور الدنيا كالمرض والفقر.. إلـخ.. إلخ، وإنما يحقق له ربه (إذا لم يحقق المطلوب عينه) أن يدفع عنه من البلاء والسوء ما هو أعظم، وأن يمنحه الطمأنينة والرضا.. وأما الإيمان فلو عمّره الله ألف سنة، وأنعم عليه بمال كثير وسيادة وسلطة وبعد صيت: فلن ينفعه ذلك إذا كانت العقبى النار؛ فإن الإنسان إذا حضـر أجله تكون حياته الدنيا كساعة أو يوم أو نصف يوم؛ بل يعلـم يقيناً أن الله سيقبل منـه؛ لعلمه بوعد ربه المعصوم من الخلـف، وبوعيده من ترك الدعاء.. وقـد لا يحقق الله الوعيد رحمة منه وإحساناً؛ لأنه إن عذب فبعدله، وإن عفا فبرحمته.. والعـرب أهـل السليقة يذمون من أخلف وعـده، ويمدحون من عفـا عـن وعيده.. ويضـاف إلـى كل ذلك من شـروط الدعاء وآدابـه في خصوص دعاء الله في مسألـة الإيمان خاصة قول الله سبحانـه وتعالى: (ومـا كان لنفس أن تؤمـن إلا بإذن الله ويجعـل الرجس على الذين لا يعقلون) (سـورة يونس / 100)؛ فـالله سبحانه وتعالى في ضمانه تحقيق طلـب الإيمان بوعده الشرعـي، وفـي تحقيقه سبحانـه وتعالى هدايتـه الإيضاحية البيانيـة في قضائه الشرعي أيضـاً: قد حمل الرجس الذين لا يعقلون؛ لأنهم يحققون الأسباب الدنيوية التي يكون بها النسل،

وإخـراج الثمرة من الأرض، والشفاء مـن المرض، أو تخفيف آلامـه.. وبخلافهم العقـلاء الذين لم يقولـوا: (إذا كان الله قـدر المرض أو الفقر: فما الحاجة إلـى الدعاء)؛ فيقال لمن قال ذلك: (فما بالكم تسارعون إلى فعل الأسباب الدنيوية ولم يضمن ربكم نتائجها بوعده الشرعي مع أنه ضمن لكم تحقيق المطلوب عينه في طلب الإذن بالإيمان؟.. ولهذا شرع الله تلاوة سـورة الفاتحة سبع عشرة مرة في اليوم والليلة وما لا يحصى في النوافـل والأوراد عقب صلاة الفجر والعشاء، وفي الرقية؛ وهي طلب الاستقامة على صراط الله المستقيم، والبراءة من ضـلال النصارى، والبـراءة من الغضب الـذي أحله الله على يهود.. وصراطه المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهـم المذكـورون فـي قوله تعالـى: (ومن يطـع الله والرسول فأولئـك مع الذين أنعـم الله عليهم من النبييـن والصديقين والشهـداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا) (سورة النساء / 69).. ولا يقولـنَّ: (إذا كانت الصحف قـد جفت: فما الحاجة إلى الدعاء).. لا يقال ذلك؛ لأن ربي سبحانه وتعالى في الوقت الـذي قال فيه ذلك قبل أن يخلـق السموات والأرض بخمسين ألف سنة: أخبر بأنه فعال لما يريد.. والمرء في حياته كلها هو بأمس الحاجة إلى أدعية معينة في كل وقت: مثل قول الرسول: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائـب الدنيا)، وكقوله: (اللهم إني أسألك السلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والعزيمة على الرشد، والفوز بالجنة، والنجـاة من النـار).. يقولها ثلاث مرات، ويكـرر (والعزيمة علـى الرشد) ثلاث مرات أيضاً.. وأوصي بحفظ كتاب حصن المسلـم لـ (سعيـد بن علي بـن وهف القحطانـي) بشرط أن يرجع إلى الأصـول التي خرج منها كصحيح البخاري ومسلم، ويصطفي ما صح دلالة وثبوتاً، ثم يصطفي أجمعها؛ لأن رسول الله يحرص علـى جوامع الكلم.. ومن تلـك الأدعية الشديدة النفـع ما جـاء في قولـه: (اللهم إنـي عبدك ابـن عبدك ابن أمتـك.. ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك.. أسألك بكل اسم هو لك: سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي).. ومن الأفضل أن تنوي أهلك وجميع إخوانك المسلمين، فتقول: (ربيع قلوبنا.. إلخ...، مع العلم أن محققي مسند الإمام أحمـد الذي صـدر أخيراً في 55 مجلداً عـن مؤسسة الرسالة صحح هذا الحديث.. إلا أنهم وجدوا الألباني رحمه الله تعالى قد ضعفـه؛ فأخذوا بقولـه.. ووجه تضعيفه أن راويـه مرةً أبو موسى، ومرة أبو عبدالله؛ وهذا من أفسد التضعيف؛ لأن الناس منذ عصر السليقة العربية إلى يومنا هذا: يحبون الكنية؛ وقد تكون للواحد زوجتان؛ فيكنـى بالولد الأكبر من زوجته الأولى، ويكنى بابنه الأكبر من زوجته الثانية.. وقد تتعدد الكنية بسبب آخر.. ثم من ناحية المتن فكل فقرة من فقرات الحديث ثابتة بالتواتر من نصوص شرعية أخـرى.. ومن الأدعية المتصفة بجوامـع الكلم قوله صلى الله عليه وسلـم: (اللهم إني أسألك الهـدى والتقـى، والعفاف والغنـى، ومن العمل مـا ترضى).. ثم أذكر أخيـراً من النصوص الجامعة المحققـة أمور الدنيا والآخرة الصحيحة ثبوتاً ودلالة التي ينبغي أن يكررها المسلم في كل حين: الدعاء الثري الذي جاء في قوله: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال: علمني كلامًا أقوله؟.. قـال: (قل لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه.. الله أكبر كبيراً، والحمـد لله كثيراً، سبحان الله رب العالميـن، لا حول ولا قوة إلا بـالله العزيز الحكيم).. قال (أي الأعرابي): فهؤلاء لربي؛ فمـا لي؟.. قـال: (قل اللهـم اغفر لـي، وارحمنـي، واهدني، وارزقنـي).. رواه مسلـم 4 / 2072، وزاد أبـو داوود: فلما ولى الأعرابـي قال النبي: (لقد ملأ يديه من الخير)؛ وهذا الدعاء نافـع جداً ولا سيمـا في هذا العصر المتـأزم.. وهكذا الدعاء المقتبس من نصوص صحيحة صريحة مثل (حسبنا الله لا إله إلا ربي سبحانه وتعالى.. عليه توكلنا، وهو رب العرش العظيم، هـو مولانا نعم المولى ونعم النصير.. ربنا انصرنا على القوم الكافرين، ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القـوم الكافرين).. وآخر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين، وسـلام على عباده المرسليـن؛ فإلى لقاء قريـب إن شاء الله تعالى مع بحوث مطولة عن الوجود والعدم، والله المستعان.

=====

(1) قال أبو عبدالرحمن: مُسْتَعِلُنْ (/ 5 /// 5) في قوله: (يكتب فيها) ضرورة لغة تُخِلُّ بغناء اللحن الذي يُظهر الوزنَ؛ فإذا استقام الوزنُ اختلَّت اللغةُ؛ فكانت (يَكتب) في الغناء هكذا (يَكْتابُ فيهي)؛ وهذه الزحافات والعلل القبيحة لاحظها الخليلُ بن أحمد رحمه الله تعالى في ضرورة إقامة الغناء؛ لعلمه بألحان العرب سماعاً، ولأنه ألَّف في أصول الأنغام والموسيقا.. وأما مَن بعده (إلا مَن كان يُغنِّي بشعره) فاعتمدوا على التقطيع البصري القبيح.

بقايا خُطى

أيمن عبدالحق: جازان

تطوي سجادتها، تستقر الطمأنينة في نفسها، تبدأ الأصوات بالاختفاء شيئاً فشيئاً، صياح الصبية وهم يلعبون خارج بيتها، صوت الكرة في ارتطامها بجدار السور المكون من الصفيح، ضجيج الباعة الجائلين. تنسحب من مكانها إلى الطاولة الخشبية الوحيدة. تمرر ثوبها على سطحه وترفع فنجاني القهوة وتضعهما في المغسلة. تفتح المذياع وتدع الصوت يملأ أركان البيت.. اعتاد الجيران أن يسمعوا مذياعها وكأنها تريد أن تسمعهم صوت وحدتها.

تتحرك من مكانها، تقلب كل ما تصل إليه أناملها بحثاً عن نظارتها، تركل دلة القهوة.. تحاول تلبية نداء عاجل في أطراف أصابع قدمها. ترفع رأسها مستقبلة صياح جارتها تحثها على اللحاق بها سريعاً. لقد تأخرت ابنتها في الاتصال بها هذه المرة.

عندما ذهبت كانت ترفرف بجناحيها فرحاً لتلبية نداء ابنتها.. وعندما عادت كانت تجرجر خلفها أذيال الحسرة.

(حتى قطعة الأرض التي خرجتُ بها من الدنيا طمع فيها الناقص).

ابتلعت ريقها الجاف عائدة إلى بيتها. إنها لحظة تختصر العمر ويغيب معها الشعور بالناس والأشياء.

أخذتها الذكريات إلى سنين عاشتها في قريتها قبل أن تحط بها الرحال في المدينة، المدينة التي حكمت عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة برفقة خالٍ لم تمهله الحياة طويلاً.

تذكرت زوجها الذي ابتلعت الأرض خطواته في يوم راعف، وبقايا الخطوات وقد ابتلعها الأقربون بعد أن خلصوا نجياً، الأقربون وقد غيبتهم الأحلام في عيون لا تستحق البكاء.

مشهد توديع ابنتها لا يزال حاضراً في شراعة الذاكرة. كانت صغيرة وكان حلمها صغيراً أيضاً وقد بَنَت الأحزان عشها بهدوء وسكينة على وجهها القمحي.

يقف طلب ابنتها القاسي شوكة في حلقها، تفيق من غيبوبتها وتسبح في لاشعور أزاح الستار عن أول دركات الشقاء. تفتح (سحارتها) وتخرج (مِصرّاً) خبأت فيه شيئاً ما.

في الصباح الباكر تندس وسط جموع المراجعين والمراجعات وتأخذ حمّاماً بشرياً أمام إحدى أشجار التوت. تسترجع تفاصيل الزيارة الأخيرة قبل عشر سنوات، استقرت ملامح أحفادها في أطراف أعماقها. تسترجع المكالمة الهاتفية وهي تطارد دمعة حاولت الفرار من عينيها.

يزداد ازدحام الناس، تدور الأعين في الأعين وتبقى القلوب المنكسرة هي المركز. يتحسسون آمالهم وآلامهم، تفوح رائحة المشاركة وتتداخل سحائب الرحمة بين أرواحهم، تتقازم كل المشاكل أمام ندوات يعقدونها بعفوية، هنا فقط يجدون أنفسهم وتُستقبل طلبات الاستئناف.

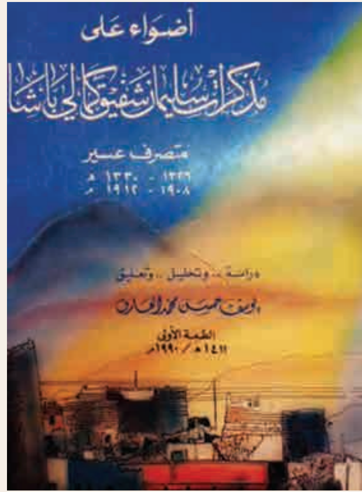
يجمعهم هذا المبنى لساعات في السنة فتخرج الحكمة من منابعها واللوعة من منابتها والدهشة من مخابئها. يشيخ كل شيء في هذه الدنيا إلا هم، يظلون أطفالاً تكسوهم البراءة، وتشيب كل أرصفة الأنانية وتشعل إشارات الجحود لونها الأحمر ويبقى اللون الأخضر لهم فقط، فهل يمرون بسلام؟

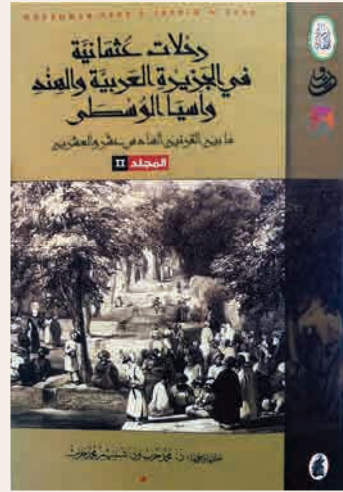
تمر اللحظات كئيبة تفتت ما تبقى من ضعفها وقد عششت الشمس فوق رأسها وأصبحت ترى الأشياء مفككة بين خدوش نظارتها المتشققة. تتسلل فلول الغربة إلى سواحل نفسها وهي تتحسس ورقة عتيقة ستذهب يوماً ليدين لا تغرق في البياض.



سليمان شفيق باشا

وزير الحربية التركي الذي أصبح موظفاً سعودياً





قاسم خلف الرويس: الدوادمي

يمكن للباحث في التاريخ السعودي أن يلاحظ بشكل جلي حرص الملك عبدالعزيز على استقطاب الكفاءات من رجالات العرب من كافة الأقطار، والاستفادة من خبراتهم في تطوير التنظيم الإداري والسياسي والعسكري لدولته الناشئة، كالدملوجي وحافظ وهبة ويوسف ياسين وفؤاد حمزة ورشدي ملحس.. وغيرهم كثير، في ظل جاذبية شخصية الملك عبدالعزيز القيادية المبهرة في زمن انكماش العرب وسيطرة الاستعمار. ولكن نحن هنا أمام حالة خاصة مختلفة باسم سليمان شفيق باشا، فما هي حكاية هذا الوزير التركي العثماني الذي أصبح موظفاً في الحكومة العربية السعودية؟

نشأته وحياته

هو سليمان شفيق باشا ابن علي كمالي باشا، ولد في سنة 1864م/1281هـ، وينحدر من عائلة سويله مز أوغلي المشهورة في مدينة أرضروم بشرق تركيا. أكمل تحصيله الدراسي حتى تخرج ضابطاً في الكلية الحربية بإسطنبول، وتقلد والده علي كمالي باشا ولاية طرابلس الغرب وبنغازي وهو في سن الفتوة فصحبه إلى هناك، وفي سنة 1890م/1307هـ عيّن والده أميناً للصرة الهمايونية، فرافق قافلة الصرة في رحلتها من إسطنبول إلى الحرمين الشريفين، وكان ضابطاً في مقتبل عمره، وبعد عودته من هذه الرحلة أرسل إلى اليمن للخدمة ضمن القوات العثمانية في اليمن خلال السنوات (1893-1895م/1311-1313هـ)، وانضم إلى جمعية الاتحاد والترقي، وبعد الانقلاب العثماني عام 1908م تم اختياره لأول منصب يتولاه وهو متصرف لواء عسير وقائد الجيش خلال الفترة من (1908-1912م/1326-1330هـ)، ثم نقل إلى قيادة الجيش العثماني في سوريا في الدور الأخير من حرب البلقان. وفي سنة 1913م/1331هـ تولى ولاية البصرة وقيادة الفيلق العثماني المرابط فيها، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى أسندت إليه وزارة الحربية في عام (1919/1337هـ)، وأصبح في مواجهة عسكرية مع الثورة الكمالية في الأناضول، ولكن عهد الوزارة لم يطل فاستقال، وبعد سيطرة مصطفى كمال على مقاليد الأمور في تركيا في عام 1922م أُدرج اسمه في قائمة المئة والخمسين من أتباع النظام العثماني المتهمين بخيانة الدولة، وصدر بحقهم حكم الإعدام، فاضطر للهروب إلى خارج تركيا، واستقر به المقام في مصر، ثم عاد إلى تركيا بعد صدور العفو العام بحق رجالات الدولة العثمانية سنة 1941م/1360هـ، وأمضى بقية عمره في إسطنبول حتى وفاته في عام 1946م/1365م.



الجالسون من اليمين / سعود السبهان - عجمي السعدون - الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد - سليمان شفيق والي البصرة - ناصر السبهان - حمد العران

علاقة سليمان شفيق باشا بالملك عبدالعزيز

لا شك أن عمل سليمان شفيق، وإقامته في البلاد العربية فترة طويلة؛ قد جعلاه أكثر معرفة بالبلاد وأهلها، إذ وثق علاقته بكثير من زعماء ورجالات العرب، وجاءت نظرته إلى العرب من خلال كتاباته وتصرفاته نظرة عقلانية منصفة تختلف عن الصورة النمطية التي ينظر بها رجال الدولة العثمانية شزراً إلى العرب.

ويظهر أن بداية علاقة سليمان شفيق باشا بالملك عبدالعزيز، وإعجابه، وتقديره له؛ كانت عندما تعيّن والياً على البصرة في عام 1913م، حيث ذكر الريحاني أنه كتب إلى الملك عبدالعزيز يسأله رأيه في أمراء العرب وخروج بعضهم على الدولة العثمانية، فأجابه الملك عبدالعزيز جواباً طويلاً وصريحاً جاء فيه: (إنكم لم تحسنوا إلى العرب، ولا عاملتموهم على الأقل بالعدل. وأنا أعلم أن استشارتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي. وهاكم رأيي ولكم أن تؤولوه كما تشاؤون). وقد حمّل الملك عبدالعزيز في جوابه الدولة العثمانية المسؤولية الكاملة في انشقاق العرب، بسبب طريقة حكمها. واقترح اقتراحات، استحسنها والي البصرة، وأعجب بها، وأرسلها إلى الآستانة، لكنها لم تجد أذناً صاغية لعدم الرغبة في جمع كلمة العرب.

ولكن بعد سيطرة الملك عبدالعزيز على الأحساء وجدت الحكومة العثمانية نفسها مضطرة للدخول في مفاوضات مع الملك عبدالعزيز، فتولى سليمان شفيق باشا إدارة هذه المفاوضات التي أدت في النهاية إلى عقد اتفاقية بين الطرفين في عام 1332هـ/1914م، لم يعلن منها إلا الأربعة بنود التي تضمنها الفرمان السلطاني، وأهمها تحويل متصرفية الأحساء إلى ولاية نجد، وتعيين الملك عبدالعزيز والياً وقائداً لها. في حين يؤكد بعض الباحثين أن الاتفاق المذكور لم يتم تطبيق بنوده على أرض الواقع بسبب دخول العثمانيين الحرب العالمية الأولى، كما أن الملك عبدالعزيز كان ينظر للفرمان السلطاني كإقرار بالواقع لا نتيجة اتفاق.

ويشير الدكتور سعيد القحطاني في كتابه (الدولة العثمانية والملك عبدالعزيز في ضوء المصادر العثمانية) إلى أن الدولة العثمانية، بعد دخولها الحرب العالمية الأولى، في محاولة منها لاستمالة الملك عبدالعزيز؛ عرضت عليه بواسطة وكيل القائد العام أنور باشا الإدارة العسكرية لولاية البصرة، وذلك في أواخر 1332هـ/1914م، ولما رفض هذا العرض خطط أنور باشا لأن يعينه قائداً لأركان حرب سليمان شفيق باشا لشعور المسؤولين العثمانيين بأهميته وقوته.

وبعد نهاية الحرب، وتولي سليمان شفيق باشا وزارة الحربية، ثم خروجه أخيراً من تركيا إلى مصر واستقراره فيها لمدة ثلاث سنوات؛ نشرت جريدة الأهرام مذكراته في عام 1343هـ/1925م، وقد عبّر في الحلقة الأولى منها عن إعجابه بالملك عبدالعزيز، إذ كتب ما نصه: (إن الأفعال والحركات التي نشاهدها الآن من عبدالعزيز بن سعود سلطان نجد تنم عن بداية انقلاب مهم سيحدث في جزيرة العرب. وبرنامجه القائم باتفاقه مع الإمامة الزيدية في

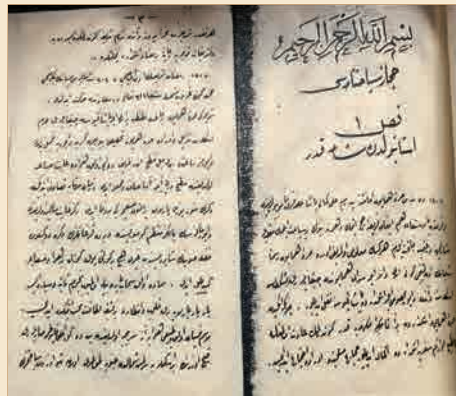
اليمن، والإدارة التي يتصورها للحرمين الشريفين؛ كل ذلك من الأدلة المهمة الجديدة بإمعان النظر في الخطوات السديدة التي يخطوها السلطان ابن سعود).

ويبدو أن نشر هذه المذكرات كان سبباً في عودة التواصل بعد الانقطاع بينه وبين الملك عبدالعزيز، بعد استتباب الأمر له في الحجاز، حيث شد رحاله وقدم إلى الحجاز، ومثل بين يدي الملك عبدالعزيز الذي استقبله في مكة المكرمة أحسن استقبال، وأكرم نزله وقدّر مكانته. وفي حين يرى بعض الباحثين أن قدومه إلى الحجاز كان بناء على دعوة من الملك عبدالعزيز؛ فإن باحثين آخرين أشاروا إلى أن المبادرة بالتواصل وعرض الخدمات كانت من قبل سليمان شفيق باشا. ويمكن الجمع بين الرأيين بأنه عرض خدماته على الملك فوجه إليه الدعوة للقدوم للاستفادة من خبراته في تنظيم بعض شؤون حكومته الناشئة. ولذا فبعد مضي أشهر قليلة على قدومه إلى الحجاز صدر الأمر الملكي من الملك عبدالعزيز بتعيين سليمان شفيق باشا كمالي مفتشاً عاماً لكافة الدوائر الرسمية.

وبعد هذا الأمر بأيام، تم تشكيل هيئة تفتيش برئاسة سليمان شفيق باشا، وعضوية إبراهيم بن معمر وعلي العماري، للتحقيق في قضية تهريب أسلحة من ميناء جدة إلى المدن الخارجية، وكذلك للتفتيش على بعض الدوائر في جدة.

وفي حين تؤكد المصادر التحاقه بالعمل في حكومة الملك عبدالعزيز، وبعضها يشير إلى استمراره في العمل مفتشاً عاماً في الحجاز إلى عام 1929م؛ فإن الدكتور محمد آل زلفة في محاضرة له بتاريخ 11 / 5 /1420هـ يشير إلى زيارته للمهندس توركت بك ابن سليمان شفيق باشا في إسطنبول قبل حوالي خمسة عشر عاماً، وكان حينذاك فوق الثمانين من عمره، فأخبره أنه ووالده قدما إلى الرياض في السنوات الأولى من ضم الحجاز، وأنه - أي توركت بك - هو الذي أقام مبرقة الرياض ومبرقة أبها بحكم تخصصه ضابط اتصالات في الجيش العثماني، وقال إن والده كان شديد الإعجاب بالملك عبدالعزيز، وقد أكرم الملك والده غاية الإكرام، وخصص له مكاناً للإقامة في الطائف التي كان جوها مناسباً له. وعلى الرغم من كل ذلك نجد أحد الباحثين يذكر أن سليمان شفيق اعتذر عن قبول ما أسنده إليه الملك عبدالعزيز من أعمال وآثر الإقامة في مصر! فلعله طلب الإعفاء من العمل بعد أن أمضى بضع سنوات ورجع للإقامة في مصر مرة أخرى.

وأخيراً، فإن علاقات سليمان شفيق باشا بالملك عبدالعزيز، أو بالمملكة العربية السعودية، لم تتوقف عند الوظيفة؛ بل توثقت برباط أقوى بعد تركه الوظيفة بسنوات



المفتش العام

صدر الامر الملكي بتعيين سليمان شفيق باشا كمالي مفتشا عاما لكافة الدوائر الرسمية وسيكون مكتب سعادته في الديوان الملكي في جياد .

ضيف كريم

وصل أم القرى صاحب الدولة سليمان شفيق كمالي باشا وقد حظي بالمثول بين يدي جلالة الملك فاستقبله أحسن استقبال ونزل ضيفا على جلالته فأهلا وسهلا ومرحبا

عدة، وذلك بحصوله على الجنسية العربية السعودية بموجب نظامها الخاص بناء على الأمر العالي رقم 26/1/5 وتاريخ 28/2/1353هـ، أي أن حصوله على الجنسية جاء بعد قدومه الأول للحجاز بحوالي 9 سنوات. وأخيراً فإن الدكتور آل زلفة يرى بأننا سنظل جاهلين بعلاقة سليمان باشا بالملك عبدالعزيز ما دامت مذكراته وأوراقه الخاصة حبيسة الصناديق.

مؤلفات سليمان شفيق باشا

كان سليمان شفيق باشا واسع الثقافة والاطلاع، ولذا فقد كان مهتماً بالكتابة والتأليف، وتظل رحلته ومذكراته من المصادر ذات الأهمية للباحثين في التاريخ، لاحتوائها كثير من المعلومات والأحداث التي عايشها، ولا بد من التعريف بهذين المؤلفين بإيجاز:

1 -مذكرات سليمان شفيق باشا:

لقد كان لمعرفة الناس بهذه المذكرات، ونشرها؛ قصة ظريفة، حيث نشرت مجلة اللطائف المصورة التي كانت تصدر في القاهرة في أحد أعدادها لسنة 1343هـ/1925م صورة قالت إنها صورة السلطان ابن السعود مع أركان حربه! فعقب أحد القراء على ذلك في جريدة الأهرام في


محمل الصرة في شوارع مكة المكرمة

عددها الصادر يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني 1343 (5 نوفمبر سنة 1925م) موضحاً أن الرجل الذي قالت عنه المجلة إنه ابن سعود هو دولة شفيق كمالي باشا وزير الحربية العثمانية سابقاً، وكان في زمن الصورة والي البصرة وقائداً للفيلق العثماني المعسكر فيها، أما الرجال المصورون معه فأبرزهم سعود الرشيد أمير جبل شمَّر وعجمي باشا السعدون ورجالهما.

وقد علقت الأهرام على هذا التعقيب بدعوة سليمان شفيق باشا الذي كان مقيماً في مصر آنذاك لنشر مذكراته عن البلاد العربية، لما لها من فائدة تاريخية كبيرة، فكان من حسن الحظ أن يستجيب لدعوة الأهرام، ويبعث إليها مذكراته على حلقات مكتوبة باللغة التركية، فتقوم الجريدة بتعريبها. وقد نشرت المذكرات تحت عنوان (مذكراتي عن بلاد العرب) في ستة وثلاثين حلقة، ابتداء من الحلقة الأولى في العدد 14519 في يوم الخميس 9 ربيع الآخر سنة 1343 (6 نوفمبر سنة 1924)، وانتهاء بآخر حلقة في العدد 14576 بتاريخ 28 جمادى الآخرة سنة 1343 (23 يناير سنة 1925م).

وبعد مرور نحو نصف قرن على نشر المذكرات في جريدة الأهرام؛ كان الفضل للشيخ حمد الجاسر في بعثها من جديد، والتعريف بها، والتنبيه إلى أهميتها التاريخية، حيث أعاد نشرها من خلال مجلة العرب في أربع وعشرين حلقة تحت عنوان (بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا)، ابتداء من الجزء التاسع من السنة الخامسة في ربيع الأول سنة 1391هـ /أيار (مايو) 1971م، وانتهاء بالجزء العاشر من السنة العاشرة في ربيع الثاني 1393هـ /أيار (مايو) 1973م.

وقد عمل على نشر المذكرات ودراستها بعد ذلك عدد من الباحثين، منهم: محمد أحمد العقيلي وعبدالله بن سالم القحطاني ويوسف حسن العارف.

وفي حين تركزت هذه المذكرات على منطقة عسير، وما جاورها من المناطق، وما تزامن مع وجوده من أحداث فيها، مثل ثورة الإدريسي والعلاقة مع الشريف حسين؛ فإن الدكتور آل زلفة يؤكد نقلاً عن المهندس توركت بك ابن سليمان شفيق باشا بأن ما نشر من المذكرات لا يمثل إلا جزءاً بسيطاً من مذكراته المتكاملة عن البلدان العربية التي عمل فيها. بينما يشير الدكتور فاضل مهدي بيات إلى أن بريزات خانم ابنة سليمان شفيق باشا أخبرته أنها وجدت مذكرات والدها التي تعود إلى ما بين سنتي 1885-1905م، ويظهر أن بريزات نشرت المذكرات فيما بعد، ولكن يبدو أنها لم تقتصر على السنوات المذكورة، حيث ذكر فاضل بيات في بحث آخر نشرته مجلة الدارة أنها تولت نشر مذكراته عن الانقلاب العثماني في إسطنبول بالحروف التركية الحديثة في عام 2004م، وأشار إلى إعداد الباحثة التركية شريفة أوزكان دراسة بعنوان (سليمان شفيق باشا ومئة وخمسون يوماً) نالت بها درجة الماجستير من جامعة بوغازإيجي



خروج المحمل من قصر يلدز إلى جامع الحميدي

في إسطنبول، كما أشار إلى قسم غير منشور من المذكرات أعدته للطبع الباحثة نفسها.

2 - رحلة سليمان شفيق (حجاز سياحتنامه سي):

كنا قد أشرنا إلى أن سليمان شفيق رافق والده علي كمالي باشا إلى الحجاز عند تعيينه أميناً للصرة الهمايونية في عام 1307هـ/1890م، بهدف أداء فريضة الحج والسياحة في بلاد العرب، وقد دوّن تفاصيل الرحلة التي استغرقت نحو سبعة أشهر، وكان أتم مخطوطة كتابه المحفوظة في مكتبة جامعة إسطنبول في 17 ربيع الأول سنة 1310هـ، وذكر أنه كتبه وقدّمه للسلطان عبدالحميد خان ليطلعه على أوضاع الجزيرة العربية بشكل عام وعلى الحجاز بشكل خاص.

وقد ذكر سليمان شفيق في هذا الكتاب كل ما وقف عليه من معلومات عن الطريق والتضاريس والبلدان والعشائر والعادات والتقاليد والأوضاع والحرمين الشريفين والحج، وأهمّ ما في الكتاب كما أشار الدكتور خليل ساحلي أوغلي، القسم الأخير الذي تضمن مبحثين، أحدهما عن الحركة الوهابية، لخص فيه ظهور الحركة الوهابية، وتحدّث عن حكومتهم في نجد وتوسّعهم من بعد ذلك. وكل ذلك بلسان رزين، يعترف بقدر الوهابيين. ولكنه ينكر طبعاً خروج البلاد عن الحوزة العثمانية. والمبحث الآخر عن إمارة آل رشيد وجبل شمّر. ويظهر أنه كان يحسن الرسم بالألوان المائية، ففي الكتاب ما يقارب أربعين صورة وخريطة.

ويذكر فاضل بيات أنّ الباحثين العرب لم يعرفوا عن هذه الرحلة شيئاً، رغم تعلقها ببلاد الشام والحجاز؛ إلا بعد أن عرّف بها الباحث التركي خليل ساحلي أوغلي في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي نظمها قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب بجامعة الرياض في 1397هـ/ 1977م، وقد نشر بحث ساحلي أوغلي في مجلة العرب ج1 و2 السنة 12، حزيران/آب 1977م ص123 وما بعدها، تحت عنوان (مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إسطنبول). وإثر تعريف الدكتور ساحلي أوغلي للمخطوطة، قام عبدالفتاح حسن أبوعلية، بإجراء دراسة حول المخطوطة بعنوان: (دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامه سي)، نشرت في الرياض 1403هـ/ 1983م، واقتصرت على المبحثين التاريخيين المتعلقين بالحركة الوهابية وإمارة آل الرشيد. ثم إن بيات ترجم القسم المتعلق ببلاد الشام الذي نشرته جامعة آل البيت عام 1420هـ/2000م تحت عنوان (رحلة سويله مز أوغلي إلى بلاد الشام 1307هـ/1890م).

وقد قام بترجمة الرحلة أخيراً محمد حرب وتسنيم محمد حرب، ونشرت ضمن سلسلة ارتياد الآفاق في المجلد الثاني من كتاب (رحلات عثمانية في الجزيرة العربية والهند وآسيا الوسطى ما بين القرن السادس عشر والعشرين)، ونشرتها في عام 2013م دار السويدي للنشر والتوزيع في أبوظبي، بالتضامن مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، وقد شغلت ترجمة هذه الرحلة 142 صفحة.





هل التفكيكية حل أم إشكال في العمارة؟

د.علي ثويني: الرياض

غادرت عالمنا المصممة العراقية زها حديد يوم الخميس 31 مارس 2016، بعد أن أثارت زوبعة من اللغط وسجالات الأخذ والرد بما يخص منجزها، الذي غيّر مسار التصميم في العمارة العالمية إلى مناح منهجية وشكلية أخرى. لقد طوت بموتها المفاجئ كثيراً من المواقف الرافضة والمتشنجة حيالها، كونها المعمارية الأنثى الأولى في التاريخ الحديث أو ربما على طول الأزمنة، في عالم مازال يعاني من حساسية إزاء المرأة ولاسيما بمجتمعاتنا العربية، حيث قفز اسمها إلى مصاف فحول العمارة العالمية، ونازلت بجدارة أهل تيارات عدة ونزعات مستحدثة (ما بعد حداثية)، وبارزتهم في عقر دارهم، وأثبتت فيها كراً وإقبالاً، بما دعا للعجب والإعجاب. فقد عانت منذ صعودها قبل ثلاثة عقود من كونها امرأة في مجتمعاتنا العربية الذكورية، ومن كونها عربية مسلمة لدى الغربيين المتحسسين وغير المتحمسين، وربما كان هذا سبباً في كبح جموحها، الذي قابلته بتحد وقوة إرادة، فأصابت وخابت في بعضها.



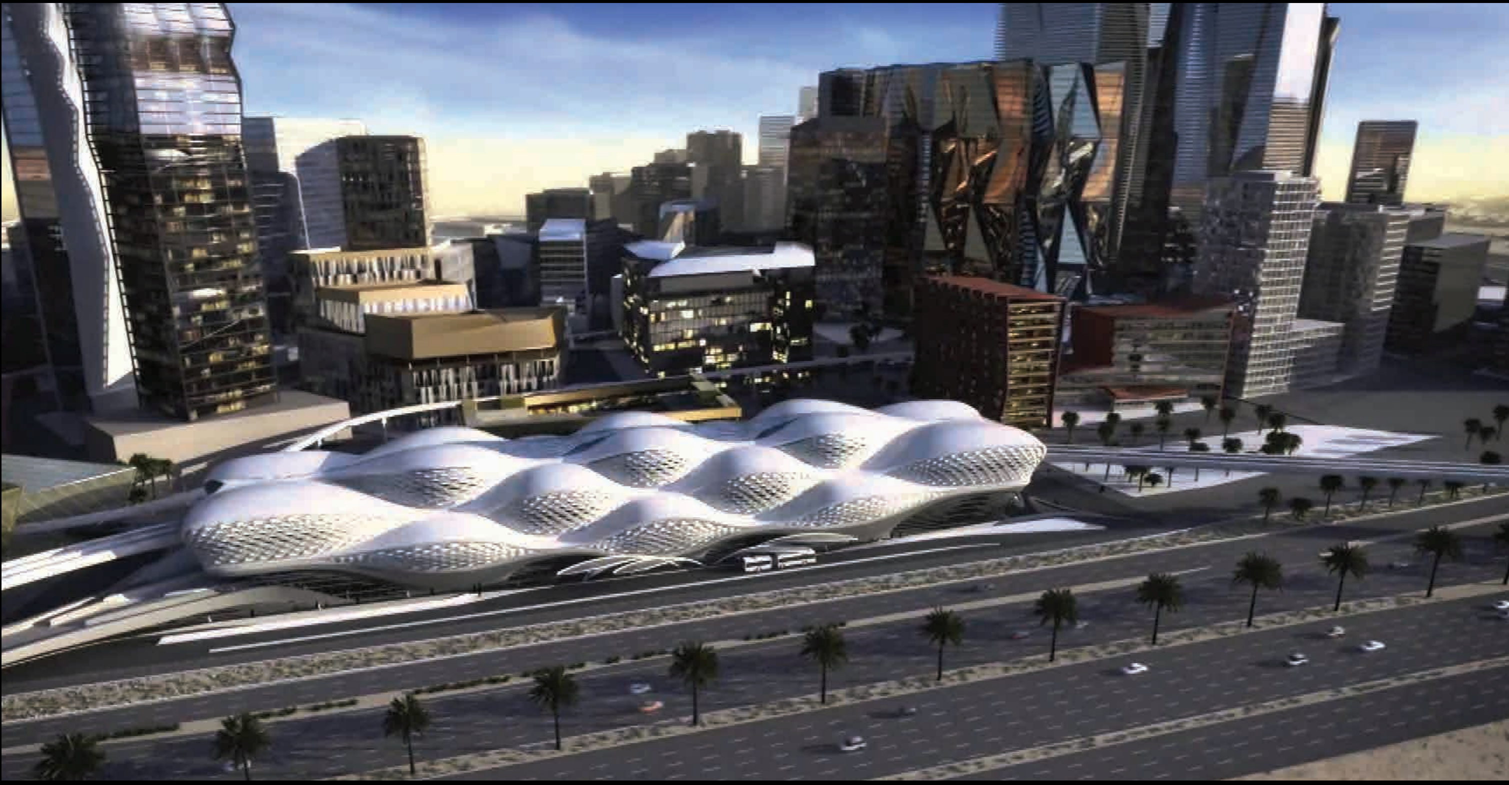
تستحضر زها في أعمالها انسياب الأديم والماء والحياة البرية التي تمتد على مرمى العين فتضم كل شيء حتى البنايات والناس

زها هي ابنة السياسي العراقي محمد حديد (الموصل -1906 لندن 1999)، الذي عرف بتسيير مالية واقتصاد العراق إبان بواكير الحقبة الجمهورية (1958-1963). وهي ليست الوحيدة سليلة بيوت السياسة في العراق، فقد نجد جل الأسماء اللامعة في العمارة انحدرت من بيوتات سياسية كما الجادرجي والمدفعي والأيوبي وعصام السعيد حفيد نوري السعيد وغيرهم، بما ينم عن توجه فحواه أن العمارة قرارة وسلطة وتشريع، يحبذه الساسة في تسيير مناحي الإعمار والبناء للبلدان.

ولدت زها في بغداد عام 1950، وأنهت الدراسة الثانوية فيها ثم الأولية بالرياضيات في الجامعة الأمريكية في بيروت 1971، ثم التحقت بالدراسة في بريطانيا تحت إشراف (الكولهاس) وتدربت في الجمعية البريطانية للعمارة (AA) ثم عملت في بريطانيا بعد تخرجها عام 1977 مع (مكتب عمارة الميتروبوليتان)، بالتوازي مع عملها كمعيدة في كلية العمارة، والتقت خلالها بتيار (التفكيكية) المعماري الذي حلّقت به في الآفاق بعد ذلك. وتلك الكلية التي بدأت كنقابة للمعماريين يؤمنون بتوجه يختلف عن التوجهات الأربع الأخرى وهي توجهات مدارس العمارة في كل من ليفربول، مانشستر، كارديف، هامراسمث، التي اختصت كل واحدة بمفهوم خاص في إدراك فحوى العمارة، حيث رامت الجمعية المعمارية أن تؤسس لتيار ربط الفكر والتصميم بسياقات ثقافية وإبداعية شتى أبعد مما آمنت به مدرسة كارديف التي اعتمدت (الزمكان)، أو هامارسمث التي اعتمدت مبدأ الفن الجميل (البوزار) الفرنسي أو (الباوهاوس) الألماني.. إلخ. ويبدو أنها شكلت منذئذ توجهاً فلسفياً بدأت تتقبله بعض مدارس العمارة في الغرب من أجل تطوير ملكات الخيال من خلال الإلهام من مصادر إبداعية أخرى كالتشكيل والشعر والرواية والموسيقى...إلخ.

واستقلت زها عملها بمفردها ابتداء من العام 1987، وتسنى لها أن تحصل على شهادات تقديرية من أساطين العمارة مثل الياباني كانزو تانك، وانتظمت كأستاذة زائرة أو كرسي في عدة جامعات في أوروبا وأمريكا، منها هارفارد وشيكاغو وهامبورغ وأوهايو وكولومبيا ونيويورك وييالا. وقد وصفها المعمار المشهور (نورمن فوستر) (بالشجاعة والقناعة والمثابرة). ومن الطريف أن صديق والدها المعمار محمد مكية (1914-2015) ناكفها التوجه في البداية وشكك في نجاح مسعاها المستقبلي، لكنه تعاطف معها قبل أن يتوفاه الله في لندن، بعد أن شهد على نجاحاتها.

وهنا جدير بالانتباه إلى البون في الطبيعة البشرية بين المرأة والرجل، حيث إن ملكات الرجل تجعله أكثر سطوة على العموميات والشموليات والمحتوى مثال التخطيط الحضري، على عكس المرأة التي تهتم كثيراً بالشكل والتفاصيل والحيثيات مثل التصميم والعمارة الداخلية، لذا نجد المرأة قد أفلحت في الأعمال الإدارية والسكرتارية، انسجاماً مع فطرتها المدققة المنمنمة، بينما الحال عند زها يختلف، حينما تجد امرأة تلم بالعموميات ولا يقل اهتمامها بالتفاصيل، فهي تصمم مدينة أو مجمعاً أو مبنى، ثم تجد لها تصميماً لأريكة أو ثريا للإنارة داخلها، لا بل امتدت لتعلن أنوثتها حينما اهتمت بتصميم الملابس



fashion والحلي **accessories** والأثاث، ما يشيع عن موهبة مزدوجة تطأ العبقرية، لامرأة هذبت ملكاتها وتدربت لأن تمتلك ناصية الحركة بين شوطي الاستقراء والاستنباط، وهذا أمر نادر، لدى الناس وجل المعماريين.

وبما يخص أعمالها فإنها تبدو من الوهلة الأولى قلقة وغير مستقرة، وفاقدة للطمأنينة البصرية، على الرغم من تعاملها الحذر مع المساحات التي تبدو وكأنها خطوط (كونتورية) متراكبة ومتراكمة، أو قل مثل زبدة قطعت بسكين، لكنها مبهرة بعنصر الحركة ومساحة الحرية التي تمنح القدرة على التحليق فوق سطح الأرض، وكأن المبنى من وحي الخيال. وزها تعتمد في تصاميمها على الحركة الوظيفية، وانسياب الشكل دون الاهتمام بإعادة الأشكال الهندسية أي دون اللجوء لسطوة التناظر ولكن بترميز عال ومدرك في جل أعمالها لإعادة تخطيط الفضاء المعماري والحضري. ومن أقوالها المشهورة (هناك **360** درجة لماذا نتقيد بواحدة). لكن لاحظ بعض النقاد حالة من الصرامة في تصميماتها تستند على توسع ظاهري مستمد من طاقة كامنة مبثوثة هنا وهناك في الفضاءات المعمارية، وكذلك من حالة الاسترسال إلى الفضاءات الخارجية بشكل انسيابي ولا متناه. وقد عللها البعض من أثر سطوة الخلفية الإسلامية لنشأتها التي تلتقي مع التناغم والاستمرارية بين الفضاءات الداخلية والخارجية للعمارة الإسلامية (العمارة الجوانية كما سماها بهنسي). وبدت خطوطها المتموجة تحظى بالأسبقية في التصاميم ناهيك عن حالة التجريد الزخرفي أو كأنها مستلهمة من انسيابية الخط العربي ومواءمته مع المساحات المخصصة كما مساحات موقع البناء. تقول زها حديد عن (لا وعيها): (أتذكر إجازاتنا في منطقة الأهوار (البطائح)، جنوب العراق، التي كنا نسافر إليها عبر مركب صغير، كنت أنبهر بطبيعتها، وخصوصاً بانسياب الأديم والماء والحياة البرية التي تمتد على مرمى العين، فتضم كل شيء حتى البنايات والناس. أعتقد أن هذا العنصر المستوحى من الطبيعة وتمازجها مع العالم الحضري، ينسحب على أعمالي، فأنا أحاول دائماً التقاط تلك الانسيابية في سياق حضري عصري).

تبدو خطوط مشاريعها النهائية ناجحة في المواءمة مع حدود الموقع ومقتضيات مقترباته، لكنه غير منسجم مع محيطه التصميمي البتة، كونه حالة مستجدة لم تشهدها الأشكال المعمارية من قبل. ويتدخل فريق العمل الحاذق الذي تختاره بعناية كبيرة من النابهين والموهوبين، حتى بالأثاث والديكورات واللوحات الفنية المعروضة والمفروشات وكل تفصيلة تشهد على تدخل مباشر من فريقها، وتعلق على اهتمامها هذا قائلة: (المساحات ليست بالضرورة بحاجة إلى جدران لتعليق اللوحات عليها، لا بل يجب علينا أن نخرج من الغرف التي هي أشبه بالعلب ذات الزوايا التسعين درجة.. فالمساحة وكيفية معالجتها تنحصر في القيمة التعبيرية للإنشاء وعدم التخلي عن الجوانب الوظيفية).

يمكن أن يكون كل ذلك نابع من بواطن خيال زها المعماري الذي أنتج سلسلة أعمال قيمة تعدت الألف مشروع في 44 دولة ومنها: نادي الذروة، كولون، ومركز الفن والإعلام في مدينة دوسلدوف شمال ألمانيا. ومشروع مسابقة في هونج كونج (3-1982). وتنفيذها لنادي (مونسون بار)

تقول زها التي أنتجت سلسلة أعمال قيمة تعدت الألف مشروع في 44 دولة: (هناك 360 درجة لماذا نتقيد بواحدة)



لا يروق للرعيل القديم والمطنبون في (التراثية) عمارة زها كونها تائهة في لجة حداثة وسوف تمكث عمارة زها (عمارة نخبوية)

في سابورو، اليابان (9 - 1988).. ودار أوبرا كارديف في بريطانيا (5-1993 مشروع مسابقة). ومجموعة من أعمال أخرى تتضمن توسعات في مجمع البرلمان الهولندي في لاهاي (9 - 1978). إسكان (إباIBA). برلين 1983. بنايات لمكاتب إدارية متعددة، وقاعات معارض، ومشروع لتطوير المساكن، ومن أكثر مشاريعها الجديدة غرابة وإثارة للجدل مرسى السفن في باليرمو في صقلية جنوب إيطاليا 1999 والمتحف الفني في سينسيناتي في الولايات المتحدة، والمركز العلمي لمدينة وولفسبورغ الألمانية 1999 وكذلك المسجد الكبير في عاصمة أوروبا ستراسبورغ 2000 ومنصة التزحلق الثلجي في أنسبروك 2001.

وفي الدول الإسكندنافية أسست زها لتوسعة متحف أودغوبغوذ في كوبنهاجن عاصمة الدنمارك بعدما شرع العمل في 6 تشرين الأول أكتوبر2003، وأنجز في خريف عام 2005. وكذلك محطة إطفاء فيترا (ويل أم رين) في ألمانيا (مارس 1991) التي استعملت فيها الأشكال المتعددة الجوانب والركائز المثلثة التي تبدو وكأنها تتطاير في الجو. وفي العالم العربي نجد لها متحف الفنون الإسلامية في الدوحة، وجسر أبو ظبي ومصرف الرافدين بالجادرية ببغداد، ومحطة المترو في مدينة الأعمال الملك عبدالله بالرياض، ومركز الملك عبد الله للدراسات والبحوث البترولية، وبيت الثقافة بعمان، ومدينة المعارض بالقاهرة الذي تلكأ وألغي، ضمن الكثير من المشاريع المؤجلة أو الملغية بسبب أوضاع تلك البلدان.

ولشدة الغرابة في التيار المعماري الذي تشيعت له ونتيجة لحالة التوجس منه، فقد بقيت أغلب تصاميمها مداداً على الورق، يضرب المسيرون لفحواها وجدواها أخماساً في أسداس. بيد أن عمارة زها حديد تحمل نزعة إبهار كبير ودعوة للفضول، والأمر لا يمت صلة بالعمارة التراثية الإسلامية التي تشكل خلفيتها، أو العمارة الحديثة التي شاعت منذ قرن ونيف وأثّرت في العمارة العربية بعمق، أو تيار (ما بعد الحداثة) الذي وهج وأفل خلال عقدين. ولم تسر زها على خطى رهط من المعماريين العراقيين الذين لاقحوا التراث بالحداثة من أقرانها العراقيين، أمثال محمد صالح مكية وجعفر علاوي ورفعة الجادرجي وقحطان المدفعي وغيرهم.

وأقرت زها مراراً أنها غير عابئة بالماضي، وهي تتطلع إلى المستقبل، وتقول إن الحاضر هو المستقبل، وإن خلافها مع عمارة التراث بأنها تفرق بين المسقط (plan) والعمارة، وبين المسقط والمبنى. حيث ورد عنها قولها: (أنا متأكدة أن جزءاً من خلفيتي العراقية بقي في العقل الباطني وبرز في بعض أعمالي. والمرأة في المحيط الشرقي ليست لها ذات السعة من الإمكانية للتعرف بشكل كامل على إنجازات المحيط الذي يلفها، خصوصاً في مجال الفنون، ولكني في نفس الوقت أؤمن بالحداثة والتجديد اللتان كانتا تحتلان الجزء الأهم في ممارستي مهنة الفن



بكلا شقيها العمارة والرسم. ولذلك لم يكن من اهتماماتي الاستشراق أو العودة إلى الأصول الشرقية في استخدام العناصر الإنشائية أو التصميمية في مشاريعي. وأعتقد أن تأثير المنجزات الحضارية التي وصلت إليها البشرية في الكثير من المجالات والاستفادة منها هي أهم للإنسان من تمسك بتراث وعتق، ولي بالذات كمهندسة حداثة أفضل من الإفراط في الغور بالماضي واقتباس مفرداته. وعلى الرغم من ذلك هناك عناصر من الخطوط المتشابكة التي تعيد جزءاً ما في الفنون العربية الإسلامية. وأعتقد أن أهم ما يمكن ملاحظته في أعمالي هو تأثير البيئة الشرقية عليها في مجال تخطيط محيط المشاريع).

نجد عمليات تسوية الأرض تضطلع بأهمية قصوى لدى زها، تصل أهمية المبنى نفسه. كما هو الحال في مشروع (الميديا بارك) الأملس الانسيابي في مدينة دوسلدورف في ألمانيا عام 1993، وكان يمثل نموذجاً مفتوحاً نحو أفق نهر جليدي. والحال عينه حدث في تمهيدها لإنشاء دار أوبرا (كارديف باي) حيث أضفت عليها تعرجات وتغيرات وشقوق. والأمر عينه في دار أوبرا جوانغ زها في الصين. أما مركز فاينو ساسين في دولفسبيرج في ألمانيا فقد تم رفعه على دعامات ما يسمح للسيارات والسابلة المرور من تحته. وهكذا أمست بنايات زها تتناغم مع سياقاتها المحيطة.

ومشاريعها راعت على العموم بيئاتها التاريخية والمناخية، وأولت بحسب خيال الناقد، فنجد مثلاً منصة أنسبروك للتزحلق في النمسا وإيحاءات شكلها من عاصفة ثلجية. ورامت في مشروعها في روما أن تحترم تراث روما المعماري. وتقول في هذا السياق: (أعتقد أن العمارة يجب أن تعكس متطلبات البيئة التي تعد لها، ويؤخذ بنظر الاعتبار مدى تقبل المستخدم والمحيط لذلك العمل الفني. إن الشكل الذي يقدمه المعماري والفنان في لوحته يلقى التجاوب من المشاهد أو المستخدم أو المحيط بالقدر الذي يعكس مستواه الفني والمعرفي بالشكل والتعبير، ولذلك أعتقد أن أعمالي الحداثية لن تلقى التقبل في العالم العربي).

ويمكن تقصي فهمها للعمارة الإسلامية، من خلال رصد مشروع المسجد الكبير في ستراسبورغ. حيث جاءت فكرته التصميمية مستحدثة في جميع عناصرها المألوفة في تصميم المساجد على مر التاريخ الإسلامي، والشيء الوحيد الذي يعيد جوهر الفكرة هو الفضاء الداخلي الذي زينته بآيات قرآنية كتبت على مساحات مشتتة. كما اختفت المنائر من المبنى واستعيض عنها في رفع وسط واجهته ما يشير إلى منزلته. إن تاريخ عمارة المساجد لم يشهد مثالاً كالذي قامت بتصميمه زها حيث تخلت تماماً في مسجد ستراسبورغ عن ثلاثة عناصر أساسية في تصميم المساجد. المنارة كعنصر أساسي، ثم القبة والثالث العناصر الزخرفية في الخارج والداخل.

وعمارتها عموماً تمازج بين الحلم والحقيقة، والخيال

مشروع زها في الدرعية بالرياض (مركز التراث العمراني) محك حقيقي لصراع التراث والحداثة حيث تعامل مع التراث بمفهوم (القطع والوصل)

والواقع، والتجريد الزخرفي مع التجسيد للسطوح والواجهات والفتحات. وعمارة زها عالم من المتناقضات الذي تتكسر فيه المجسمات كما هو الحال في الصور الفوتوغرافية والمجسمات البلاستيكية لأبرز أعمالها كما في قاعات معرض روما. وأسلوب زها يعتمد على تداخل العلوم والتطورات الأخيرة في التقانة والعلوم الإنسانية الأخرى، التي دفعت العمارة بعيداً عن النطاق التقليدي لتظهر إلى الوجود كظاهرة اجتماعية وتاريخية محددة، تستجلي القوانين وأنماط السلوك التي تتحكم في هذه البنية. فهي ترى بنية العمارة ونظامها يملكان مقومات وعلاقات غير محددة تتداخل في عملية التفاعل لتكون نتيجتها النهائية تحويل المادة الخام إلى جسم لكيان مادي معاصر قادر على التفاعل مع ناس هذا العصر. فالشكل المعماري يخطو ذاتياً بخطوات حرة غير مستند بالضرورة إلى العوامل التي ولدته على ضوء حاجة اجتماعية معينة. ولهذا فإن زها حديد ترفض التقاليد الموروثة في العمل المعماري على اعتبار أن عملية توليد شكل جديد تتبع مناخات جديدة مختلفة لأن لكل عمارة دوراً تؤديه وعصراً تنتج فيه.

اختلف بشأنها النقاد حيث كتب عنها باترك شوماخر: (كانت صرخة في ما قدمته منذ عقدين من الزمن من أعمال في الرسم أو في العمارة، إنها جدلية العمارة كما كان هيغل صاحب الجدلية (الديالكتيك) في الفلسفة). وكتب أندرياس روبي عن مشاريعها: (إن مشاريع زها حديد تشبه سفن الفضاء تسبح دون تأثير الجاذبية في فضاء مترامي الأطراف. إنها لا تملك علواً ولا أسفل. إنها لا تملك واجهة ولا خلفاً. إنها مبان في حركة انسيابية في الفضاء المحيط). وأضاف: (ومن مرحلة الفكرة الأولية لمشاريع زها إلى مرحلة التنفيذ تقترب سفينة الفضاء إلى سطح الأرض. وفي استقرارها تعد أكبر عملية مناورة في مجال العمارة). ويلمس المتتبعون الغيرة من الأوساط المعمارية الإنجليزية، بعد قيامها بتصميم جسر أبو ظبي، حيث قال (فيليب دود) مدير معهد الفنون المعاصرة المتنفذ في بريطانيا، بمناسبة تسليم زها مشروع محطة الطاقة في منطقة باترسي جنوب لندن التي يزمع تحويلها إلى (ديزني لاند): (أعطوها محطة الطاقة في (باترسي) كي تعيد بناءها لنا جميعاً). أما رفض اليابانيين لمشروع الملعب الأولمبي لألعاب 2020 في طوكيو، الذي يسع ثمانين ألف مقعد، فقد تعرض لانتقادات حادة من معماريين يابانيين وصفوا المبنى بأنه (غلطة) وأنه (يبدو سخيفاً). والحقيقة تشير إلى أن عامل التكلفة هو السبب، غير ما يشاع ويقال، حيث وصلت إلى أكثر من مليار دولار، وبرروا أن سقفه يعلو على مزار (ميجي) التاريخي. وقد صرحت زها أن رفض اللجنة كان من زملاء لها انتابتهم حالة (تحاسد العلماء)، كون مشاريعهم لم تدخل المسابقة أصلاً. وصرح المعمار الياباني أراتا أيزوزاكي أن المبنى برمته (يبدو أشبه بسلحفاة تنتظر أن تغرق اليابان في المحيط حتى تتمكن من العوم). ويذكر أن زها صممت مركزاً للألعاب الأولمبية في لندن عام 2012، وملعب الوكرة في قطر الذي من المفترض أن يستضيف كأس العالم 2022.

ولا يروق للرعيل القديم والمطنبون في (التراثية) عمارة زها كونها تائهة في لجة حداثة مبالغ بها وضائعة بين أشكال ومضامين متناقضة، ونجزم بهذا الصدد أن عمارتها تشكو من قسر للأشكال التي ينتجها الحاسوب في شجون الإظهار، وتقع صعوبة إنجازها على نجار القالب





الخرساني وعامل التسليح والهيكل المعدني المعد قسراً ليتشكل من أجل تحقيق أجسام غرائبية لا تنعت ما بداخلها في العادة من محتوى، حيث لم نجد للكثير من تلك الأشكال من مبرر سوى الإبهار المفتعل. وكان ذلك سبباً في أن مشاريع زها لن تجد لها موقع قدم في عمائر العالم الثالث أو النامي والإسلامي، إلا لأغراض استعراضية وإبهارية وفنتازيا، كونها وببساطة تكرس فجوة جديدة بين المقدرة التقنية المتواضعة لتلك المجتمعات اللاهثة وراء حداثة غربية جامحة لا عقال لها. لهذا سوف تمكث عمارة زها (عمارة نخبوية) إذا صح التعبير.

ربما يكون مشروعها في الدرعية بالرياض (مركز التراث العمراني) محكاً حقيقياً لصراع التراث والحداثة وشطط الفهم والإفهام لهما. فحوى الأمر كيف ننظر للتراث، فالبعض يريد أن يعيش داخل التراث ولا يريد أن يخرج منه أبداً، لذلك هو دائماً يرى جزءاً من الواقع لأنه حبيس الصندوق، وهؤلاء هم دعاة السكون وينبذون التغيير، بينما المقترح الذي قدمته (زها حديد) تعامل مع التراث بمفهوم (القطع والوصل) أي أنه نظر للتراث وما وصل إليه وإلى مكوناته وتعامل مع هذه المكونات كبداية لانطلاقة جديدة.

من يجتر التراث ويكرره في العمارة المعاصرة هو لا يصنع إبداعاً ولا يقدم جديداً، بل هو ينقل ما يراه وهذا أقل درجات الاستيعاب لقيمة التراث، بل أحياناً هو امتهان للأصل. وهذا السؤال الصعب أثير أكثر من مرة مع الأمير سلطان بن سلمان، صاحب فكرة المشروع، الذي عمل خلال ثلاثة عقود على إحداث تحول حقيقي في الثقافة السعودية المعاصرة، فهل ما تؤمن به لجنة التحكيم سيناقض التوجهات الفكرية التي ثابر الأمير من أجل الدفاع عنها، أم أنه سيعززها وسيفتح لها آفاقاً مستقبلية غير منظورة؟ إذن إن موقع مركز التراث العمراني في الدرعية يقع في الجهة المقابلة لحي الطريف المسجل في قائمة التراث العالمي، وبجوار محافظة الدرعية، فهو في منطقة الحزام الحامي للمنطقة المسجلة، وقد طورت زها حديد مقترحها بحيث يكون المبنى كمفصل رابط للتاريخ الذي يمثله حي الطريف، وبين المستقبل الذي تمثله الدرعية المعاصرة.

لقد طوَّر الغلاف الخارجي للمبنى لينقل بصورة رمزية تضاريس وادي حنيفة والطبقات الصخرية بخطوطها الأفقية المتموجة، كما أنه يعبر عن بيئة الصحراء وكثبانها الرملية بصورته العامة لكنه لا ينسى أبداً اللغة البصرية للعمارة النجدية التي تدعو كل من يمر بالمبنى أن يتوقف ليبحث عنها ولتثير لديه تساؤلاً صارخاً كيف يمكن أن تكون عليه العمارة السعودية في المستقبل لأنه مبنى يدعوه بحق إلى اكتشاف تراث المملكة الطبيعي والثقافي. والمبنى يتشكل بسلاسة عبر واجهته (البانورامية) الممتدة على الطريق الرئيس الموازي للوادي ليشكل ما يشبه العين الكبيرة التي تنظر بعمق وتركيز لحي الطريف الذي يتراءى عن بعد، لتقول إن هذا المبنى هو تطور طبيعي ومنطقي لذلك التاريخ، لأنه لا يحق لنا أن نجمد الزمن ونوقف حركة التطور لكن (خيوط التقاليد) الجينية التي نتوارثها بشكل طبيعي، على حد تعبير الناقد المعماري (ويلسون) تظهر فينا بشكل طبيعي دون أن نكرر بعضنا البعض، ودون أن تتطابق ملامحنا وإن تشابه بعض منها. ويذهب الدكتور مشاري النعيم إلى أن هذا المبنى سيشكل عيناً (ناقدة) لتراثنا العمراني والثقافي، يدعونا للتفكير بعمق في الخطوة القادمة لأنه سيمثل أحد المفاصل التي تمثل ماهية العمارة السعودية في المستقبل خصوصاً وأنه يقع في عاصمة التوحيد وبداية انطلاقة هذه البلاد المباركة.

حري في كل تلك الشجون سبر السياق النفسي الذي قاد زها حديد إلى (التفكيكية)، أو (التهديمية) وهو اتجاه يُبنى على تعقيد عالٍ، وقلق يشي بهندسة غير منتظمة، إذ نتساءل: هل جاء ذلك من خلال (صُدفة) وجودها في الغرب، أو كان قد تواءم مع سجية راسخة من بيئتها العراقية تدعى (الشكوكية skeptic) الفلسفية، التي تشرئب، وكانت السبب في المنجز الدهري لتلك البيئة الثقافية منذ (كلكامش) المشكك بقضاء الموت وحتميته، حتى احتماليات (الخوارزمي) التي أنتجت اللوغارتمات، وصولاً لـ(شكوكية) الإمام الغزالي التي بثها في فكر ديكارت لتثمر في الغرب وقادت إلى (التنوير) وربما إلى تفكيكية الجزائري الفرنسي (جاك دريدا 1930-2005) التي يمكث جوهرها (شكوكي) بمسلمات الأمور ودائب البحث عن البديل جانحاً نحو الاستقرار الذي يبقى كلف المنال.

ولا يمكن بأي حال التشيع لتفكيكية (زها) لكونها تمت الصلة بنا عرباً ومسلمين، أو حتى الوقوف ضد تيارها المتبوئ للصفوف الأولى اليوم بما يبثه من إبهار مفتعل. ويمكن التروي لما ستؤول إليه النتائج، فكم حالات من التناقض حصلت بين المنطلقات النظرية والنتائج التطبيقية في مناحي حياة البشر، وكم من تيار وصل حد العاصفة ثم اضمحل إلى سكون. وكما جبل عليه الغرب من زوابع وتيارات فكرية عابرة سرعان ما تلاشت. إن ذلك يثير فينا التساؤل عن كم من الوقت ستستغرق هذه الشطحة المعمارية، وهل ستجد من يداوم عليها أو يطورها أو حتى ينقضها بأحسن منها؟

زها تعتمد في تصاميمها على الحركة الوظيفية وانسياب الشكل دون الاهتمام بإعادة الأشكال الهندسية أي دون اللجوء لسطوة التناظر

ابن فضل اللّه العمري عبقري المسالك والممالك








أحمد أبو زيد: مصر

يعد أحمد ابن فضل الله العمري واحداً من رواد الجغرافيا والحضارة والعمران في تاريخ الحضارة الإسلامية، فقد احتل مكانة علمية كبيرة على المستوى العربي والإسلامي والعالمي، نتيجة جهوده العظيمة في مجال الدراسات الجغرافية والتاريخ وأحوال العمران.

ويكتسب كتابه الموسوعي (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) أهمية كبيرة، فهو موسوعة شاملة عن العالم العربي والإسلامي حتى القرن الثامن الهجري، ومن أضخم الموسوعات العربية التي تفاخر معظم مكتبات العالم بامتلاك أجزاء منها، ويعد إمام عصره في معرفة الممالك والمسالك، وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها، وأحوال سكان الأرض، وحَل التقويم، وصُوَر الكواكب.

مولده ونشأته

والعمري هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن أحمد العمري، أبو العباس شهاب الدين، يتصل نسبه إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ولذلك لقب بالعمري، وهو مؤرخ وأديب دمشقي، ولد في دمشق سنة 700هـ (1301م)، وتلقى بها تعليمه وبرع في الكتابة وفنونها والعلوم، فكان إماماً في الترسل والإنشاء، عارفاً بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ، ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره.

وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون المملوكي، ذهب إلى القاهرة، وتقلد رئاسة ديوان الإنشاء، وكان له الفضل في الكثير من الدراسات، فقد عني بدراسة الجغرافية السياسية والفلك، وتواريخ الأمم وعجائبها، وتجول في البلاد من الشام إلى الحجاز والأناضول وغيرها من بلاد الأرض.

ووضع عدة مؤلفات، أشهرها موسوعته (مسالك الأبصار)، و(فواضل السمر في فضائل آل عمر)، و(الدائرة بين مكة والبلاد)، و(يقظة الساهر)، و(النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية)، و(نفحة الروض). وجاءت وفاته بدمشق سنة 749هـ (1349م)، قبل أن يبلغ الخمسين من عمره.

مسالك الأبصار

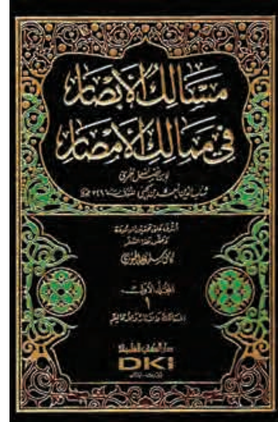
وكتابه (مسالك الأبصار)، من أهم ما أنتجه عصر سلاطين المماليك على المستوى العلمي والجغرافي. شرع العمري في تأليفه في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، بعدما اعتقل وصودرت أمواله، أثناء الإقامة الجبرية التي فرضها عليه الناصر بن قلاوون سنة 738هـ، والتي دامت حتى 740هـ. وهو كما وصفه صاحبه قسمان، الأول: في الأرض، والثاني: في سكان الأرض.

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطاً حتى بدايات القرن العشرين، فكان أحمد زكي باشا أول من نشر قسماً منه سنة 1924م، وهو الجزء الأول، ثم تلاه جماعة من العرب والمستشرقين، فقاموا بنشر أجزاء من الكتاب، أو دراسات عنه بمختلف اللغات الأوروبية، وأبرزهم (كاتر مير)، و(ميخائيل أماري)، و(تيزنهوزن)، و(شيفير)، و(دي موبين)، و(تيشنر)، و(ليش)، و(دوروتيا كرافولسكي)، ثم قام فؤاد سوزكين بإصدار أجزاء الكتاب كاملة بالنشر التصويري سنة 1989م، وفي عام 1994 أعلن المجمع الثقافي بمدينة أبوظبي عن مشروع تحقيق الكتاب، وأصدر منه (21) مجلداً في أوقات متقاربة، منذ عام 2000م، كما قام (مركز زايد للتراث) بإصدار (25) جزءاً من الكتاب في أربعة وثلاثين مجلداً، تولى تحقيقها نخبة من الدكاترة والباحثين.

ويقع الكتاب في سبعة وعشرين جزءاً، خصصت أجزاء منها للجغرافيا وأخرى للتاريخ وأخرى للتراجم: الأطباء مجلداً، والفقهاء مجلداً، والمحدثين مجلداً، والشعراء عدة مجلدات، وقسمها قسمين، ما قبل المتنبي وما بعد المتنبي، ومجلدين للمعادن والنبات والحيوان، ومجلداً خاصاً بالأديان والمذاهب والفرق. وبعض أجزائها مزودة بالصور الملونة للأقاليم والخرائط وصور النباتات.

علم المسالك والممالك

ولعل من المفيد هنا قبل أن نتحدث عن منهج العمري في كتابه وأسباب تأليفه، أن نلقي نظرة على علم المسالك والممالك ونشأته التاريخية، فقد نَشَأ هذا العلم في أَوْج ازدهار الخلافة العباسية، على يد عدد من المصنِّفين وكُتَّاب الدواوين، الذين كانت تتجمَّع بين أيديهم مُعطيات كثيرة





عن الطُّرق، والمسالك، والخراج، والواردات، والنفقات، وأسماء المواضع، وكان كتاب ابن خَرداذبه (المسالك والممالك)، الذي وضَعه سنة 232هـ (846م)، فاتحةَ هذا العلم، بعد أن تولَّى البريد والأخبار في (بلاد الجبل) في عهد المعتمد العباسي، وقد تطوَّر هذا العلم بشكل مطرد، إلى أن بلَغ ذروته في القرنين اللاحقين، ثم تطوَّر في صَدْر العصر المملوكي على شَكْل موسوعات جغرافية، لعلَّ أشهرها وأهمَّها موسوعة (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، للعُمري. واختتمَ بكتاب (زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك)، لخليل بن شاهين الظاهري المتوفى سنة 873 هجرية (1468م). ويرى الدكتور صلاح الدين المنجد أنَّ علم (المسالك والممالك) هو أقرب ما يكون للجغرافيا الوصفية، لأنه لَم يَقتصر على ذكر الطرق والمسالك والمراحل، بل وصَف البُلدان والمدن -إدارةً، وتاريخاً، واقتصاداً- أوصافاً تقلُّ أو تزيد باختلاف العصر والمؤلف.

ابن فضل إمام عصره في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وأحوال السكان

دوافع الكتاب ومنهجه

وعن الدوافع التي دفعت العمري إلى وضع هذا الكتاب ومنهجه في تأليفه، يقول في مقدمته: (لمَّا كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقُّل من حال، والتوقُّل على شرفات الشدّ والارتحال، للاطلاع على الغرائب، والاستطلاع للعجائب، وقد قال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ)، وقال: (هُوَ الذَّي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)، وقال تعالى: (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)، وقال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُون فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

ولقد طالعت الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها، فلم أجد من قنّن أحوالها، ومثّل في الأفهام صورها، لأن غالب تلك الكتب لا تتضمَّن سوى الأخبار القديمة، وأحوال الملوك السالفة، والأمم البائدة، وبعض مصطلحات ذهبت بذهاب أهلها، ولم يبق في مجرّد ذكرها عظيم فائدة، ولا كبير أمر. وخير القول أصدقه، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

فاستخرت الله تعالى في إثبات نبذة دالَّة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها ومن فيها: الأظهَر فالأظهر، والأشهر فالأشهر، وما لم أجد بُدّاً من ذكره في ذلك ومثله، وحالة كل مملكة، وما هي عليه، هي وأهلها في وقتنا هذا (القرن الثامن الهجري)، مما ضَّمه نطاق تلك المملكة، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة، لأقرِّب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي عليه أُمُّ كلِّ مملكة من المصطلح والمعاملات، وما يوجد فيها غالباً، ليُبصر أهل كلِّ قطر القطر الآخر. وبينته بالتصوير، ليُعرف كيف هو، كأنه قُدَّام عيونهم بالمشاهدة والعيان. مما اعتمدت في ذلك على تحقيق معرفتي له، فيما رأيته بالمشاهدة، وفيما لم أره بالنقل ممَّن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها، مما رآه بعينه أو سَمعه من الثقات بأُذنه.

ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية، واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كلِّ مملكة، لآمن من تغفُّل الغفلاء وتخيُّل الجهالات الضالَّة، وتحريف الأفهام الفاسدة، فإن نقلت عن بعض الكتب المصنَّفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لا بد منه، كتقسيم الأقاليم، وما فيها من أقوال القدماء، واختلاف آراء الحكام، إلى غير ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام، مما هو مسرح أمل، ومطمح ذي عمل، لأُجمِّل به كلامي، وأكمِّل به نقصي، وأتمِّم به بهجة النظر، ورونق الصفحات، كالطراز في الثوب، والخال في الخدّ، لا لأكثِّر به حجم الكتاب. ولم أقتصر بذكر الأقاليم، عند ذكري

الممالك، بل أذكر ما اشتملت عليه مملكة كل سلطان، جملة لا تفصيلاً.

ولم آلُ جهداً في تصحيح ما كتبته بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل. ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة، ولا خرجت من جهاتها عن الطريق المستقيمة، اكتفاء بالحقّ الواضح، والصدق الظاهر، مما اتّصلت بنا حقيقة أخباره، وصحَّت عندنا جليَّلة أحواله.

وقنعت بما بلغه مُلك هذه الأُمَّة، وتمَّت بكلمة الإسلام على أهله النعمة، ولم أتجاوز حدّها، ولا مشيت خطوة بعدها، إلا ما جرَّه سياق الكلام، أو طارح به شُجون الحديث، مما اندرج في أثناء ذلك، أو اضطرَّت إليه تعريجات السالك، أو اقتضاه سبب، أو دخل مع غيره في ذمَّه حسب.

وأوّل ما أبدأ بالمشرق، لأن منه يتفتح نُوّار الأنوار، وتجري أنهار النهار. إلى أن أختمه بنهاية المغرب، إلى البحر المحيط، لأنه الغاية، وإليه النهاية. إلا فيما لم أجد بُدّاً من الابتداء به من المغرب إلى المشرق، كتخريج الأقاليم، لابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر الغربيّ، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قسمه.

وقطعت فيه عمر الأيّام والليالي، وأثبتُّ فيه بالأقلام أخبار العوالي، وشُغلت به الحين بعد الحين، واشتغلت ولم أسمع قول اللاّحين، وحرصت عليه حرص الضَّنين، وخلصت إليه بعد أن أجريت ورائي السنين.... وسمَّيته: (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)... وفهرست ما تضمَّنه وجملته قسمان: (القسم الأول في الأرض، القسم الثاني في سكان الأرض).

وهو يقسم القسم الأول بدوره إلى قسمين أيضاً، ويسمي القسم (نوعاً).

النوع الأول: في ذكر المسالك، ولعلَّه استخدَم هذا العنوان بمعناه الواسع الذي يَشمل الجغرافيا العامة، وفيه خمسة أبواب: الأول: في أبعاد الأرض وأوضاعها، والثاني: في الأقاليم السبعة، والثالث: في البحار وما يتعلَّق بها من مسائل، وقد تحدَّث فيه عن القنباص (البوصلة) أيضاً، الرابع: في القبلة وعلاماتها، والخامس: في الطرق.

والنوع الثاني: في ذكر الممالك، وفيه خمسة عشر باباً، يتحدَّث فيه بالترتيب من الشرق إلى الغرب عن البلدان والممالك التالية: الهند، بيت جنكيز خان، الجيل، الجبال، أتراك الروم (آسيا الصغرى)، مصر والشام والحجاز، اليمن، المسلمين بالحبشة، والسودان، مالي، جبال البربر، أفريقية، بر العدوة (المغرب)، الأندلس، العرب المعاصرين وأماكنهم.

التأريخ للحضارة

والعمري في حديثه عن الممالك الإسلاميَّة لا يَستعرض أحداثاً تاريخيَّة بقَدْر ما يُقدِّم لنا استعراضاً حضاريّاً، ولذلك يعدُّ كتابه ضمن المؤلَّفات التي تؤرِّخ للحضارة، فهو يستعرض الجوانب الحضارية عند الشعوب في مختلف الأمصار، فيؤرِّخ للحضارة الإسلاميَّة، وهذا النوع من المؤلَّفات قليل، ورجاله قلائل، ونُطالع في حديثه عن الممالك الإسلاميَّة استعراضَه لأوضاع الملوك والوظائف، وأرباب الرُّتَب العالية وما لهم من أرزاق، وزي الناس ولباسهم، وطعامهم ومأكلهم، والميزان، والمكيال، والعُملة، ومقدار كلٍّ منها، ومقارنتها بالمصري والشامي، واستعراض الجيوش وتكوينها وتسليحها، وعَدَدها وعدَتها، ومُخصصات أهلها، وما تُنتجه أراضي الممالك من بَقْلها، وفومها، وأشجارها، وأنواع المعادن وقيمتها، واستعمالها.

ولا يهمل الحديث عن كيفيَّة جلوس السلاطين، وأرباب الوظائف، وتلقِّيهم القصص والشكاوى، وكيفيَّة عَرْضها ووصولها إلى السلطان، وإصدار الفرمانات، واليراليغ، والأوامر، وخَتْمها بالخاتم السلطاني، ويتحدَّث عن القصور، والبيوت، والخركاوات، وما تَحتويه من وسائل معيشيَّة، ويَستعرض نظام الإدارة، وتولية المناصب، والوظائف في الممالك الإسلاميَّة المختلفة.

وهذا يعني أنَّ المؤلف كان يسعى لتأريخ الحضارة الإسلامية في عصره: في الهند وإيران وبلاد الترك والصين والروم ومصر والشام والحجاز، مع عدم إهمال الجانب التاريخي.

والقسم الثاني من الكتاب: في أهل الأرض والقبائل والأقوام المختلفة، وفيه أربعة أنواع (أقسام): الأوَّل: يُقارن بين الشرق والغرب، ويتحدَّث فيه عن الطبيعة والحيوان، وطوائف العلماء. والثاني: في الأديان المختلفة. والثالث: في طوائف أهل الدين. والرابع: في التاريخ، وفيه بابان: الأوَّل: في الحكومات قبل الإسلام، والثاني: في الحكومات بعد الإسلام.

تراجم الأعيان

كما يقوم العمري بعمل تراجم مستوفاة لأهل البلاغة والبيان، ثم يُتبعها بعمل تراجم لأشهر مَن عُرفوا بالزهد، سواء في المشرق أو المغرب من عصر التابعين حتى عصره، ثم تراجم الشعراء، وفلاسفة اليونان، وأهل الموسيقا والألحان، ثم بعد ذلك يَعقد فصلاً يتحدَّث فيه عن مفردات الأغذية والأدوية من نبات ومعادن، ويتحدَّث عن الدول التي قامت في المشرق والمغرب، كالدولة الأُموية، والعباسية، والعُبيديَّة.

يؤرخ ابن فضل للحضارة ويستعرض أحوال العمران عند الشعوب في مختلف الأمصار



ويُعتبـر الجـزء الخاص بمملكة مصـر والشـام والحجاز أهم أجزاء الكتاب، وقد تولّت تحقيقه المستشـرقة (دوروتيا كرافولسـكي)، وفيه تحـدَّث العمري عـن الدولة المملوكية فـي عصـره، والتي كانت تسـود في مصـر والشـام والحجاز، وهـذا الجـزء كان المصـدر الأسـاس لـكلِّ مَن كتَـب عن هذه الحقبة من بعده، كالقلقشندي، والمقريزي، والسيوطي، بل إنَّ المقريزي أدْرَج هذا الباب كله في كتابه (الخُطط).

وهكـذا نطالـع ضـمن موضـوعات أجـزاء الكتاب التـي بلغت سبعة وعشرين جزءاً، العديد من عناوين الجغرافيا والحضارة والعمران، مثل: الأرض وصفة جغرافيتها وأقاليمها، والمساجد والمعابد والأديرة، وممالك الشـرق الإسلامي، وممالك اليمن والغرب الإسلامي، وقبائل العرب، والقراء والمحدثين، وتراجم الفقهـاء، وأهـل اللغـة والنحـو والبيـان، وطوائـف الصـوفية، والحكمـاء والأطبـاء والشـعراء والـوزراء والكتـاب، ومـا يتعلـق بالحيوان والنباتات، والسيرة النبوية، وتاريخ العالم الإسلامي، وتاريخ الحروب الصليبية والدول المتناحرة.

تشمل موسوعته الجغرافيا والتاريخ وتراجم الأطباء والفقهاء والمحدثين والشعراء والأديان والمذاهب والفرق

براعة العمري ومصادره

ولا شك أن تأليف مثل هذا الكتاب يحتاج إلى قريحة أدبية بارعـة، وذهن جوَّال ناقـد، والعمري يتحلَّى بكلتا الصـفتين على أعلى حدٍّ، ولقد سلَك فيه مسلكاً فريداً، فأبدَع فيه، حيث اعتمَد على أكثر من منهج في التأليف:

أوَّلهـا: منهـج الروايـة بالمشـاهدة والرؤيـة، وهـذا فيمـا يتعلَّق باستعراضـه لأحداث ووقائع عصره في ممالك مصر والشـام والحجاز، وفـي منهجه هذا يتحـدَّث حديثَ الخبير المتخصِّـص، ولا يذكر مصدرَ روايته أو مشاهدته، باعتباره الشـاهدَ عليهـا، ولا تَفوتـه شـاردة ولا واردة إلاَّ وذكَرهـا، مما قـد يَجهله كثيرون غير مقرَّبين من الحضـرة السـلطانيَّة، ولذلـك وجَدنـاه يُطنـب فـي الحديـث عـن مصـر وأحوالها وأحـوال سـلاطينها إطناباً، ويُرسـل الحديث إرسـالاً في كلِّ الجوانب التاريخيَّة والحضارية.

ثانيهـا: منهـج الروايـة بالسـماع، وهـذا قائم على سـماع رواية الذين شـاهَدوا تلك البـلاد، واطَّلعوا على أخبارها من التجـار والـزُّوَّار، وقـد ذكَـر ذلك فـي أحداث ووقائـع ممالك الهنـد، وممالـك قانـات المغـول، وممالـك بـلاد الجيـل، والجبل، وممالك الروم. وفي منهجه هذا تحدَّث عن ممالك الهند قائلاً: كنتُ أسـمع الأخبار الطائحة والكتب المصنَّفة ما يملأ العين والسـمع، وكنتُ لا أقـف على حقيقة أخبارها، لبُعدها منا، وتنائي ديارها عنَّا، فلمَّا شَـرَعت في تأليفي هذا الكتـابَ، تتبَّعـت ثقـاة الـرواة، ووجَـدت أكثر مما كنتُ أسـمع، وأجلَّ مما كنتُ أظنُّ.

ثالثها: منهج النقل عن المتون السابقة، وهو منهج اعتمد عليه العمري، قد يقل من النقل أحياناً كما في السفر الثالث من الكتاب، وقد يُكثر من النقل جدّاً من الكتب، كما فعَل في السـفر السـابع وما يليه من الأسـفار، فإنه كان يترجم لأهل النحو، والتصوُّف، وأهل الغناء، والفلاسفة، وغيرهم.

فقد اعتمَد ابن فضـل الله في تراجمه على مصادر جعَلها مـورداً يَنهـل منه تاريـخ مولدهم ووفاتهم، ومـا يؤثَر عنهم، بعـد أن يَفيض بسَـجْعه عليهـم، كـ(وفيات الأعيـان) و(أنباء أبناء الزمان)، لابن خلكان، و(تاريخ إربل)، لابن المستوفي، و(خريدة القصر وجريدة العصر)، لعماد الدين الأصبهاني، كما نقل من (الرسالة القشيرية)، و(طبقات الأولياء)، لابن الملقِّن، و(طبقات الصـوفيَّة)، للسـلمي، و(حلية الأولياء)، لأبـي نُعيـم، و(رجـال طبقـات الصـوفيَّة)، للمُنـاوي، ونقـل أيضـاً عن (تاريخ الطبري)، و(تاريخ دمشـق)، لابن عساكر، و(أخبـار الزمان)، للمسـعودي، و(جامع التواريخ)، لرشـيد الدين فضل الله، وغيرهم كثير.

إشادة العلماء والمؤرخين

ولقد أحذت موسـوعة العمري شـهرة كبيـرة بين العلماء والمؤرخين والباحثين في الشرق والغرب، فقال عنها أحمد زكـي باشـا: هـذا كتاب (مسـالك الأبصـار)، لابن فضـل الله العُمـري، لا يحتـاج إلـى التعريف بـه وبمؤلِّفه، فقد اسـتفاد منـه فـي القرون الوسـطى كلُّ أكابر العلماء في الشـرق، من عرب وفرس وترك، حتى إذا ما رحَل العلم من بلادنا واستقرَّ بأرض أوروبـا، تنبَّـه المستشـرقون إليه فاسْـتَقوا من بحره الطامي، مثـل: (كاترمير) الفرنسـي، و(أماري) الطلياني، فكان لهما القدْح المعلَّى، والراية البيضاء في استخراج كنوز المعـارف من هذا المعدن الغني السَّـخي الكريـم. وقال ابن شاكر الكتبي: (كتاب حافل، ما أعلم أنَّ لأحدٍ مثله).

ماقل ودل

كلمات



سعد البواردي

عندما يُصاب الجسد السليم الواحد بالإعياء والعلّة دون علاج سليم وناجع يبقى عرضة للهزال وللمذلة.
ومثله جسد الأمة حين ينقسم على نفسه دون توحد يصبح عرضة للمهانة والهوان والهزال..

•••

المتشائمون، والانهزاميون يرددون مقولة:
(ضع قلمك في جيبك)
الحالمون والعالمون يقولون رغم كل المعوقات والعراقيل:
(ضع قلمك في يدك)
القلم في الجيب أشبه بالسيف داخل غمده عند الحاجة الماسّة إليه يفتقد بريقه ويتحول إلى مجرد أداة صدئة لا معنى ولا مغزى لها..

•••

ما طار طير وارتفع
إلا كما طار وقع!
نصيحة أسديها لوجه الله إلى أولئك.. يغترون بمناصبهم، أو بوجاهاتهم، أو بثرواتهم.. تواضعوا لله، وأمام خلقه..
التواضع لله ليس نقيصة، وإنما بضاعة مزجاة يانعة الثمار قطوفها دانية..
قديماً قال الشاعر:

خفف الوطء ما أظن أديـ
ـم الأرض إلا من هذه الأجساد

وقال الحكيم:
من تواضع لله رَحِمه.

الحادثة

محمد عباس علي: مصر

والعربة تقودني وسط الطريق، رأيتني والظلمة نطوي النهار، ننحسر في ليل يملأ الصدر، متوغلاً في دهاليز القلب، متفرعاً إلى حيث تلافيف العقل ومقل العينين، بينما الدموع حيرى على حواف الجفون، لا تمتلك حق النزول، وفي ذات الوقت لا تستطيع الصمت، ووجه أبي يومض ومضات سريعة بصور مختلفة تخايل خاطري، أحاول الإمساك بها، تحتال للإفلات فلا أملك إلا تتبع وميضها وأنا أستعيد كلماته، أشعر بجرسها في فراغ صدري له صدى، وصداها يهزني هزاً. تتدافع الخواطر ملتاعة إلى رأسي.. الجبل الصلد تصدع، عرفت الرياح كيف تروضه، نقلوه إلى المستشفى فجراً.. هكذا أخبرتني أمي في الهاتف، صوتها نبراته الشامخة كعادتها لم تستطع إخفاء جزع لم ألمسه فيها من قبل، خفوته البادي وشى بما هنالك، رنة الحزن التي غلفت عبارتها القصيرة أفصحت أكثر مما أخفت.

- أبوك في المستشفى.

يتعملق القلق في أغوار صدري بتساؤل مرتعد، هل يموت ولا أراه؟

عادت صورته تغزو أعماقي، رأيته كما تعودت أن أراه، العمامة البيضاء العالية التي تناطح السحاب بسموقها، الجبهة المرفوعة كراية تعلن عن شموخ، الصوت الغليظ الذي تهاب سماعه حتى وهو يبدي رأفته، الجسد الممدود الذي يملأ الروح قبل العين، والشارب الذي يصمد لهبوب الرياح ولا تطويه العواصف.

ثم تخيلته وهو يجثو فجأة بين يدي زمن لا يستثني أحداً من سطوته، سمعته يشكو، عيناه الوامضتان بالفتوة يكسوهما شحوب الشيب، وتنهشهما مخالب المرض. زلزل المشهد أعماقي، انتفضت الدموع من سكونها على حواف جفني، أصرت على مغادرة انزوائها فوراً مستغلة ظلمة عابرة تغلف الروح، وألماً يمزق القلب، انطلقت من شفتي لا شعورياً كلمة (أبي).. وأعلنت عيني قبولها طائعة فكرة فتح الطريق للدموع..

لتنطلق كما تشاء، بينما العربة تمضي، لصوتها نشيج ولحركتها أسى، والطريق من حولي كائنات مغلفة بالسواد، تتحرك رائحة غادية، وسط سكون كوني لا يقطعه إلا أنين اللحظات



المـارة وركام الخـوف الـذي تكاثـف رغمـاً عني فـوق تلافيف صدري، وأنـا أرى العربة تقصر عن ملاحقـة لهفتـي، وتتجاذبني فكـرة مجنونة أن أتركها وسـط الطريق، وأهرول بنفسـي مسرعاً إليه.

فـي تلك اللحظـة بالذات رأيت الكـون يتزلزل من حولـي، فـي الحقيقـة لـم أر، ولـم أنتبـه ولـم أسـمع، أنـا فقـط أصبحـت شـيئاً مجـرداً خاضعـاً لأفعال لا يفهمها ولا يعقل منها شـيئاً، أفعال تحدث معـه أو تحدث له وهو لا يمتلك حتى حق الاختيـار، يرتطم صـدري بمقود العربـة أمامي، ارتـد مرتطماً بظهر المقعد، منتفضاً في مكاني بقـوة، ارتفع على أثرها لأعلى قليلاً قبل أن أرتد ثانيـة فـي مكاني مفتـت الخلايا والنظـرات وأنا متشـبث بكل بقايـا أعصابي بفرامـل العربة، ولا أدري مـا الأمـر بالضبط.. تحلقت وجـوه نبتت من الأنحاء بغتة حولي، تدلت ألسـنة، لوحت أيادي، وأنـا أحـاول قـدر طاقتـي اسـتيعاب مـا يجري، إلـى أن لانت الحـروف فجرت في مجاري الفهم لـديّ، وتجلت ثانية رؤى الذاكـرة، وأدركت أنهم يريدون الاطمئنان أنني مازلت حياً، ويتسـاءلون هـل أصبت وما مدى إصابتي. فتح أحدهم الباب زائـغ العينين، قدم بين يدي اعتذاره على خطئه لأنـه صدمنـي مـن الخلف، تعهـد بتحمـل مغبة الأمـر كلـه.. أدرت نظراتـي فيمـا أرى مـن أعيـن حولـي، غطاهـا جميعاً وجـه أبي، ولـم أنتبه إلا لصوته، رأيته يرقد واهناً، شارد العينين، يهمس بيـن الفينة والفينة متسـائلاً عنـي، أدرت محرك السيارة، أبى الانصياع لرغبتي، اتجهت فوراً إلى سـيارة الرجـل الذي صدمنـي، تحلقت الدهشـة مع المتابعين حولي، أزاح الرجل الأجسـاد وقدم إلـيّ، حدّق في وجهي منتظـراً أن ألومه، أزجره أو حتى أقسم أنني لن أتركه قبل إصلاح عربتي، قلت له مبدداً الحيرة التي غشيت عينيه:

- أريد الوصول لأبي، بسرعة!

حـدَّق في وجهي وهو يسـتوعب الحروف على مـا يبـدو حرفـاً حرفـاً، صرخـت فيـه منبهـاً أنني أسابق الوقت للوصول إليه

فتح الباب سريعاً، دون أن ينبس بحرف جلس إلى جانبي، تحركت السيارة، أمرته أن يطير بها فوق الطريق!

تأويل الكتاب المقدس بين الترجمة والتأصيل















داليا عاصم: مصر

بعد 10 سنوات من البحث والتنقيب والتمحيص، استطاع الباحث اليوناني المصري ميخالي سولومونيدس رصد أخطاء في نص الإنجيل المنتشر باللغة العربية، نتجت عن أخطاء في الترجمة من النص الأصلي المكتوب باليونانية. وكشف عبر بحثه المهم (تأويلُ الكتاب المقدَّس بين الترجمة والتأصيل.. الآياتُ المشكلةَ عن الزَّوَاج في العهد الجديد أنموذجاً)، أن الإنجَيل لم يحرِّم الطلاق، بل إنه أباحَ تعدد الزوجات، وملْكَ اليمين المبني على الشَّريعة الموسوية، كما هو في الشريعة الإسلامية، وهي نتائج أثارت الجدلَ في الأوساط الكهنوتية المسيحية، حيث ستُغيِّر مصير كثير من الأُسر المسيحية التي تُعاني من استحالة استمرارية الحياة الزوجية، كما أن نتائج البحث تدحض التضارب بين الطوائف المسيحية.





كشف سولومونيدس عبر بحثه أن الإنجيل لم يحرّم الطلاق بل إنه أباح تعدد الزوجات وملك اليمين المبني على الشريعة الموسوية

يعمل سولومونيدس المنتمي للجيل الرابع من اليونانيين السَّكندريين باحثاً ومترجماً لليونانية بمركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، وهو مترجم معتمد لليونانية والعربية والإنجليزية بالكيانات اليونانية الرسمية بمصر، وأيضاً يعمل مترجماً معتمَداً للإصدارات المسيحية والإسلامية من وإلى اليونانية والعربية، وهو عضو مجلس إدارة جمعية المترجمين واللُّغويين المصريين، وعضو الجمعية اليونانية العالمية لمترجمي اللغة اليونانية، كما يتمتع بعضوية جمعية الأدباء والفنانين بالولايات المتحدة الأمريكية، ومقرر اللغة اليونانية الحديثة بقسم الدراسات اليونانية والرومانية بكلية الآداب، بجامعة الإسكندرية.

يقول سولومونيدس: (أنتمي لطائفة الروم الأرثوذكس الغربيين، وعملي بمكتبة الإسكندرية مكَّنني من الاطلاع على مخطوطات لترجمات الإنجيل العربية، وبعد تعمُّقي في النص الأصليّ للإنجيل باليونانية، وجدت أخطاءً كثيرةً في الترجمة، كما أن التأويل غيرُ دقيق، فيما يخص كثيراً من الأحكام والتعاليم، لكن أردت أن أركِّز دراستي على أحكام الطلاق والزواج التي كانت على مدى القرون السابقة من أكبر المشكلات التي تواجه المسيحيين الشرقيين بمختلف طوائفهم، خاصةً فيما يتعلق بمنع الطلاق، وشريعة الزوجة الواحدة).

ومن بين ما وجدته: حق الزوجة في التطليق، وإن أبَى زوجُها (مرقس 12 : 10)، ولكن فساد التأويل المتعمَّد أو غير المتعمَّد هو المتسبِّب في الانشقاقات الكنسية، إذ أصَّلَ سوء التأويل ومهَّد تصرف الترجمة إلى استنباط أحكام مغايرة، بل وإلى تعدد الطوائف!.

ويضيف: (القراءة المتأنية للمتخصص في اللغة اليونانية وخاصةً في التراكيب اللغوية والجمل المستخدمة في الفترة الهللينستية، تلك الفترة التي تمت خلالها الترجمة السَّبعينية للعهد القديم، وصياغة العهد الجديد، تدفع للتساؤل والمقارنة بين مَفاد النص الأصلي، والمعنى المستفاد من قراءة الترجمات المتداولة، وعلى رأسها الترجمة العربية البروتستنتية، التي احتفلت الكليةُ الإنجيليةُ بالقاهرة على مرور 150 سنة عليها، وهي المعروفة باسم ترجمة الفانذايك!. ويهدف بحثي المقدَّم في إطار الاحتفالية المقامة، إلى إظهار بعض النقاط الخلافية التي تسبَّبت الترجماتُ في خَلْقها وتأصيلها وتعميقها على مر الأزمنة).

ويكشف سولومونيدس أن (مسألة الطلاق واحدةٌ من تلك القضايا التي تم تأويل آياتها بشكل خاطئ، وقد بدأتُ بدراسة اختلاف الطوائف المسيحية، وأردت التعرف على أحكام الزواج والطلاق واختلافاتها من طائفة لأخرى، هناك من يرفض الطلاق مثل الكاثوليك، وهناك من يسمح بالطلاق لأحد عشر سبباً مثل الروم الأرثوذكس وغيرها، وأردت التعرف على سبب الاختلافات بين الطوائف، لأن الكتابَ واحدٌ، ولكن النص يحتمل أكثر من تأويل، ولا يصح أن يتم الحَجْرُ على تفسير أو تأويل بعينه).

درس سولومونيدس الأناجيل الأربعة التي تعتبر أربع روايات لنفس الوقائع، وكل واحد منها يرصد الأشياء والأقوال والأحداث الأهم من وجهة نظر كاتبها، وهي تكمل بعضها، ويقول: درستُ الأربعة أناجيل لكن ركَّزت على إنجيل (متى)، الذي تظهر به المشكلة بخصوص قبول الطلاق أو تقييده أو رفضه من حيث ترجماتها، مثلاً: (الطلاق لعلة زنا) أو (الطلاق بسبب زنا)، وبالرجوع للقواميس العربية أيضاً، فإن تفسير كلمة زنا تحتمل معنى الخيانة أو الهجر الذي قد يدفع إلى الزِّنا لأنه أيضاً ممكن تفسيرها على أنها زنا.

ويفسِّر قائلاً: (كلمة الزِّنا لها مفهومٌ ضيِّق ومفهوم واسع، منها ما نصَّ عليه النصُّ الأصليُّ أنَّ الخيانةَ بكلِّ صُورها تسبِّب الطلاق، حتى أن سوء المعاملة يستوجب الطلاق أيضاً، ومن ضمن النصوص أيضاً، والذي لا يوجد اختلاف عليه في الإنجيل: (لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ



النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ). (متى 5 : 17)، والترجمة هنا خاطئة فالأدق (لأُتمم)، فالناموس لم يكن ناقصاً ليحتاج إلى الكمال، بل نبوءاته كانت تحتاج إلى الإتمام، لأن العهد القديم هو الأساس، وجاء المسيح ليتمِّم النُّبوءات الواردة فيه).

وحول الآية الخاصة بقدسية الزواج في الديانة المسيحية: (إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ) (متى 6 : 19) يوضِّح سولومونيدس أن (المقصود أنه كما في الزواج، يقوم الكاهن، نائباً عن الله، بربط الزوجين برباط الزواج، كذلك لا ينبغي أن يكون التسريح بإرادة الزوج المنفردة، بل يجب على الكاهن التفريق بين الزوجين بتدخله كمتمم للمشيئة الإلهية، التي سمحت بالتسريح كما كان متمماً للمشيئة، حينما سمحت بإتمام مراسم الزواج، لذلك لا يسري التسريح في كنائس الروم الأرثوذكس إلا بعد اعتماد الكنيسة له).

وحول تقبُّل الكنيسة لنتائج البحث، قال سولومونيدس: (طرحتُ البحثَ أمام المؤتمر الدولي الثاني لمركز الدراسات المسيحية بالشرق الأوسط الذي نظَّمَتْه كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة، وتفهَّم الآباء هذا الاجتهاد في التفسير، كما أن دكتور اللاهوت العالم اللبناني غسَّان خلف أوضح أن الترجمة العربية المتداولة بها أكثر من خمسة آلاف خطأ تستوجب التصويب).

ويوضح الباحث: (المشكلة في سوء الترجمة والتأويل القاصر، لأن آباء الكنيسة، ومن ضمنهم بولس الرسول، ظنوا أنهم بمنع تعدد الزوجات وتحجيم أسباب الطلاق ومنع التسري، سيُعالجون مشاكل (الناموس الموسوي) ولكن لم يجانبهم الصواب، فالإنسان هو الإنسان في أي زمان ومكان، بنفس الميول، والنزعات، والشهوات).

ويؤكِّد سولومونيدس: (كثيرون من آباء الكنيسة فهموا آيات الإنجيل على أنها ناسخ ومنسوخ، وأن المسيح نقض الشريعة الموسوية أو نسخها، حينما لم يجدوا نصاً مباشراً لم يلجؤوا للشريعة الموسوية؛ بل سارعوا بتفسيرها وَفقاً لأهوائهم، ومن بينهم بولس، فأباحوا ما أباحوا، وحرَّموا ما حرَّموا، والمسيح بريء منهم).

استعان سولومونيدس في بحثه بالطبعة المعيارية المحققة للعهد الجديد التي تعتمدها كنيسة الروم الأرثوذكس، وهي طبعة - Greek New Testament Majority Text - للبطريركية المسكونية (بطريركية القسطنطينية للروم الأرثوذكس) سنة 1904 كما عرض من واقع ترجمة الڤانداليك البروتستنتية للنص المشكل عندما تمت ترجمته وتأويله باللغة العربية. وزيد البحث بعرض النص المشكل من واقع الترجمة الأرثوذكسية للعهد الجديد متى اختلفت كلياً عن ترجمة الڤانداليك، وهي الترجمة التي أشرف عليها المطران/ قسطنطين بابا ستيفانو، مطران بغداد والكويت، التابع لبطريركية أنطاكيا وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، وإن كان للباحث سولومونيدس الكثير من التحفظات عليها، ويعرض الباحث ترجمةً لبعض المخطوطات العربية للنص موضع الإشكالية، مع تحليلِ النص المُدوَّن في المخطوطات المعروضة، كما يعرض مخطوطات من المكتبة البريطانية، ومكتبة الإسكندرية، ومكتبة دير سانت كاترين، كما عرض التشريعات والأعراف والممارسات الكنسية على مر الأزمنة.

ويخلص سولومونيدس إلى أنه من أجل التأصيل للأحكام والضوابط، ولكي تستقيم وتُنقَّح، يجب أن يقوم بالترجمة يونانيون مستعربون حائزون على دراسات لغوية معنية بالفترة التي كُتب فيها العهد الجديد، بشرطِ إلمامهم التام باللاهوت المسيحي باللغتين اليونانية والعربية، ولا حرج في الاستعانة بضابط أو مراجع لغويٍّ عربيِّ الأصل، مؤهَّلاً وأميناً لإحكام الترجمة، حتى تخرج في أدق صورة ممكنة، وينصح بضرورة تدخل المترجم في تأويل النص حتى في إطار الحواشي والتفسير والتعليقات، لتكون الترجمة واضحةَ المعالم ومحدَّدة المعاني.

باحث يوناني مصري يكشف أخطاء في الترجمة العربية للإنجيل ويدحض الخلاف بين الطوائف

قرية
في الجنوب

تركية العمري: الدمام

قرية في الجنوب..
كل يوم تصحو بهمة..
تمشط شعرها الكستنائي..
وتضفره ضفيرتين..
وتطوي منديلها الأصفر مرتين..
تلفه على شعرها..
ثم ترتدي ثوبها المطرز..
وحزامها الفضي..
وتمضي..

***

قرية في الجنوب..
على شرفة فجر حميم..
التقيتها..
عانقتها..
وغرقت بقرمز (قَط)* جدرانها
وأشجانها..
وسمعت ضحكات رفيقات أمي..
وأغنيات أمي بين غيماتها تذوب..

***

قرية في الجنوب..
اليوم عبر شغبي تكتب
وعبر طربي ترقص خطوتها الحالمة..
توقظ الأودية النائمة..
وتترك ريحان شعرها الغجري..
يحدث الكون..
عن ملكة عظيمة من جنوب
عطرت بكادي صدقها..
صغار الدروب..

* هو فن نقش المنازل من الداخل بألوان زاهية، وأشكال هندسية.
تشكله أيدي النساء في جنوب السعودية، حيث كن يزينّ بيوتهن.

الكتابة والقلق وأطياف من الماضي البعيد (8)



د. عاصم حمدان

I كان الطريق سالكاً أما الفتى من دارهم في السّيح، فـ(المناخة)، فـ(سوق الحبّابة)، فشارع العينية، وفي منتصف هذا الشارع، وتحديداً بعد مكتبة (ضياء)، وهي المكتبة الوحيدة للصحف في المدينة المنورة في حقبة الثمانينات الهجرية، وهي الحقبة التي جرت فيها هذه الأحداث. نعم.. لقد كانت تلك المكتبة مخصصة لبيع الصحف والمجلات الأدبية، وكان القائم عليها رجل على درجة من الصرامة، ولكن إذا حلّ ابنه، وخصوصاً في الفترة المسائية، فإنه يكون بإمكانك الوقوف وتملّي ما تحتويه المكتبة.

I بعد موقع تلك المكتبة لمحت الرجل الذي سبق لي رؤيته في حصوة المسجد وهو يفترش الأرض في هذا الشارع لبيع ما تحتاجه بعض الأسر لخياطة ملابسها. وقفت عند (مبسط) (الزين).. هذا الرجل المجاور من أرض اليمن، ولعله شعر بما يعانيه الفتى من ضيق لا يتحمله جسمه النحيل، الذي كانت مناعته الضعيفة سبباً في إصابته ببعض الأمراض مثل الحصبة وضربة الشمس وما يعرف بالعنقز ورأى الفتى (الزين) يلملم بضاعته الخفيفة الحمل، الزهيدة الثمن، ثم يطلب منه أن يسير معه، وأخذ بيده سالكاً طريقاً كان يعرفه إبّان دراسته في دار العلوم الشرعية، حتى بلغنا مدخل الحارة أو حارة الأغوات، وكانت تقع في الجهة الشرقية من المسجد النبوي الشريف، ويذكر المؤرخون أن اسمها الحقيقي هو (حارة بني الحسن)، وهي من أقدم أحياء المدينة المنورة، ولكن يبدو أنها اكتسبت هذا الاسم الجديد بسكنى الأغوات بها، والذين كانوا يقومون بدور خدمة المسجد النبوي الشريف، وكان من أوائل من نوّه عن وجودهم في الحرمين الشريفين من الرحالة ابن جبير، ولاحقاً الرحالة السويسري بوركهارت **Burckhardt**، وغيره من الرحالة الغربيين، وفي العصر الحديث خصّهم إبراهيم رفعت باشا بحديث مفصّل. وكانت دور الحي متلاصقة إلى درجة كبيرة، وكانت معظم سحنات سكانها تميل إلى السمرة مما يومي أنهم قدموا إليها مجاورين من البلاد الأفريقية، إضافة إلى بعض النازحين من بلاد المغرب العربي وخصوصاً من الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية الفرنسية.

I وأضحيت بين يوم وآخر، أو بين صبح وعشية أتردد على (الزين) وداره التي لا يفصل بينها وبين مقبرة المدينة المنورة أو ما يعرف بـ(البقيع) إلا طريق يسلكه القادمون من جهة العوالي أو العالية، والتي كانت معروفة ببساتينها، والتي أضحت اليوم أثراً بعد عين. وكذلك حوش النخليين، الذين اكتسبوا اسمهم من زراعة ورعاية النخلة، الشجرة الأكثر شهرة في المدينة المنورة منذ العصر الجاهلي، مما يستدعي في الذاكرة ما عرف بـ(يوم الحديقة)، عندما تقابل الأوس والخزرج في معركة كادت تفنيهم، ولم يقض على تلك الروح العصبية إلا هجرة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، والذي آخى بينهم من جهة، وبين المهاجرين من جهة أخرى، وكتب بين جميع سكان المدينة المنورة الوثيقة الأشهر والأوثق في حقوق الإنسان وعرفت باسم وثيقة المدينة.

Iوكنت أحياناً أترك المنزل في وقت مبكر جداً باحثاً عن (الزين) شاكياً أو ناحباً، وكان –رحمه الله- يفرش سجادته والتي كان يضعها على كتفه في عطف أبوي لا ينساه الفتى لأجلس عليها، حتى لا يلحق الغبار المتصاعد من الأرض بثيابي فتضحى متسخة، مما يستدعي سؤال الأهل عن المكان الذي كنت أرتاده أو أجلس عليه.

I الأغوات بأجسامهم الطويلة ولباسهم المتميز وأسمائهم التي تحمل دلالة على البلدان التي قدموا منها؛ مثل: الضو، ضوء البيت، بلال، شاكر، أحمدو، عطية الله، يخرجون من منازلهم، وكان بعضهم يتوكّأ على عصاه لكبر سنه، ويدخلون المسجد من الباب الموازي لباب جبريل ويدعى باب النساء، ثم يجلسون في الصفة. ولارتباط ذلك المكان بوجود هذه الفئة من خدام المسجد النبوي الشريف أضحى يعرف حتى اليوم بدكة الأغوات. حتى من بعد رحيل معظمهم حيث لم يبق منهم إلا عدد محدود؛ ولكن عرفت أنهم –أي هذا البعض- لا

يزالون يحتفظون بمفتاح الحجـرة النبوية الشريفة لفتح بابها مـن الجهة الشرقية أمـام الرؤساء والملـوك القادمين لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم. ويقوم بعضهم –أي الأغوات– بالتردد وخصوصـاً لصلاة العصر على ذلـك الفناء المفتوح علـى الفضاء، وتتناثر فيـه غرف صغيرة يسكنهـا بعض أتباع الأغـوات، وهو المـكان الذي يحمل اسـم (الرستمية). وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الاسم لمدرسة أنشئت في القرن التاسع عشر الميلادي.

I يسكـن تلك الغرف الصغيرة جـداً وغير المضاءة نفر من حفّـاري القبور من أمثال المعلـم: زايد، وسعد، والزيبق، وهذا الأخيـر كان يتمنطق بحزام يشدّه على وسطه. ثم هنـاك حسن البيشي القادم من مكة المكرمة، والذي كان يقرّ من دون تحفّظ بـأن أسياده من حي الشامية في مكة المكرمة. وبعد عصر كل يـوم يقدم من شـارع أبي ذر الغفاري رجـل مربوع القامة وثيق البنيان يرتدي صدرية قد حيكت أطرافها بما كان يعرف آنذاك بالقيطان، ويضع إحرامه علـى كتفه تاركاً جزءه الأكبر متدلياً علـى ظهره، إنه يسكن خارج الرستميـة ولكنه يملك مقهى في برحـة الرستمية يحمل اسمه؛ المعلم طيفور، وهذا الأخير كان مـن أغوات المسجد النبوي الشريـف، وحمل هذا الرجل اسم (سيّـده). يجلس المعلم في ذلك الفناء الـذي يقوم على رشّه بالماء البـارد وخصوصاً في أوقات الحـر الشديد أحد سكانه واسمه (السحلبجي)، الذي لاحظت أنه يتحدث مع نفسه فقط، ويخـرج المعلم أرجيلته ويشعل بحبّات صغيرة من الجمر مادة التبغ والتي كانت تسمى (الحمّي) و(الغيلي) ويأخذ في تعاطي هـذا الضرب من مـادة التبغ وهي مادة أقرب مـا تكون إلى ما يعـرف بالمادة التـي كان يستعملها مدخنو الغليـون الذي كان شائعـاً إلى عهد قريـب، وكأن المعلم طيفور من خلال تدخينه لهذه الأرجيلة ينفـث همومه والأسرار التي انطوت عليها نفسه وينأى بها عن الإفصاح للآخرين.

I المعلـم طيفور يميل إلى الصمـت. أحدهم همس في أذني يوماً بأن في حياته سراً لا يعرفه إلا القليلون من الناس. وأتذكر مـن المرات القليلة التي تحدث إليّ فيها أنه سألني عن صديق كان يؤمُّ فناء الرستمية بصحبتي ثم انقطع عن المجيء لسبب أو آخـر، ولازلت أتذكر العبـارة المهذبة التي وجهها إليّ؛ حيث سألنـي: فين ولـد سيدي ما نشوفه من زمـان؟ وصديقي الذي سـأل عنه يحنُّ إليّ أيام الرستمية، وبساطة أهلها في مسكنهم ومزاحهم البريء وتلطّفهم في الحديث.

I يغـادر المرشـدون أو من يطلـق عليهم باللهجـة المدينية الدارجة (المـزورون) عملهم في المسجد النبوي الشريف مع الساعة الحادية عشـرة عصراً بالتوقيت الغروبـي آنذاك، أي مع دنوّ الشمس للمغيب، ثم يقصدون برحة الرستمية لاحتساء أكواب من الشاي في مقهى طيفور، يمزحون ويتبادلون النكات، وتملأ أصواتهم ذلك الفضاء المنفتح على ساحة الفناء أو بقيع الغرقـد، ولتظل الأسئلة المحيطة بكنه هذا الوجود تطرق عقل الفتى، ثم يجد نفسه وقد أفضى إلى الملاذ الحقيقي والحصن الآمـن المتمثّل في الإيمان الفطري الذي غرسه الله في أعماق النفس الإنسانية وأشهدهم عليه في الأزل.

وغـاب الفتى زمناً عـن الرستمية والحـارة وأهلها الطيبين وقصـد دار صديقـه (الزيـن) وسألـه عـن المعلـم ورفاقه، فأغمض (الزين) عينيه وكأنه يستحضر في نفسه ذلك الزمن الجميـل وقال بصوت اعتراه الوهن والألـم: لقد قضوا يا بني، لقـد ضمّهم التراب المبارك، هنـاك في بقيع العمّات وربوة آل البيت وحوطة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وبعد أمـد ليس بقصير لحق بهم (الزيـن) في ليلة مباركة ومشهودة من ليالي شهر رمضان المبارك.

أولئك يا صديقـي قوم عاشوا قانعين مـن الدنيا بالكفاف، ونزّهوا ألسنتهم عن الخوض في خصوصيات الآخرين، وذلك لعمري ما تطمح إليه النفوس المؤمنة المطمئنة.

عبد القادر البدوي

ظاهرة منفردة في المسرح المغربي







محمد القاضي: المغرب

خطا المسرح المغربي خطوات جبارة نحو التأصيل وبناء مسرح منشود وذلك من خلال العديد من التجارب التي كان لها الصدى القوي في المغرب وخارجه خصوصاً بعد فترة الاستقلال حيث استطاعت العديد من الفرق المسرحية التي أسسها رواد المسرح المغربي، كالطيب الصديقي، وأحمد الطيب العلج، وعبد القادر البدوي، وعبد الكريم برشيد، وغيرهم، أن تقدم أعمالاً مسرحية خالدة مستقاة من التراث الفني الشعبي المغربي والعربي، فكان هناك مسرح الحلقة والبساط والملحون والمقامات تحمس لها الجمهور المغربي والعربي وصفق لها كثيراً.

إن تاريخ المسرح المغربي مليء بالأسماء والرموز والتجارب والاتجاهات المختلفة والمتنوعة، كل له مميزاته وحضوره. ومن بين هذه الأسماء نذكر الفنان عبد القادر البدوي ومسرحه الذي لا يخلو من أهمية لأنه مسرح فاعل وهادف ساهم في تأطير المسرح والمسرحيين لأكثر من خمسة عقود من الزمن.



مسرح البدوي هو استمرار للمسرح المغربي وهدفه دائماً هو الانتصار للمسرح الحر والاستقلالية وذلك منذ 1965م

مسار حياته

هاجرت أسرته من مدينة طنجة لتستقر بالدار البيضاء، التي حمل إليها وليداً سنة 1934م، وفي درب الحبوس ودرب اليهودي كبر الطفل عبد القادر الذي تلقى مبادئ التعليم وحب الشعر والثقافة انطلاقاً من مدرسة النجاح فالصلاح ثم الفلاح.

(في هذه الفترة كنت أدرس، وألعب كرة القدم، إذ كانت الفرق الحرة الموجودة توجه أنشطتها ضد المستعمر الفرنسي، وتنظم مباراة سنوية. في نفس الوقت، أي سنة 1948م أقيمت في درب السلطان خشبات للعروض المسرحية يشارك فيها تلاميذ وأساتذة ومؤطرون، وفق مشروع سياسي للدفاع عن الوطن. هذه الخشبات أقيمت بين أحياء درب الكبير، درب الإسبان، ودرب الأحباس).

انطلاقاً من هذه الفترة تلقى عبد القادر البدوي تكوينه المسرحي، بينما كان والده يهيئه للتوجه إلى القرويين، قصد الدراسة، إلا أن الظروف التي عرفتها مدينتا الدار البيضاء وفاس أجهضت الفكرة، كان والده من عناصر المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي وعضواً مؤسساً للنقابة الأولى في المغرب، وعضواً في جمعية نادي الشعب، فوجه ابنه إلى المسرح قائلاً له: (أنت طالب مجتهد وعاشق للمسرح، فتعلق بالمسرح ودع كرة القدم، إذ إن الأخيرة موهبة إذا تحولت إلى عنف فقدت قيمتها).

هكذا ارتمى عبد القادر البدوي في أحضان المسرح ليجد نفسه مرتبطاً به في علاقة روحية حميمية، ساعده في ذلك المرحوم عبد القادر بنمبارك الجزائري الأصل الذي كان ينتمي لفرقة الرجاء البيضاوي. (هذا الرجل كنت مساعداً له وأعتبر نفسي (متعلماً عنده) لأنه وجد نفسه في حب المسرح والإخلاص للعمل ولفكر أستاذه. وإذا كنت قد نجحت فبفضل الأساتذة الذين تربيت على أيديهم).

مات والده وهو في ريعان الشباب ليجد نفسه يتحمل مسؤولية الأسرة فالتحق بشركة التبغ، ومنها أسس فرقة (أشبال العمال) المسرحية التي تميزت بالبعد العمالي في مسرحيات قدمتها آنذاك مثل: العامل المطرود، راية العلم، المظلومون، كفاح العمال. وفي سنة 1956م أسس فرقة (العهد الجديد) تيمناً بفجر الاستقلال.

(وكان أول ناد من النوادي المسرحية بالمغرب، وكان معي العربي بنمبارك، في هذا النادي كان لا يقبل الشاب أقل من عشرين سنة إلا بموافقة ولي أمره... وبعدما قدمنا





عروضاً مسرحية وطنية، عرضنا مسرحية (في سبيل التاج) مولتها بثلاثة ملايين فرنك هذا المبلغ كان ممكناً أن أشتري به العديد من العقارات آنذاك، إلا أن عشقي للمسرح كان يجذبني).

وفي سنة 1965م حول اسم الفرقة إلى (فرقة البدوي) وهي التي عرف بها إلى اليوم، والتي شكلت انتقالاً نوعياً في تبني الفرقة لقضايا جماهيرية واجتماعية، سلخ عمراً طويلاً من التواجد والحضور فوق الخشبة، مؤلفاً ومقتبساً، مازجاً بين الهزلي والاجتماعي، منذراً نفسه لقضايا الناس.

وعن تجربة مسرح البدوي يقول مؤسسها:

(إن الفرقة هي مؤسسة مسرحية مستقلة، أما الأشكال المسرحية وقراءتها فمتروكة للنقاد الباحثين.. نحن ضد المسرح الفرانكفوني لأنه مسرح غير وطني، ذلك أن ما يقدم فيه يجب أن يكون وطنياً.. إننا لسنا ضد اللغات الأجنبية وأننا يجب أن ننفتح عليها لكن ليس على حساب اللغة الوطنية).

أسس البدوي مسرحاً متميزاً له خصوصياته، ومميزاته وإيجابياته وسلبياته كباقي الاتجاهات الأخرى. وقد نعته الناقد أحمد هناوي قائلاً: (.. والواقع أن هذا المسرح (الظاهرة) يشكل في حد ذاته حركة مسرحية وطنية قائمة الذات لما اجتمعت حوله من مقومات وعناصر الحركة، سواء بمعناها الجزئي أو الشمولي).

فلسفة مسرح البدوي

تقوم فلسفة مسرح البدوي على التأصيل ضمن أخلاقيات وقناعات وثوابت الأمة، مثلما هو الحال عند كل الأمم الراقية والمتقدمة التي تخرج من دائرة التخلف والاستعباد إلى دائرة التقدم والإنتاج إلا بعد أن بنت نهضتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على أسس النهضة الثقافية الفنية وفي مقدمتها الجانب المسرحي. ولعل أهم المحطات التي عرفها تطور المسرح المغربي كما يذكر هي مرحلة ما قبل الاستقلال، ثم مرحلة ما بعد الاستقلال إلى حدود 1960م ثم من 1960م إلى الثمانينات من القرن العشرين، كان مسرح البدوي حاضراً خلالها بعطاءاته المستمرة. (فالمسرحية لم نكن نؤلفها إلا وتعرض في جميع أقاليم المملكة، وفي هذا السياق كنا أول فرقة مسرحية سباقة لمسرح الطالب فأوجدنا تقاليده وقمنا على تدعيمها منذ سنة 1962م حيث قمنا بتجربة مهمة تقوم على اتصالاتنا بجميع المدارس وقمنا بتهيئة برنامج سنوي يتضمن ست

مسرح البدوي حقق مجموعة من الإنجازات الفنية في مجال المسرح الهادف عبر أكثر من26 عملاً مسرحياً

عشرة مسرحية قصيرة (أغلبها اقتباسات عن تشيكوف، توفيق الحكيم، بيرناديللو، إبسن) وكان الطلبة يأتون إلى قاعة الشبيبة والرياضة بالبيضاء في أوقات تتناسب مع برامجهم المدرسية. لقد جربنا كل التجارب المسرحية).

كما اهتم بالعمل التلفزيوني ثم بالمسرح الداخلي، ثم بالمسرح داخل القرية، ثم المسرح في عروض خاصة للعمال، ومسرح الطفل، بالإضافة إلى تجارب مع القوات المسلحة الملكية داخل الثكنات وداخل المستشفيات وداخل السجون، دون أن ننسى حضوره في أغلب الأنشطة الوطنية والنضالية والقومية، خصوصاً في إطار دعم القضية الفلسطينية، كما نظّم رحلات إلى عدد من الدول العربية.

الاستمرارية والتحدي

إن استمرار مسرح البدوي هو استمرار للمسرح المغربي، هدفه دائماً هو الانتصار للمسرح الحر والاستقلالية، وذلك منذ 1965م. هذا المسرح المستقل الذي يقف على عتبة عقده السادس (منذ أن انطلق من رحم الطبقات الشعبية ومن صلب منظماتها الوطنية ما جعله يظل وثيق الصلة بهموم الجماهير وتطلعاتها الوطنية والشعبية والقومية، هذا المسرح الذي لا يختلف اثنان حول قسطه الوافر في كل المعارك المطلبية التي عرفتها الساحة المسرحية النضالية بالمغرب والذي كان حضوره ملحوظاً وقوياً في كل المنعطفات التي عرفها المسار المسرحي).

وقد عرف عن عبد القادر البدوي أنه كلما سنحت الفرصة للمسرحيين المغاربة للالتقاء وتبادل الرأي والحوار إلا ونجده حاضراً باحتجاجاته الصارخة ونداءاته بتوحيد صف المسرحيين، وتشبثه بالحفاظ على الطابع الفني، الذي اختارت فرقة البدوي نهج أسلوبه خدمة للمسرح بالمغرب. ويرى أنه من واجبهم كفنانين فتح الحوار وإثراء النقاش الجاد، وتعميق الجدل حول المثار من القضايا، من أجل إنقاذ «أبو الفنون» بروح وطنية تفترض أن ينال المسرح اهتماماً كبيراً من طرف كل المسؤولين الرسميين أو السياسيين أو النقابيين بل ومن طرف كل المنظمات والجمعيات الفاعلة في الحياة الفكرية والاجتماعية بالمغرب، على اعتبار أن المسرح رافد لكل التيارات والمذاهب والطموحات التي تفرزها البنيات المجتمعية، وهو بالتالي ملك لكل الأمة ولكل فعالياتها.

وكثيراً ما وجّه انتقاداته إلى المسؤولين وبعض رجال المسرح في بيانات ورسائل، يحمل فيها هؤلاء مسؤولية المستوى المنحط الذي آل إليه المسرح الاحترافي في السنوات الأخيرة والذين لم يضعوا مصلحة المسرح فوق مصلحة الأفراد والفرق. ويرى أن الكفيل بتحقيق أي مكسب هو وحدة الصف الفعلية مثلما كان عليه الأمر أيام المناظرة الوطنية. وبهذا وحده نستطيع فعلاً أن نكون في مستوى التخطيط والإشراف على كل أمور المسرح الاحتفالي بالمغرب المادية والمهنية والمعنوية والأخلاقية. بل وجعل قضية المسرح هي قضية كل الرأي العام الوطني. وحتماً لن تستقيم أمور هذا المسرح، ولن تتهيأ أسباب العيش فيه في أمان واطمئنان إذا لم تأخذ الهيئة التشريعية على عاتقها تقديم خدمة وطنية واجبة هي تهيئة الظروف والأجواء والمناخ أمام الممارسة المسرحية الفعلية.

ويفتخر مسرح البدوي بتحقيقه لمجموعة من الإنجازات الفنية في مجال المسرح الهادف، حيث قدم أكثر من (26) عملاً مسرحياً اختلفت باختلاف المواضيع المطروحة. كما نظمت الفرقة ثمان جولات فنية. حصلت في مسرح الهواة على خمس جوائز فنية من خلال مشاركتها في المهرجانات المحلية والوطنية.

تقوم فلسفة مسرح البدوي على التأصيل ضمن أخلاقيات وقناعات وثوابت الأمة





أمـا إنتاجاتهـا فـي السـنوات الأخيـرة (من سـنة 1989 – 2009) هي:

– سـنة 1989: مسـرحية البخيـل. اقتباس عبـد القـادر البدوي، إخراج عبد الرزاق البدوي.

– سـنة 1989: مـن قضـايا رمضـان. سلسـلة تلفزيونيـة. تأليف عبد القادر البدوي، إخراج ناصر لهوير. إنتاج الإذاعة والتلفزة المغربية.

– سـنة 1990: مسـرحية سـهرة مع الحكيم. اقتباس عبد القادر البدوي، إخراج عبد الرزاق البدوي.

– سنة -1990 1994: مسرحية مطربة الحي. تأليف عبد القادر البدوي، إخراج عبد الرزاق البدوي.

– سـنة 1995: مسـرحية سـهرة مـع تشـيكوف. اقتباس وإخراج عبد القادر البدوي.

– سـنة 1995: مسـرحية المتقاضون. اقتباس عبد القادر البدوي، إخراج عبد الرزاق البدوي.

– سـنة 1996: مسـرحية- راس الدرب96 تأليف وإخراج ذ عبد القادر البدوي.

– سـنة 1996: مسـرحية (تعالوا نلعب بخيالنا) -مسـرح الطفل- تأليف وإخراج ذ عبد القادر البدوي.

– سـنة 1997: مسـرحية البخيـل. اقتباس وإخراج ذ عبد القادر البدوي.. إنتاج القناة الثانية.

– سـنة 1998: مسـرحية وصية الثعلب. اقتباس وإخراج ذ عبد القادر البدوي. إنتاج القناة الثانية.

– سـنة 1999: جولـة عبـر بعض الأقطـار الأوروبية مثل فرنسا وبلجيكا وهولندا بدعوة من جمعيات أصدقاء مسرح البـدوي فـي أوروبـا وبتنسـيق مـع وزارات الثقافـة وشـملت العروض عرض مسرحيتين (في انتظار القطار) و(الدب).

– سـنة 1999: مسـرحية الشـيطان فـي خطـر، اقتباس وإخراج ذ عبد القادر البدوي.

– سنة 2000: مسرحية حمان الدنادني. اقتباس وإخراج ذ عبد القادر البدوي. إنتاج القناة الثانية.

– سـنة 2001: مسـرحية راس الدرب. تأليف ذ عبد القادر البدوي. إخراج: محسن البدوي.

– سـنة 2001: مسـرحية (حكمة الأجداد) مسرح الطفل، تأليف ذ عبد القادر البدوي وإخراج حسناء البدوي.

– سنة 2002: مسرحية سهرة مع تشيكوف اقتباس ذ عبد القادر البدوي. إخراج: محسن البدوي. إنتاج القناة الثانية

– سـنة 2005-2004: تنفيـذ إنتـاج السلسـلة التلفزيونية (نافـدة علـى المجتمـع)، إنتـاج الشـركة الوطنيـة للإذاعـة والتلفزة.

– سـنة2006: سنة الاحتفال بالذكرى 60 لوقوف مؤسس مسرح البدوي ذ. عبد القادر البدوي على خشبة المسرح.

– سنة2006: مسار ذ. عبد القادر البدوي على قناة دوزيم، إنتاج القناة الثانية

– سـنة2006: مسـرحية يـوم الذكرى. تأليـف عبد القادر البدوي، إخراج حسناء البدوي. إنتاج القناة الثانية

– سـنة 2006: مسـرحية دار الكـرم. تأليـف عبـد القـادر البدوي، إخراج حسناء البدوي. إنتاج القناة الثانية

– سـنة 2006: (قضايا اجتماعية). سلسلة إذاعية. تأليف عبـد القـادر البـدوي، إخراج محسـن البدوي، إنتاج الشـركة الوطنية للإذاعة والتلفزة.

– سـنة 2007: مسـرحية (العقـدة). تأليـف عبـد القـادر البدوي، إخراج حسناء البدوي. إنتاج القناة الثانية.

– سـنة -2008 2009: مسـرحية (فـي انتظـار القطـار). تأليف عبد القادر البدوي، إخراج محسن البدوي.

– إضـافة إلى محاضـرات وندوات ثقافية حول (محطات من مسار مسرح البدوي).



الحسناء والكابتن

مصطفى نصر: مصر

اشتدت في عام 1942غارات الطائرات الألمانية على الموانئ المصرية، خاصة مدينة الإسكندرية. ولوحظ أن الطائرات الألمانية تصيب المواقع بدقة شديدة رغم سرية هذه المواقع، مما حدا بالمخابرات العسكرية بالاجتماع الدائم لحل هذا اللغز.

كانت هذه المواقع تضم الجيشين المصري والإنجليزي، ويتم تغيير المواقع بعد كل غارة. لكن دقة الإصابات ظلت كما هي مما يؤكد أن هناك من يرسل بمعلومات دقيقة مستوحاة من القيادة.

قال الضابط الإنجليزي جورج لزميله الضابط المصري بدر:

- الأمر محير، خرائط مواقع المدافع المضادة للطائرات تصنع من ثلاث نسخ، الأولى يتسلمها مكتب أركان الجيش المصري، والثانية يتسلمها مكتب القيادة البريطانية، والثالثة يتسلمها مكتب البحرية البريطانية.

أكمل بدر بنفاد صبر:

- أعلم كل ما تقوله، وأعلم أن كلاً منها يوضع في خزينة حديدية مثبتة في الحائط وفي عهدة ضابط برتبة يوزباشي (نقيب).

أومأ جورج برأسه وأكمل:

- وفي المساء توضع عليها حراسة شديدة.

وإننا على يقين من أن أحد الضباط الثلاثة المكلفين بحراستها، خائن ويبلغ الأعداء بمكان مواقع المدافع المضادة للطائرات.

قال جورج:

- أعلم أنك ترى أن الحل هو مراقبة الضباط الثلاثة المكلفين بحراسة الخرائط، لكن هذا لا يتم إلا بموافقة القيادة العليا للقوات بالإسكندرية.

زفر بدر في ضيق قائلاً:

- تأخر الموافقة على مراقبتهم معناه، أن كل ليلة يموت جنود مصريون وإنجليز.

دخل أثناء ذلك الضابط علي وهو نحيف وأسمر وصاح:

- لقد وصل قرار المراقبة الآن.

قام بدر وجورج فرحين، وتابعوا التقرير باهتمام. اتفقوا ثلاثتهم إن يقوم كل منهم بمراقبة ضابط من الثلاثة.

وكانت نتيجة المراقبة كالتالي:

الضابط المصري ملتزم ولا يمكن الشك فيه، وكذلك ضابط الجيش الإنجليزي، لكن ضابط القوات البحرية واسمه فرانك يتردد كل يوم على فتاة إيطالية حسناء في رمل الإسكندرية تدعى ماريا.

وأكدت المراقبة أيضاً أن ماريا كانت تقيم مع والدها الإيطالي الأصل قبل نشوب الحرب، حيث يشتغل بتجارة المنسوجات، وبعد موته حلت ماريا مكانه في إدارة تجارته.

استغلت ماريا براعتها في الغناء والموسيقى فجعلت من بيتها منتدى لهواة الموسيقى والغناء. ومن خلال هذا المنتدى تجسست على القوات الإنجليزية والمصرية لصالح الألمان.

وكانت تحرص على مصادقة الضباط الإنجليز والمصريين. وتمكنت من السيطرة على فرانك، فيزورها في بيتها مرات عديدة في اليوم الواحد. بينما لا يأتي الباقي إلا كل يوم أحد.

بدت الأمور واضحة أمام ضباط المخابرات العسكرية الثلاثة: جورج وبدر وعلي. واتفقوا على أن يتقدم



علـي (وهو من أصول سـودانية) على أنه سـفرجي يبحـث عن عمـل. وارتدى ملابس بلديـة ووقف بجوار بيـت ماريا، ومـا أن رأى فرانـك آتياً حتـى أقبل نحوه، وتحدث في ضعف شديد وارتباك:

- سـيدي، إننـي في حاجة شـديدة للعمـل، من كنت أعمل سفرجياً عندهم تركوا الإسكندرية بسبب ظروف الحرب، ولا أجد نقوداً لأعيش.

نظـر فرانـك إليه في توجـس وخيفة، وطلـب منه ما يفيد أنه كان يعمل سفرجياً من قبل، وكانت المخابرات العسكرية متوقعة أن يسألونه عن ذلك، فاستخرجوا لـه أوراقـاً تفيد ذلك. وعندما قرأهـا فرانك الذي كان يجيد العربية بمهارة، قال له:

- اتبعني.

ودخـلا بيت ماريـا التي كانت تعد الطعـام في انتظار فرانك ليتناولانه معاً.

دخل فرانك للمطبخ قائلاً:

- أتيت لك بطباخ وسفرجي سيريحك من العناء.

وتم تعيين الضابط علي سفرجياً في بيت ماريا.

كان علي يجيد الطبيخ، وتقديمه على السفرة، ويجيد الحديـث بلهجـات سـكان الجنـوب. حتـى أمنـت ماريا لـه وارتاحـت، وكانـت تترك له الشـقة وتذهـب لقضاء أعمالها، فبحث في غيابها في كل مكان في الشقة، فلفت نظره جهاز كبير دقيق للتصوير في إحدى غرف النـوم. ولاحظ -أيضاً- أن فرانك يخـرج من عمله ذاهباً إلى بيت ماريا، فليس له في الإسكندرية سواها. كان يحلـم بأن تنتهـي الحرب ليتزوجها ويسـافر بها إلى بـلاده. يتنـاولان طعامهما معـاً في معظـم الأيام، وكان فرانـك يأتـي أحياناً إلى البيت فـي غياب ماريا، ويتحرك بحرية وكأنه صاحـب البيت. ورغم أنهما وثقا فـي علي ولم يشـكا لحظة في أن لـه صلة بالجيش أو بالمخابـرات، فقـد كانـا لا يتحدثـان أمامـه إلا فـي المسائل العادية.

وأبلغ علي لبدر وجورج أن ماريا تتحدث مع رجل اسمه ماريو يسكن أبو قير، وتحرص أن يكون الحديث بينهما بالإيطاليـة حتـى لا يعـرف علي مـاذا يقـولان. وتقرر البحث عن ماريو هذا في أبي قير.

وذات يـوم جـاء فرانـك فـي غيـاب ماريا، فأخـذ يعد جهاز التصوير على عجل، ثـم عاد إلى الصالة وتناول طعامـه فـي هـدوء شـديد. وتأكـد لعلي أنه أرسـل صـورة مـن الموقع الجديد عبر آلـة التصوير. ثم حمل الخرائـط وخـرج عائداً إلى مـكان عمله ليعيـد الخرائط إلى مكانها.

وانتظـره بـدر وجـورج ومعهمـا جنـود المباحـث العسـكرية، وأوقفوه بعيداً عن بيت ماريا، كان مرتبكاً ويحاول إخفاء الخرائط، تم تفتيشـه، فاخرجوا الخرائط من حقيبـة يده. في نفس الوقـت كانت القوات في بيت ماريا تحت قيادة علي، والتي دهشـت عندما رأت الجنـود يـؤدون التحيـة للسـفرجي الـذي كان يعمل عندهـا لمـا يزيد على أسـبوعين، وكانـت تحرص على أن تعطيـه الطعام لأولاده الذين يسـكنون في كوم الدكة، طبقاً لقوله لها.

وفـي مبنـى قيادة المخابرات العسـكرية تـم اللقاء بيـن الثلاثـة: ماريـا وفرانكـو وماريو الذي جـاؤوا به مـن أبي قير، واتضـح أن ماريا كانت ترسـل إليه خرائط مواقع المدافع المضادة للطائرات عبر جهاز التصوير، ويقـوم هـو بتوصيلها إلـى القـوات الألمانية التي تعسكر قريباً من الإسكندرية.

وتم إعدام الثلاثة بعد شهور قليلة جداً.



فيلم (بزوغ كوكب القردة) وحتمية المواجهة

عبدالله بن محمد: تونس

(بزوغ كوكب القردة).. فيلم من الخيال العلمي من إخراج مات ريفز وبطولة كل من أندي سركيس وجيسون كلارك وغاري أولدمان وكيري راسل وتوبي كيبالو. أنتج بتقنيات ثلاثية الأبعاد عالية الجودة ومدته 130 دقيقة. وهو تتمة للعمل السينمائي الضخم بعنوان (ظهور كوكب القردة) (2011) الذي يعد ريبوتاً لسلسلة كوكب القردة الأصلية. ويعد هذا الفيلم العمل السادس من نوعه ضمن هذه السلسلة.

كان فيلم عالم القردة العجيب، (ظهور كوكب القردة)، الذي أنتج في سنة 2011، قد كشف عن تدني العلاقات بين البشر وأبناء عمومتهم من القردة إلى أسوأ حالاتها في تاريخ الكوكب، ولكن الأوضاع ازدادت سوءاً في السنوات التي تلتها: فقد هلك معظم البشر بعد تفشي طاعون فتاك لم يسلم منه سوى فرد واحد من أصل خمسمئة من بني البشر. وكان الناجون يتشبثون بخيط رفيع بعد أن استنفدوا كل موارد العيش الأخرى.

وفي المقابل كانت جماعات القردة حكيمة في تصرفاتها ونمط عيشها. وبعد أن انتشروا في البراري الشاسعة، قاموا بصياغة لغة متطورة تعتمد على المزاوجة بين الإشارة والكلام. وامتلك معظمهم قابلية الفهم والتواصل في حده الأدنى باللغة الإنجليزية. وكانت أساسيات البنى المجتمعية قائمة هناك، لقد حافظوا ونقلوا الكثير من تلك النماذج التي ظهرت في العمل السابق في سنة 2001: المعروفة باسم (أوديسا الفضاء). وكانوا يتنافسون ويتصارعون في مناظرات بليغة، تغلب عليها الأصوات الناخرة والثقيلة، وتتمحور بالأساس حول ترسيخ مكانتهم في النظام العالمي الجديد.

وما كان يحول بينهم وبين قدرتهم على الاستيلاء على العالم هو ما أظهره بني البشر من صمود في مقاومة الانقراض بكل الوسائل الضرورية، ومن أهمها حمل السلاح في هذا العمل. وفي حين كانت الأعمال السابقة في سلسلة (كوكب القردة) تسعى إلى إبراز الوعي المتزايد لمعشر القردة في الثورة على بني البشر، حملنا هذا الفيلم إلى قلب الحرب الطاحنة بين الغوريلا ومقاتلي حرب العصابات، في شكل من أشكال الصراعات التي لا تكشف بوضوح عن طرف رابح أو خاسر، وهي كذلك حرب لن نضطر خلالها أبداً إلى مساندة طرف على حساب طرف آخر.

بل إن المشاهد قد ينحاز إلى أفراد معينين داخل طرفي الصراع. في جبهة القردة، يظهر الزعيم القيصر (أندي سركيس) الذي تتطابق شخصيته مع اسمه، وهو يسعى جاهداً للمحافظة على قوته التي تتعرض باستمرار للتخريب والإنهاك من قبل منافس عبوس، مشوه الوجه بندب ويسمى كوبا (توبي كيبال)، الذي يريد التخلص منهم جميعاً وإلى الأبد. وعلى الجانب الآخر في المجتمع البشري، دفعت أزمة وقود حادة المهندس السابق مالكولم (جيسون كلارك) إلى التحرك داخل الأراضي التي تسيطر عليها القردة خارج مدينة سان فرانسيسكو، حيث إن الرهان على النجاح في إعادة تشغيل سد الطاقة الكهرومائية يعد الأمل الأخير لمجتمعه في استعادة السلطة. ومن أجل ذلك أبرمت هدنة حذرة شرط أن يسلم ورفاقه أسلحتهم قبل الدخول، وهذا ما فعلوه عن طيب خاطر. ولكن تركوا وراءهم حشداً كثيراً، هناك في وسط المدينة معقل زعيم المقاومة دريفوس (غاري أولدمان) الذي يحكم الحشود الجاثمة.

وكان السلم الهش مهدداً مراراً وتكراراً برعشة إصبع من أحدهم على الزناد. كان الفيلم يحمل بالتأكيد رسالة عن

كانت المشاهد الخاصة بكل من معسكر القردة وتحصين بني البشر في غاية الإقناع والحرفية والدقة





خطورة التسليح ومخاوف سوء استخدامه وإدارته.

كما حمل الفيلم في طياته مشهد الأمل بين ابن مالكولم (كودي سميت ماكفي) وموريس، إنسان الغاب البورنيوي. ولكن التفاؤل والكياسة بين الأنواع المتعايشة نسبياً في تلك اللحظة قد طمست بلقطة ظهرت فيها البنادق التي يجري اختبارها في المدينة، وقد صوبت مباشرة تجاه المتفرجين في تقنية ثلاثية الأبعاد وطلقات الرصاص المشؤومة. بالتأكيد لم تكن أكثر المشاهد ذكاء ورمزية في الفيلم، ولكنها حملت معاني عديدة.

ومن وجهة نظر التصميم والمؤثرات، بني الفيلم بطريقة رائعة بناء على ما تم إنجازه في باقي أعمال السلسلة. وكانت المشاهد الخاصة بكل من معسكر القردة وتحصين بني البشر في غاية الإقناع والحرفية والدقة. أما معالم وسط مدينة سان فرانسيسكو المهجورة مع بيئتها التي كستها الطحالب الزاحفة فكانت في تقابل مع الغابة الحضرية لفيلم (أنا أسطورة) (2007). وفي ذروة الأحداث واحتدام الصراع اختار المخرج مات ريفز وطاقمه أن يكون الإخراج في مشهد ظلامي وجهنمي مربك، فكان مشهداً بانورامياً رائع الإخراج لفوضى ليلية عندما تمكن كوبا من السيطرة على دورية للعدو على متن دبابة، وتبعتها الكاميرا التي استدارت مرات عديدة في زاوية 360 درجة، لتجمع بذلك كل أنواع الأصوات وضراوة الصراع.

وكشف الفيلم عن قدر كبير من الصبر والذكاء من قبل المخرج في صناعة مثل هذه الأفلام للخيال العلمي، بالإضافة إلى الانخراط والمشاركة بأفكار جديدة ورائعة حول الدبلوماسية والردع والقانون والقيادة، دون أن يمنعه ذلك من السقوط في كثير من الأحيان في سخافة القردة المسعورة. وبدوره قام فريق شركة (ويتا) التابع لبيتر





جاكسون بوضع المؤثرات الخاصة تحت إشراف كل من جو لاتيري ودان ليمون. وكان له الفضل الكبير في نجاح هذا الفيلم من خلال تسليط الضوء على النسيج العاطفي الضروري للفيلم.. في كثير من الأحيان خدمت التقنيات المعتمدة الشخصيات أكثر من المشاهد ذاتها، وفي الأخير وبفضل ما تحلى به الممثلون من حرفية عالية كان إنجاز هذا العمل أقرب ما يكون لمغامرة جديدة بالتجربة.

ثورة عطر

أحمد اللهيب: بريدة

ألقى عليه الهوى سحراً وقد نظرتْ
وفي يديها أقام القلب إذ ضحكتْ
لاحت على عينها اليسرى محبته
فطار من فرحة الأحلام إذ غمزتْ
وفي يديها زجاج العطر تنشره
كأنه نفحة من جنةٍ نُشرتْ
هبطتِ من فلك الأقمار ضاحكة
يا ليتها حينها في الروح قد هبطت
كم للمطار إذا ما اهتز مبسمها
من نشوة فترى أحلامه انتشرت
يحيطها مهرجان العطر محتفلاً
حتى الرياحين إذ مرت بها احتفلت
كم أحسد العطر فواحاً يسابقني
إلى محاسنها اللاتي قد اختبأتْ
تحنّ عيني إلى لقياكمُ طرباً
أواه! لو أنها في النفس ما عبثت
جار الزمان عليها فهي نازفةٌ
كأنها لم تكن يوماً لكم رقصت
أنتم لها سكن ترجو مودتكم
حلماً يراودها حتى وإن كذبت
ما بالها في خضم العمر باكية
لو أنها في وصال منكمُ وثقت
أرسى لهم حبهم في القلب أمنية
ملاذها أن روحي فيهم كلُفتْ
كم لوعة لم تزل في القلب عابثة
بين الشرايين لا نامت ولا سكنت
يا من لهم في مدار الروح أغنية
أنغامها لوعة حيرى وكم عُزفت
تظل تبحر في التذكار ساهمة
حتى تحن إذا ما لحظةً خطرتْ
يا أيها الحلم أيقظ بوح أمنيتي
أم أنها فرحة في الروح قد عبرت
يا ويحها من أمانٍ لستُ أدركها
فاضت بِها النفس أحلاماً وما بقيت
فما توقفت الدنيا على أحد
لكن مشاعرنا من بعدها وقفتْ



بضاعتنا ردت إلينا

التدوين الموسيقي إبداع عربي



د. أنور محمود زناتي: مصر

أبدعت الحضارة العربية والإسلامية في كافة المجالات، خصوصاً في العصر الذهبي بعد انطلاق الفتوحات الإسلامية التي كانت عامل التقاء بين الثقافة العربية وثقافات الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام. وبما أن العلم من توابع الاستقرار والحضارة، فبعدما استقرت الدولة العربية الإسلامية ازدهرت بطبيعة الحال العلوم والفنون والآداب والموسيقى.

وقد كان للعرب فضل السبق في وضع قواعد السلم الموسيقي وتحليله ودراسته بفضل جهود الكندي، والفارابي، والأرموي وإخوان الصفا الخ. ولذا في هذه الدراسة سوف نبرز الدور الريادي للعرب في علم التدوين الموسيقي ونبوغ الكثير منهم فيه، حيث سبقوا الغرب في عملية التدوين والسلم الموسيقي بقرون عدة.



ويؤكـد المستشـرق والمفكـر الإسـكتلندي الكبيـر هنري جـورج فارمـر Henry George Farmer فـي مقدمـة كتابه حقائق تاريخية عن التأثير الموسيقي العربي: (لولا الاكتشـافات والتطـورات التي قام بها العلمـاء العرب خلال ازدهار حضـارتهم العلمية في البحوث الثلاثة «الرياضيات والهندسـة والفلك»، لواجهت هذه العلوم الكثير من البطء والتخلـف في تطورهـا وتقدمها في القـارة الأوروبية. وفي ما يخص آخر علوم الرباعية وهي الموسـيقية، للأسـف لم يقـم أحـد بتحديـد دور العرب وعلمائهم فيمـا لحق بها من تطور).

التدوين الموسسيقي عند العرب

لقـد عـرف العـرب المسـلمون فـن الموسـيقى وأبدعـوا وصـنفوا فيـه منـذ وقـت مبكر مـن تاريـخ دولتهـم العربية الإسلامية ومن ضمن ما نبغوا فيه كان التدوين الموسيقي.

قال الشـيخ أبو منصـور الحسـين بن محمد بن عمر بن زَيْلَـة (ت 440هـ / 1048 م): (علم الموسـيقى يشـتمل على بحثيـن، أحدهما يبحث عـن أحوال النغم، من حيث الاتفاق والتنافـر وسـمي «علم التأليف»، والآخـر يبحث عن مقادير الأزمنة المتخللة بين النغم يسمى «علم الإيقاع»).

وذكـر يحـي بـن المُنَجِّـم (ت 300هـ/ 912م): (وأول ما يحدده اسـم المقام هو تلك الأبعاد أو المسافات التي تدخل في تركيبه وتسلسـل حدوثها وتواليها في الاتجاه الصاعد، والاتجـاه الهابـط للنغـم وذلك وفقـاً لما تواضـع عليه أهل الصناعة وتناقلوه سماعاً دون الحاجة إلى تدوين، وارتباط اسـم المقـام بتلـك الأبعـاد أو المسـافات التي تكونه شـرطاً أساسياً ليكون لاستعمال أسماء المقامات قيمة تطبيقية في ممارسة العزف والغناء وصياغة الألحان).

ويرجِّـح سـليم الحلـو فـي كتابـه: (تاريـخ الموسـيقى الشـرقية أن أول مـن أوجـد علم الموسـيقى العربية سـعيد بـن مسـجح. وابن محرز. المتوفيان عـام 79هـ/ 715م. وقد كان لهما عدد كبير من التلاميذ الذين تتلمذوا عليهما في الموسـيقى. ومن أبـرز تلاميذهم يونس الكاتـب الذي يُعد أول كاتب معروف للموسـيقى العربية. وتبعه إسـماعيل بن جامـع السـهمي (ت 192هـ/ 808 م) الـذي كتب مجموعات كبيـرة مـن الأغانـي وكان من كبـار المغنيـن الملحنين، ثم جـاء مـن بعدهم أحمد بن يحـي المكي (ت 205هـ/ 820م) وإسحاق الموصلي «ت 235هـ/ 850م»).

ويؤكـد بعض الباحثين، ومنهم سـعد الله أغـا، أن بعض الكتابات العربية القديمة، وبخاصة كتابات الكندي، وصفي الديـن البغدادي، وكتاب الأغاني، تتضـمن ما يشـير إلى أن أسماء السلم العربي كانت أسماء عربية، ومنها ما هو مرقم، ثم تحولت تلك الأسـماء إلى فارسـية بالتأثير الفارسي، مع بقاء الأصوات كما هي.

وقد قام المستشـرق والباحث الإسـكتلندي الكبير هنري جورج فارمر، بإنتاج دراسات وبحوث قيمة أنصفت الموسيقى العربيـة ومنهـا كتـاب (تاريـخ الموسـيقى العربيـة) وبحث بعنوان: (دلائل التأثير العربي في نظرية الموسيقى)، أورد فيـه عدداً من الأدلة الموثقة بعنايـة على تفوق العرب على غيرهم في هذا العلم.

ولـه دراسـة مهمـة أيضـاً بعنـوان: حقائـق تاريخيـة عن التأثير الموسيقي العربي، تناول فيها دلائل التأثير العربي فـي كل مـن: الآلات الموسـيقية وتركيب الألحـان بطريقة الديسـكانت وأول أنـواع تركيـب الألحـان (الأورغانـوم) وقوانين التوافق والصولفائية والتدوين الجدولي للآلات. يضـاف إلـى ذلك، أنـه من خلال الاتصـال الأدبـي والعقلي أخذت أوروبا أول أفكارها عن التدوين المحدد لدرجة النغم، وهـي بالتأكيـد قـد أخذت جزئيـاً، إن لـم يكن كليـاً، نظامها

يونس الكاتب أول كاتب معروف للموسيقى العربية وتبعه إسماعيل بن جامع (ت 808 م) ثم أحمد المكي (ت 820م) وإسحاق الموصلي (ت 850م)



الموسيقي الموزون والمقاس، ومن المحتمل أيضاً طريقة تدوين تلك الموسيقى الموزونة والمقاسة من العرب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلم الغربي قد أخذ من السلم العربي الشيء الكثير. فالأصوات الأساسية في السلم الغربي سبعة وهي: دو، ري، مي، فا، صول، لا، سي. وتتوسطها أصوات كالتي تتوسط السلم العربي. وقد أثبت هذه الحقيقة كثير ممن كتبوا عن الموسيقى العربية والغربية.

وهناك نظرية تقول بأن أصل حروف السلم الموسيقي (DO-RE-MI-FA-SOL-LA-SI) مشتق من حروف السلم الموسيقى العربي (درر مفصلات/ دُ رَر مَ فَ صَ لا تِ). وهذه النظرية قدمها كل من المؤلف الفرنسي فرانسيسكي مينينسكي FranciszekMeninski في كتابه Thesaurus LinguarumOrientalium عام 1680م وكذلك أيدها بعض الباحثين الموسيقيين اللاحقين مثل: بنيامين دي لابورد Benjamin de LaBorde في كتابه Essai sur la MusiqueAncienne et Moderne عام 1780. وكذلك وافق عليها المستشرق هنري جورج فارمر 1965م. ويشير فارمر في كتابه القيم (مصادر الموسيقى العربية) أن هناك منهجين في التاريخ العربي الإسلامي في مقاربة المواضيع الموسيقية: منهج له صلة بالمشتغلين في الموسيقى وآخر ذو طابع نظري بحت مرتبط بعلم الرياضيات لأن الموسيقى كانت جزءاً من العلوم الرياضية.

ولعل أول وصف واضح لشيء ملحّن بالنوتة العربية هو ما جاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت 356هـ/ 967م). أن إسحاق الموصلي (ت 235هـ/850م) كتب إلى إبراهيم المهدي بجنس صوت صنعه فوصل خبره إلى إبراهيم المهدي فكتب يسأله عنه. فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه، وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه فعرفه إبراهيم وغناه كما وضع لحنه إسحاق.

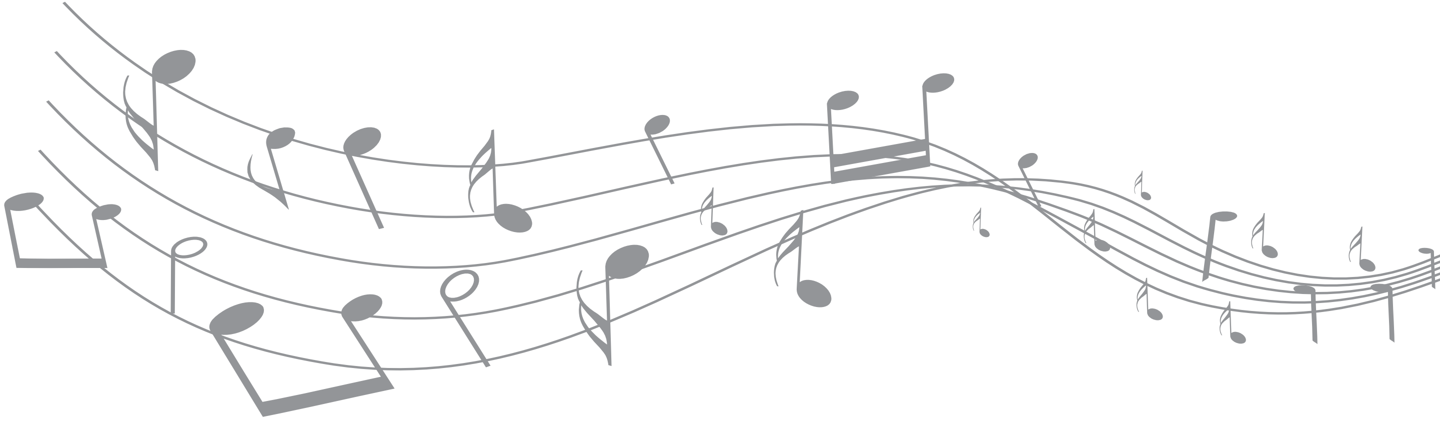
الفارابي (ت 239هـ/ 853م)

يعد الفيلسوف أبو نصر محمد بن إسحاق بن طرخان الفارابي أفضل من كتب عن الموسيقى العربية، وهو صاحب كتاب الموسيقى الكبير الذي يعد أكمل ما كتبه العرب عن الموسيقى منذ ذلك التاريخ إلى وقتنا هذا، والفارابي في كتابه الموسيقى الكبير يفتح آفاقاً واسعة لإجراء تركيبات استند فيها إلى أسلوب رياضي يعرف حالياً بالمتوافقات والمتبادلات، في تشكيل مجموعات إيقاعية معقدة استناداً إلى خلايا إيقاعية أصغر.

ويطلق الفارابي على الأجناس الموسيقية اسم: (البعد الذي بالأربعة) بنوعيه الأسفل والأعلى: الذي يحيط بأربع نغم من المتجانسات اللحنية والنسبة بين طرفيه بالحدين 3/4 وهو أصغر الأبعاد التي تحيط بأقل أبعاد النغم المتجانسة، وفي مكان آخر يطلق عليها اسماً مغايراً هو (الطرائق: وهو مما تنتظم به الألحان) التي تتكون من عدة أجناس موسيقية، في اختلاف فكري ومعرفي عن سابقيه.

وقد اخترع الفارابي آلات موسيقية وحسن البعض الآخر، وينسب إليه اختراع آلتي الرباب والقانون، وكان الفارابي يسمى في الغرب الفارابيوس وله تأثير هائل في ثقافة أوروبا في العصور الوسطى وقد سمي المعلم الثاني -بعد أرسطو- وأكبر فلاسفة المسلمين.

هناك نظرية تقول إن أصل حروف السلم الموسيقى (DO-RE-MI-FA-SOL-LA-SI) مشتق من حروف السلم الموسيقى العربي (درر مفصلات/ دُ رَر مَ فَ صَ لا تِ)



للعرب فضل السبق في وضع قواعد السلم الموسيقي وتحليله ودراسته بفضل جهود الكندي والفارابي والأرموي وإخوان الصفا

الكندي (ت256هـ/ 873م)

أما الفيلسوف يعقوب بن إسحق الكندي فكان غزير الإنتاج في التأليف، لم يترك ناحية من نواحي العلم إلا كتب فيها، وقدمت رسائل ومؤلفات الكندي الموسيقية ذخائر معرفية ونظريات موسيقية غير مسبوقة، ومن هذه الأعمال القيمة: كتاب في خبر صناعة التأليف وكتاب (المصوتات الوترية) وكتاب (الرسالة الكبرى في التأليف) وكتاب (في أجزاء خبرية في الموسيقى) وغيرها من مؤلفات بحث فيها علوم ونظريات متقدمة ساهمت في تأطير الممارسة الموسيقية.

ويتناول الكندي موضوع الموسيقى من مختلف النواحي: النغمات، ما يتفق منها وما يتنافر عند التأليف. الإيقاعات وعدد نقراتها وما يوافق كل منها من الألحان، أثر الموسيقى في النفس وما تبعثه الحانها فيها من سرور وحزن وشجاعة. أثر الألحان المختلفة في الصحة والمزاج، النسبة بين الأوتار والنغمات والأجرام السماوية وغير ذلك، فيضع لكل هذه الأمور، الدساتير التي ينبغي أن يسير بموجبها الموسيقار الباهر، مؤيداً أقواله بالبراهين الرياضية، والأدلة المنطقية.

من مخطوطة الكندي (في خُبْر تأليف الألحان) وفيها طريقته في تدوين العلامات الموسيقية

ويعتبر الكندي أول من أدخل الموسيقى إلى الثقافة العربية، فأصبحت ضمن المنهج الدراسية العلمية، وجزءاً من الفلسفة الرياضية. وكان هذا بطبيعة الحال نتيجة التأثر بالمدرسة الإغريقية، بما نقله العرب من العلوم اليونانية إلى العربية في مختلف نواحي المعرفة ومنها الموسيقى فصارت كلمة (الموسيقى) باللغة العربية تعني علم الموسيقى بينما كلمة (الغناء) التي كانت تعني قديماً أداء الألحان والموسيقى بصورة عامة، أصبحت تطلق على الفن العملي فقط.

والكندي هو أول من دون الموسيقى بالأحرف الأبجدية، وذلك من خلال اتباع طريقة تتمثلُ في تحديد الوتر والنغمات المراد أداؤها والمشار إليها بالأحرف الأبجدية العربية وكان يزاوج بين الطرح النظري الموسيقي وبين استخراج السلم الموسيقي حسب الأصوات، والأنغام واللحون المستخرجة ويشهد على ذلك السلم الموسيقي الذي دونه في مخطوطته الموسيقية وذلك نسبة إلى أوتار العود.

وكان من بين إسهاماته موضوع السلم الموسيقي والمنظومة المقامية العربية التي أطلق عليها كما هو مثبت في هذه المؤلفات القيمة اسم (الطنينات) Modes مفردها طنين وتعني في مصطلحات ذاك العصر (المقام)، وأحياناً كان يسميها (اللحون) مفردها لحن ليخلص في دراسته المعمقة لهذا السلم الموسيقي إلى اعتباره مساراً لحنياً يشتمل على اثنتي عشرة نغمة ذات أنصاف الأبعاد الطنينية، أطلق عليها أسماء الأحرف الأبجدية من الألف إلى اللام (رسالة الكندي في خبر صناعة التأليف) بعد أن أخضعها إلى نظام الأجناس الذي انبنت عليه موسيقات الحضارات القديمة وهذه الأنغام الاثنتي عشرة الذي يتكون منها الديوان الموسيقي العربي كما أورده هذا الفيلسوف متفقة (كما يرى العديد من البحاثة) كل الاتفاق مع نسب الأبعاد التي يتكون منها سلم «فيثاغورث»: القرن السادس ق.م (في انعكاس قوي وبيّن للأبحاث الموسيقية الإغريقية التي ترجمها وحلّ رموزها بعد أن تبحر في علومها ليمنح النظرية الموسيقية العربية مفردات جديدة غير مسبوقة كان لها عظيم الأثر في ارتقاء الحياة الموسيقية العربية وفي تثوير الفكر الموسيقي بعطاءات مهمة انعكست على الكتابة والبحث في السلم الموسيقي وفي منظومته المقامية رياضياً وذوقياً).

ويعطي الكندي وصفاً دقيقاً للنغمات التي يقدمها في 7 نغمات (مطلق البم، سبابة البم، وسطى البم أو بنصره، خنصر المثلث وهي أيضاً مطلقة المثلث، سبابة المثلث، وسطى المثلث أو بنصره، خنصر المثلث وهي أيضاً تعرف بمطلق المثنى).

وكذلك وجدت مخطوطة للكندي سجل فيها لحناً مدوناً يضعه كتمرين أول للتلميذ الذي يتعلم الضرب على العود. وهذا اللحن يعتبر أقدم وثيقة موسيقية للحن مدون. لا عند العرب فقط بل في تاريخ العود الذي كان معروفاً منذ الألف الثاني قبل الميلاد. وقد خلل هذا اللحن ووضع نغماته في إطار إيقاعي حسب السلم الموسيقي الحديث وعلق عليه الأستاذ زكريا يوسف حيث قال: (نلاحظ من هذا التمرين أن الكندي يبدأ منذ الدرس الأول في تعويد التلميذ على ضرب نغمتين في وقت واحد كي يدرب أذنه على تفهم الاتفاقات وتعويد أصابع يده على وضعها في الأماكن الصحيحة على الأوتار لتخرج النغم من الوتر المزموم بالإصبع متفقة مع النغمة الثانية في الوتر المطلق أحياناً والمزموم أيضاً أحياناً. وهذا أحدث ما يتبع في تدريس الضرب على الآلات الموسيقية. وهذا اللحن مجسداً بالعلامات الموسيقية الحديثة).

هذا الشكل خاص بنموذج لمؤلفات الكندي الموسيقية الخاصة بآلة العود وهذا حسب ما تعرض له يوسف زكريا من تحليل وشرح وتحقيق لرسالة الكندي في اللحون والنغم.

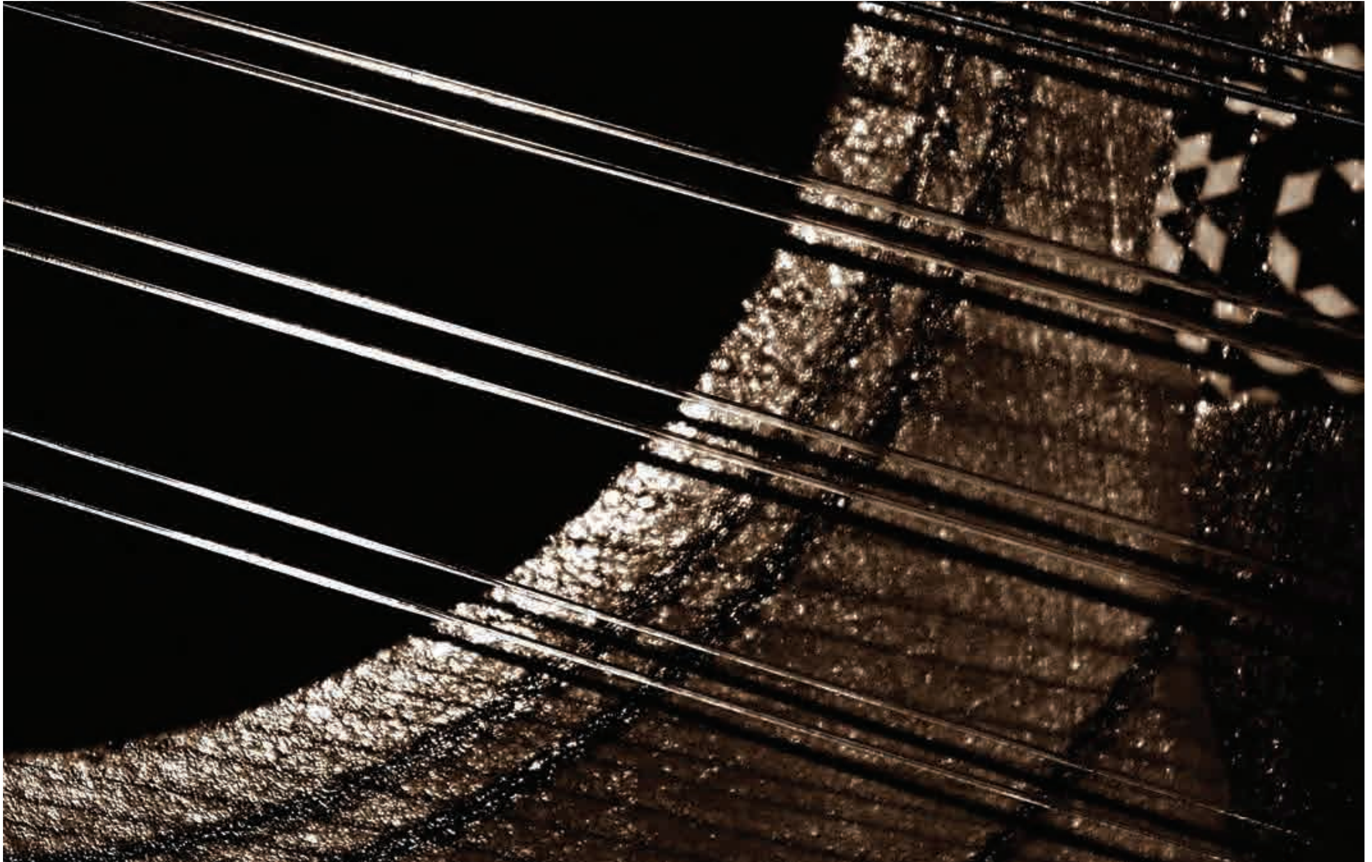
إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي).
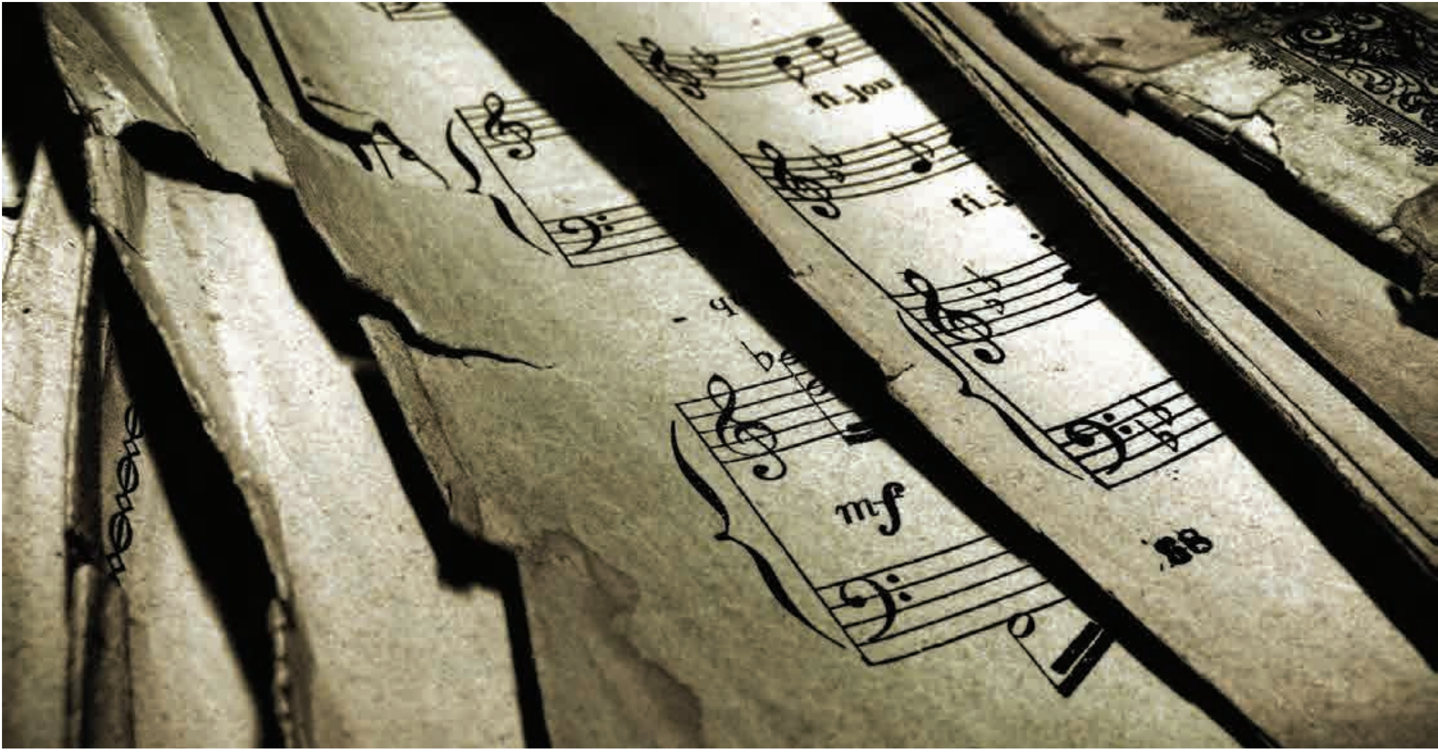
أما إخوان الصفا فقد أعطوا في رسالتهم الموسيقية مبدأ آخر للتركيب سيكون له تطبيقاته الشعرية بعد مئات السنين، حيث طلبوا من الموسيقي الحاذق إذا أحس بملل الناس أن يغير الإيقاع حسب أسلوب فريد، يتلخص في التوقف عند خلية إيقاعية صغيرة من خلايا الإيقاع المركب المتداول (كانت الإيقاعات المتداولة ثمانية إيقاعات)، ثم المتابعة في إيقاع آخر تكون الخلية المذكورة سابقاً موجودة في بداية تركيبه. أليس هذا مبدأ شعر التفعيلة الحديث اليوم حين ينتقل الشاعر من تفعيلة إلى أخرى ضمن نفس القصيدة وقد تحدث إخوان الصفا عن أجناس الموسيقى وأنها ثمانية أجناس هي أصل وقوانين الغناء العربية وألحانها.

صفي الدين الأرموي البغدادي (ت 693هـ/ 1294م)

صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي باحث موسيقي عربي، ولد وتوفي في بغداد، وهو فارسي الأصل يعود نسبه إلى بلدة أرمية (الرضائية- اليوم)، في أذربيجان، وكان صفي الدين ذا ثقافة واسعة، وقد

علم الموسيقى يشتمل على بحثين: أحوال النغم من حيث الاتفاق والتنافر (علم التأليف).. ومقادير الأزمنة المتخللة بين النغم (علم الإيقاع)





عمل في كثير من العلوم والفنون والآداب، وجاد فيها مثل: التاريخ، وعلم الكلام، والشعر، وأتقن فن الخط العربي حتى عُد من أفضل خطاطي عصره.

وقد قد بزغ فجر موسيقي جديد مع (المدرسة المنهجية في الموسيقى العربية) التي تزعمها العالم الموسيقي (صفي الدين الأرموي البغدادي) الذي قدم إنجازات فكرية ومعرفية غير مسبوقة وتحديداً في مجال النظرية الموسيقية القديمة وتثوير مفرداتها وبخاصة الأدوار الموسيقية (المقامات) كما نرى في كتابه القيم (الأدوار في الموسيقى) حيث يؤكد على أن: أهل الصناعة الموسيقية أطلقوا على الأدوار- المقامات- اسم الشدود- جمع شد وهي تسمية تدل على الانتقال من نغمة إلى النظير المشابه الأقرب لها اتفاقاً بالقوة سواء رفعت النغمة إلى طبقة أحد أو خفضت إلى طبقة أثقل ولكل دور أصل يبنى عليه.

والأرموي في أبحاثه النظرية التي احتواها كتابه الأدوار أدخل بالإضافة إلى التركيبات الرياضية للإيقاع، فكرة استخدام الدوائر لتمثيل الإيقاع (كما فعل الخليل في دوائره العروضية)، ومن ثم تدوير الدائرة بمقدار نبضة إيقاعية واحدة بحيث قد ينتج عن ذلك إيقاع جديد، وابتدع أسلوباً جديداً في تركيب المقامات الموسيقية، معتمداً على أسلوب الفارابي الرياضي في تركيب الإيقاعات، وذلك انطلاقاً من خلايا موسيقية تماثل الأجناس في مصطلحات اليوم. رتب صفي الدين هذه المقامات الناتجة في دوائر تم ترقيمها ليصل عددها إلى نحو مئة مقام موسيقي. استخدم صفي الدين أيضاً أسلوب الخليل في تبديل موقع النبضة الإيقاعية لابتداع بحور جديدة، لكي يبتدع مقامات جديدة أيضاً عبر تحريك موقع درجة الاستقرار على دائرة المقام. مثال ذلك اعتماد دائرة مقام الحجاز على الدوكاه ومن ثم التوقف على درجة استقرار أخرى كالراست مثلاً فيتم تحقيق مقام جديد هو مقام النكريز، أو تحريك درجة الاستقرار في مقام الكرد على الدوكاه إلى درجة الحسيني عشيران، فيتم تحقيق تصوير لمقام اللامي عليها.

ولعل شهرة كتابه الأدوار ترجع إلى أنه أول كتاب بالعربية يحاول تدوين نغم الألحان بأجناسها وإيقاعاتها، وقد استخدم الحروف الهجائية دالة على النغم ثم قرنها بالأعداد لتدل على الإيقاعات والأوزان، وهذه التجربة تُعتبر من أقدم التجارب لتدوين الموسيقى.

وتجدر الإشارة إلى أن أسلوب صفي الدين في التركيب لا يزال معمولاً به في مقاماتنا الحالية، فمثلاً إن ركبنا جنس سيكاه على السيكاه مع الحجاز نوا نتج مقام الهزام، بينما لو كان التركيب مع الراست على النوا لحصلنا على مقام السيكاه، ولو كان النهاوند لحصلنا على مقامماية، ولو كان الصبا، لحصلنا على مقام بستنكار على السيكاه وهكذا.

لقد كان صفي الدين الأرموي نابغة من النوابغ في علم الموسيقى والغناء والأدب والخط والتاريخ. وكان همزة الوصل بين علماء الموسيقى العرب القدامى كالكندي والفارابي وابن سينا، وبين الأجيال الحديثة التي جاءت بعده من الموسيقيين والذين اعتمدوا في مؤلفاتهم على نظرياته وآرائه في الموسيقى العربية. وصفه العالم الإسكتلندي هنري جورج فارمر، بأنه أحد الذين أضاؤوا صفحات تاريخ الموسيقى العربية، كما يعتبر سلمه الموسيقي أكمل سلّم على الإطلاق، وقد بقيت مؤلفاته المرجع الأساسي للموسيقيين النظريين عدة قرون.

لؤلؤتان

ميادة قداح: سوريا

هناك، في ركن ناء من عالم عن البشر، إذ لم يكن ثمة جذع نخلة تتكئ عليه، مثل اشتعال النار في الهشيم بأحشائها نار العاطفة، نار العاطفة لشيء ما، بشيء ما، من شيء ما، يومها شعرت بالمخاض، فكانت ليلتها الليلاء.

إلى ما يشبه الجدار اتكأت بظهرها خير الانحناء، أغمضت عينيها المثقلتين بالعبرات، وراحت تئن أنين لبوة تحتاج لاحتضان.

أنامل ناعمة راحت تتغلغل بين خصلات شعرها، ثم امتدت لجبهتها المتعرقة لتمسح بعض حبيبات ألم.. صوت كهسيس اليمام راح يعزف بأذنها: صبراً بنيتي..

انتفضت من بين ركام نفسها وشهقت:

- إنه صوت أمي!!

- أين أنت؟

- معك، بجانبك، حيثما تكونين أنا.

ردت بصوتها المتعب:

- متعبة أنا..

- ما الذي يتعبك يا بنتي؟

- الحياة قاسية يا أماه:

- اصبري..

- إلى متى..؟

- إلى أن يشاء الله.

- الولادة جميلة يا أُماه؟!

- هي يا بنيتي إخراج روح من روح.

- أمي، سأبوح لك بسرٍ بات يؤلمني.. يقلق راحتي..

- قولي يا حبيبتي:

- أخجل:

- مم؟ أتخجلين مني؟!

- لا يا أمي:

أخجل من أحاسيسي، من نفسي التي لم تعد تشبهني، أخجل أن أبوح بكل ما يجول بخاطري، صرت بشعة.. بشعة.. بت أخاف التحديق في مرآتي، كأني تحولت لشيطان رجيم..

-......!!

- أمي.. صدقيني.. لا أحب نفسي هكذا، أكرهها، أُحب أن أشبهك، أن أمنحك لقب جدة لابنة لي.. أكاد أُجن..

هناك أشياءٌ تقهرني، تمزقني أشلاءً، تعصر قلبي، فينزف ألماً، ذلك حين ألتقيهنّ وهنَّ برفقة أطفالهن، شيء ما قد تغير فيَّ صار يصرخ بألف آآآه.. وآآآه..

أمي.. سامحيني ربما كنت أهذي، لا تصدقين ما أقوله، أقسم إنني أحبهنَّ.. أنني لم أكرههنَّ يوماً.. ذلك حقهنَّ في الحياة.. وحقي أيضاً، حقي الذي سلبته مني العاطفة لتلقي به في وادٍ من الحرمان سحيق.

تئن، تنشج.. تحتمي بالجدار، تحتضن الوسادة، تضمها إلى صدرها تصرخ من أعماق قلبها.. تبرق، ترعد، ينهمر المطر، ثم تنجب عيناها الغائرتان في وجهها لؤلؤتين تصبان بين كفيها، فيما الدمعتان راحتا تحبوان على وجنتيها باحثتان عن ذلك الصدر الحنون.

ما يشبه الصرخة: (يا ليتني متُ قبل هذا).



خلل كبير في واقع يوسف أوال

حوار: أحمد الواصل

الشاب يوسف أوال يخرج من العالم الافتراضي إلى صياغة واقعية. أصدر كتابه الأول (خلل كبير في صياغة الواقع) (دار الميلاد، 2016).
وقعه في معرض الرياض الدولي للكتاب 2016.
هذا حوار معه.



- كل كتابة هي كتابة على كتابة، أين بدأت القراءة وإلى أي كتب تميل؟

مرحباً. لقد بدأت القراءة في مرحلة متأخرة، وهذا ما يجعلني أحزن كثيراً على السنوات التي عشتها دون أن يكون هناك كتاب أقرأه كل ليلة قبل أن أنام، وكانت بدايتي مع القراءة في عام 1429هـ، وما زلت أتذكر عنوان ذلك الكتاب جيداً وأتذكر قصصه القصيرة. أما سؤالكم عن نوعية الكتب التي أقرأها فلا يوجد عندي نوعية محددة، فأنا أقرأ كل شيء أجده مناسباً للقراءة.

- ما بين الكتابة والكتاب.. كيف تصف هذه الفترة؟

هذه الفترة هي الفترة التي يحتاجها كل كاتب بلا استثناء، إذ إن فيها يجمع الكاتب ألفاظه وأفكاره، وفيها يحدد طريقته في الكتابة، ومنها ينطلق إلى أوسع الأفق، وبالنسبة لي كانت هذه الفترة هي المنحنى في حياتي، وهي التي أدخلتني إلى العالم الذي لطالما تمنيته.

- لكل كتابة صدى، كيف ترى القراء والقارئات ما بين المتابعة في المواقع الاجتماعية وحضور توقيع كتابك الأول؟

القراءة بدأت تتحسن في مجتمعنا السعودي، لكنها ما زالت تحتاج إلى النضج حتى تصل إلى مرحلة التذوق الأدبي الرفيع، وللأسف الشديد ها نحن نرى كُتباً لها قيمة أدبية عالية إلا أن ذائقة المجتمع لا تصل إليها بسبب ضعف ثقافة القراءة، وعلى الجانب الآخر كتب خالية من الأدب نجدها على قائمة الكتب الأعلى مبيعاً، ورغم هذا أنا ما زلت متفائلاً بمستقبلِ الأدب لهذه البلاد. أما ما يخص حضوري في معرض الرياض للكتاب، فلقد كانت تجربة جميلة أتمنى أن تعود بأفضل مما مضت.

- عندما وضعت يدك على (خلل كبير)، أين بديلك؟ أين مكانك الآخر؟

كتابي خلل كبير في صياغة الواقع ما هو إلا بداية إلى حياة مليئة بالأعمال.

- العالم الافتراضي يخلق علاقات مختلفة، كيف تحدد مكانك؟

ولله الحمد لقد كونت علاقات كثيرة، وأنا فخور بها. أما عن تحديد مكاني، فإني لا أعرف أين مكاني بالضبط لأن الجمهور هو الذي يُحدّد مكاني، قد أكون في مكان ما، لكني ما أزال أجهله.

- هل من مشروع آخر؟

بإذن الله سيكون لي عمل جديد في مطلع العام المقبل، وأنا الآن أعمل جاهداً على صياغته دون خلل. والسلام.

هيلين.. رائحة البحر

رشيد الخديري: المغرب

مشاهد طفولية

قَديماً كُنَّا... في المَدْرَسَة
عِنْدَمَا كُنَّا نَلْهَثُ وَرَاءَ البِدَايَةِ المُشْتَهَاة
عِنْدَمَا كُنَّا نُلَوْلِبُ رَمَادَ الذِّكْرَى،
كَانَتْ هِيلين،
مُغْرَمَةً بِرَائِحَةِ البَحْر، بِالفَرَاشَاتِ العَابِرَةِ حُدُودَ
النَّارِ،
وَكُنْتُ في المَرْفَأ
أَنْتَظِرُ عَوْدَتْهَا،
صَدِئَت السُّفُنُ ومَا عَادَتْ هِيلِينُ البَحْرِ،
أُعْلِنُ لَكُمْ حِكَايَتِي:
أَنَا تِلْميذ أَطِيرُ

مِنْ حُضْنِ أُمِّي إِلَى حُضْنِ هِيلِين،
ثُمَّ أَطِيرُ ثَانِيَةً
إِلَى المُشْتَهَى وَاثِقَ الخُطوَات،
فِي مُذَكِّرَتِي حُلمٌ أَزْرَق،
وذئبٌ أَطْلَسِيٌّ يَحْرُسُ مَوْكِبَ حَبِيبَاتِي،
وَهِيلِين،
قَدْ تَشَكَّلَتْ بَحْراً ونَوْرَساً
وحُفْنَةً مِنَ الصَّدَفَات،
فَأَيُّ نَهْرٍ يَنْفُضُ عَنِّي الغُبَارَ، وَأَيُّ امرَأَةٍ
حِينَ أُضَاجِعُهَا تَستَطِيبُ قُبُلاتِي،
هَا أَنَا وَحِيدٌ يَاهِيلِين أَجُوبُ المَنَافِي،
لاَ كَأْسَ وَلا نَدِيم
غيرَ تَنَهداتٍ تُحَقِّبُ أَعْمَاقَ الرُّوح
عِنْدَمَا كُنَّا بِالقُربِ مِنْ طَلَلِ الوَدَاع،
عِنْدَمَا يَشْتَعِلُ السَّفْحُ العَنِيدُ
بِالعُشْبِ الأَبْيَضِ،
أُحَدِّقُ فِي المَرَايَا، وتَضِيعُ فِي شَهْقَةِ الرُّوحِ
صَلَوَاتِي،
تَطِيرُ كُلُّ فَرَاشَاتِي،
إِلَى المَدَى البَعِيدِ تَطِيرُ كُلُّ فَرَاشَاتِي.

أُنْشُودَةُ المَطَر

قَدِيماً كُنَّا... فِي المَدرَسَة
إِذَا مَسَّنَا وَتَرُ الحَنِين،
مِنْ بَعِيد،
اكْتَفَيْنَا بِذِكرَيَاتِ اللقَاء،
تَذَكَّرْتُ هِيلِين..
كَانَتْ أَلِيفَةً مِثْلَ قِطَطِ البُيُوتِ البَاذِخَة
وَكَانَ بَردُ المَسَاء
يَقِيسُ نَبْضَ البَحْر
بِآهَةِ الرِّمَال،
كَانَ هَذَا المَسَاء يَقْرِفُ رُوَّادَ المَقْهَى،
صَرَخْتُ
وَسَكَتُّ
صَرَخْتُ ثَانِيَةً
أَنْتُمْ تَعْشَقُونَ هَوَامِشَ المَقْهَى،
وأَنَا أَمْسَحُ دَمْعَ
هِيلِين مِنْ ذَاكِرَةِ المَاء،
سَلاَمٌ عَلَيَّ حَتَّى مَطْلَعِ القَصِيدَة،
أَيُّ....هَا الرُّعَاة، عَفْواً
أَيُّهَا الشُّعَرَاء،
فِي حَضْرَتِكُمْ لاَ تَكُفُّ الأَصَابِعُ عَنِ الإِشَارَات،
هِيَ هِيلِين تَحْلُمُ بِالمَطَر،
بِرِيشِ الحَنَان،
بِرِيَاحٍ تَأْتِي مِنْ عُمْقِ الأَسَاطِير،
آه،
كَمْ ضَيِّقَةٌ أَرْضُ الشُّعَرَاء.

أُغْنِيَةُ الفَجر

وَأَخِيراً يَا هِيلِين
حِينَ يُنْشِدُ الدِّيكُ المَرْمَرِيُّ
أُغْنِيَةَ الفَجر
وَتَنْطَفِئُ شُعْلَةُ الحَنِين،
فَابْحَثِي إِذَنْ،
فِي أَيِّ جَسَدَيْنَا يَتَشَكَّلُ
النَّبْر.



الكتاب: استشراف

المؤلف: مجموعة مؤلفين

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2016

يـروم الكتاب السـنوي (استشـراف) اسـتئناف الزخم العربي المهم الـذي برز خلال العقود الثلاثة الماضية على المستوى البحثي، وإعادة طرح قضاياه وأسئلته من جديد لتكريس مدرك المسـتقبل في جهاز مفاهيم الباحثين والمخططين والإستراتيجيين ومنتجي الرؤى والأفكار، وتكوين نخبة علمية فاعلة في المجال البحثي الاستشرافي. ويتكامل هذا الكتاب مع انتهاج العديد من الأقسام العلمية في الجامعات العربية اليوم إدماج اختصاص الدراسات المستقبلية في مساقاتها.



الكتاب: البعد التوراتي للإرهاب الإسرائيلي

المؤلف: وجدي نجيب المصري

الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر 2016

كتـاب يضـع التوراة على طاولة التشـريح، ويسـتعين بكتّـاب عرب وعالميين كسـروا حاجز الخوف ذاك، أمثال: جلال العظم، ومعروف الرصافي، وأرنولد توينبي، وروجيه غـارودي، وبـول فندلـي، وليـاي غـاي كار، وتوماس طومسـون، فضـلاً عـن آينشـتاين وتشومسكي.

يوغـل الكاتـب في اتهام الصـهاينة، حين اتخـذوا من التوراة ذريعة للاسـتيلاء على فلسـطين والأرض الموعودة، وحين لجأوا إلى بدعة السـامية التي ليس لها أي مرتكز علمي أو سند تاريخي، والتي حرفوها وأمعنوا في استغلا لها لمآربهم.



الكتاب: لامع

المؤلف: رودي دويل

المترجم: أفنان سعد الدين

الناشر: ثقافة للنشر والتوزيع 2016

ومـن تعريـف الناشـر: كان كل مـا تملكـه هـذه القريـة الصـغيرة هو بعض السـعادة والحب. الأمور هادئة والوضع مستقر والكل يعرف الكل.

لكن دوام الحال من المحال. يقرر كلب الكآبة أن يحلّ على القرية فيغيرها للأبد.

الناس تفقد وظائفها، الأحباء يرحلون، الظلام يشتد.

طفلان صـغيران يحملان هم هذا التغيير الأخير، يقرران أن السـعادة يجب أن تحل من جديد.

رواية خيالية شديدة العذوبة. عندما يصبح الأطفال أبطالاً يكون الحال جميلاً.



الكتاب: الباب وقصص أخرى

المؤلف: فرناندو بيسوا

ترجمة: سعيد بنعبدالواحد

الناشر: المركز الثقافي العربي 2016

(لا وجود لأية قاعدة. كل الناس استثناءات لقاعدة لا وجود لها).

بهذه العبارة يضع فرناندو بيسوا أحسن تعريف لشخصيته وكتابته، فالحديث عن فرناندو بيسوا لا يمكن أن يكون إلا حديثاً عن الاستثناء والتميُّز أمام كاتب متعدِّد الأوجه يُعتبر أحد أكبر ممثلي الحداثة الأدبية في القرن العشرين.

لقد كان بيسوا شاعراً، وناثراً، ومنجِّماً، ومقاولاً، ومفكراً اقتصادياً، ومخترعاً. ولعلّ تعدّد هذه الصفات وتداخلها الغريب في شخصيته هو ما تعكسه هذه النصوص القصصية التي نقدِّمها اليوم للقارئ العربي.

ونقدِّم هنا خمسة نصوص قصصية تُعتبر من أشهر ما كتبه فرناندو بيسوا في هذا الجنس الأدبي، بالإضافة إلى خمسة نصوص سردية يعتبرها الكاتب (حكايات ذات مغزى). لقد اخترنا هذه النصوص لأنها تمثل أشكالاً قصصية مختلفة ونصوصاً مكتملة اتّفق معظم دارسي أعمال فرناندو بيسوا على صيغتها النهائية وقيمتها الأدبية والفنية.



الكتاب: يوميات سراب عفان

المؤلف: جبرا إبراهيم جبرا

الناشر: دار الآداب 2016

ومن تقديم الناشر: مهما تتعدد المواضيع في هذه الرواية، فإنها أساساً قصة حب. ولكن الحب هنا من نوع غير عادي: عنيف، وقاس، وكثير التأمل في الذات.

وسراب عفان ستثبت أنها امرأة غير عادية، فتجد أن حباً كهذا لابد أن يكون مغامرة خطرة في أكثر من اتجاه، إذ كانت تبغي خلاصاً لنفسها، ولغيرها.

ونائل عمران، الرجل الذي يفاجأ بهذا العشق، سيذهل حتى الألم لما حرك في سراب من طاقة هائلة، وحيوية أخضعت العقل والجسد لإرادتها، تحقيقاً لإنسانيتها وحرية قرارها. وهي قد تصر على أن تمازج بين واقعها وخيالها، أشبه بممثلة تقمصت دوراً على المسرح، وخرجت إلى الطريق وهي مستمرة في دورها، إلى أن تحول وهمها إلى حقيقة.

لقد أضاف جبرا إبراهيم جبرا، بروايته الجديدة هذه، امرأة متفردة أخرى إلى الشخصيات النسائية المتميزة التي صورها في رواياته السابقة.

العدد 3 من مجلة أسطور وتحقيب التاريخ الإسلامي



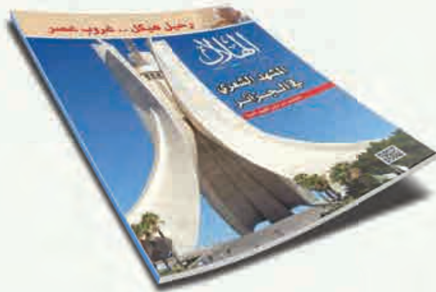
صدر العدد الثالث من مجلة (أسطور)، المجلة المحكّمة التي تعنى بالدراسات التاريخية عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، واحتوى على مواد متنوعة:

مقالة (دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي)، ديبيش شاكرافارتي، ترجمة ثائر ديب، و(استعمالات البيوغرافيا) لجيوفاني ليفي، (ملاحظات حول مناخ المغرب القديم) لسمير آيت أومغار، و(دستور المدينة: قراءة في تاريخ النص) لعمرو عثمان، و(المقاييس الدقيقة في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: وحدات الأصبع والقبضة والفتر والشبر) لمحمد عمراني زريفي، و(القمح ومشروع الاستقلال عند محمد علي باشا إبان الحصار القاري 1807 - 1815) لناصر سليمان.

وأما في باب (وثائق ونصوص): تقديم وتعريف بدفتر عثماني أعده مصطفى أوزتورك ونقله إلى العربية سهيل صابان (دفتر -عوارض خانه الشام- عام 1086هـ/ 1675 - 1676م)، وهو عبارة عن إحصاء عثماني خاص بمدينة دمشق، جرى في عام 1086هـ/ 1675 - 1676م، وذلك بموجب السجل الخاص به المحفوظ في الأرشيف العثماني، ضمن السجلات الموسومة بـ(دفاتر التحرير)،

وأجرى محررو العدد (ندوة أسطور): (التحقيب في التاريخ العربي الإسلامي)، مع محاضرة قدمها المؤرخ العربي هشام جعيط على هامش الندوة، ويضاف إلى العدد حوار مع المؤرخ المصري محمود إسماعيل عبدالرازق، وتختم المجلة بمراجعات كتب.

مجلة الهلال تودع وتحتفي



تفتتح الهلال مواد عددها مارس 2016، بوداع للصحفي محمد حسين هيكل، والأديب علاء الديب.

وتتنوع المقالات في مراجعة لكتاب محمد حافظ دياب (السلفيون والسياسة) ودراسة عن اللغة والمعنى في قصيدة الطفل عند الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى، وخصصت مقالة عن غزل الزوجات في الأزواج، وعن ترجمة أشعار عمر الخيام لمحمد صالح كجراي.

وفي باب علوم عن عزم الثقافة العلمية برؤية مستقبلية، وفي باب شهادة على الشعر أن يرسم لنفسه طريقاً.

وخصص باب وجود لاستذكار الباحث عبدالعزيز الأهواني، والشاعر إبراهيم ناجي.

وفي باب فنون عن أغنية عمرها ألف عام وعن عبدالله حامد عاشق الأرض والروح.

وفي باب جسور عن أمريكا في كتابات الرحالة المصريين.

وتتجدد مواد الأبواب الثابتة: حدث في مثل هذا الشهر، وحصاد المطابع، وكتاب الهلال، والكلمة الأخيرة.



تتنوع مواد العدد 687 - فبراير 2016 من المجلة وهي شهرية ثقافية تأسست عام 1958، تصدرها وزارة الإعلام بالكويت، ورئيس التحرير د. عادل سالم العبدالجادر.

تفتتح المجلة بحديث الشهر لعادل سالم العبدالجادر.. الفتن السوداء في العالم العربي.

وأما في باب فكر وقضايا لمحمد علي عطا.. المقريزي وشجاعة المواجهة

ومحور العدد الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية 2016 يكتب عنها محمد فتحي فرج.. الكويت والثقافة الإسلامية.

وفي حوارات العربي أجرى جهاد فاضل.. حلقة حوارية في بيروت حول الرواية اللبنانية الجديدة شارك فيها لطيف زيتوني ونجوى بركات ويمنى العيد.

وفي باب أدب ونقد ولغة تتوالى المقالات لفاروق شوشة: بدوي الجبل ورائعته (البلبل الغريب)، ولعبدالجليل غزالة: السرديات النسوية في الأدب الكويتي المعاصر، ولمصطفى قمية: هل يفضي تقدم الحضارة إلى تراجع الشعر؟، ولأحمد حسين حميدان: الذكورة والأنوثة في أقدار غادة السمان القصصية، ولرياض عثمان: هل قرأ جاكبسون كتاب الجاحظ؟، ولعبدالله القتم: اللغة العربية في الهند، ولمنصور مبارك: ما بين التزمت والتمدن، ولسهار شريف: الثقافة العربية في بريطانيا.

وأما باب ديوان العربي لمحمد زينو شومان: حوار غير هادئ.

وفي باب تاريخ وتراث وشخصيات يكتب رئيس التحرير عادل سالم العبدالجادر: (حضارات سادت ثم بادت) ووفاء شهاب: المركز العلمي صرح حضاري ثقافي، وعصام الحاج علي: حضارة الشركس.

وأما في باب فن تكتب صفا لطفي الألوسي: التصميم الزخرفي في المنمنمات العربية والإسلامية، ورياض عصمت: أجمل مسرحيات توفيق الحكيم.

ويتنوع باب علوم بمقالات لإيمان محمد: الغبار سموم في كل بيت، وشيرين محمود: احذروا إدمان الإنترنت والمخدرات الرقمية، وهشام عدرة: متحف نتدر لأدوات (طب الأسنان).

ويحفل البيت العربي بمواد مختلفة لبيان الصفدي: ترقيص الأطفال عند العرب، وأنور مرتجى: في وداع (شهرزاد) المغربية، وكريستين نصار: الاضطرابات النفس - جسدية عند الطفل والمراهق، ومها قمر الدين: ضع هذا الهاتف الذكي جانباً. إلى جانب الأبواب الثابتة في المجلة.

موت الناقد لا النقد

الكتاب: موت الناقد
المؤلف: رونان ماكدونالد
المترجم: فخري صالح
الناشر: المركز القومي للترجمة 2015

ينتمي كتاب (موت الناقد) (2007) لرونان ماكدونالد، الذي ترجم من فخري صالح (القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015) إلى أرشيف مأساة العاملين الأكاديميين منذ القرن العشرين حتى الآن، الذين يعيّنون كمدرسين (أو محاضرين) لكنهم يحملون عبء مصطلحات ذات وظائف تخصصية -فوق طاقتهم- (الأستاذ والباحث والناقد والمثقف).

وهم لا زالوا يعانون مرارات (تاريخ النقد) الذي لن يكون علماً ولن يكون أدباً أو فناً. رغم أنه يتوجب الحذر في التعامل مع استخدام اللغة المجازي لمفهوم (موت الناقد) غير أنه يتعامل بشكل حرفي مثلما حدث سابقاً مع (موت المؤلف) وسواها من المصطلحات، ولا أكثر موقف سخرية من أن غلطة أكاديمي أمريكي هو فنسنت ليتش أطلقت مصطلح (النقد الثقافي) في كتابه (النقد الأدبي الأمريكي) (1988) تحولت إلى (حرَاج نقدي) عرض فيه الكثير من بضاعاتهم في الريادة والإنجاز!.

وبحسب أطروحة التضاد بين مسارين في تاريخ النقد العربي متوازيين لا يتقاطعان ولا يلتقيان البتة، فهناك فرق بين نقاد يطوّرون (النظرية الأدبية) غالباً من تتفوق عندهم موهبة التفكير أو الأدب أو الفن مع تطور الأدوات المعرفية والتحليلية، هم من خارج الأكاديمية، بداية من الجاحظ وعبدالقاهر الجرجاني حتى عبدالله عبدالجبار وغالي شكري.

وآخرون هم عبدة (النظرية البلاغية) يستخدمون -بالوهم بينما العكس تستخدمهم- النظريات والاتجاهات النقدية، شغلهم الشاغل إصدار الأحكام ومنح الألقاب وإسكان من يريدون تحت مظلتهم أو قطع أرجل من امتدت خارج أسرتهم النقدية، وهم حفدة ابن قتيبة وقدامة بن جعفر حتى آخر أي بحث لأحد طلبة أقسام اللغة العربية وآدابها في النقد العربي لدرجات الماجستير والدكتوراه، فهم لن يروا في النقد إلا صرف القيمة الحسابية لا القيمة النسبية!.

وحين يتباكى الناقد الإنجليزي ماكدونالد على انهيار السلطة الأكاديمية في الثقافة عبر فصلين (قيمة النقد) و(أسس القيمة النقدية) ما جعله يساوي بين أحكام الأكاديمي وأي كتابة رأي في المواقع الاجتماعية يتجه في الفصلين الآخرين (العلم والحساسية) و(صعود الدراسات الثقافية) إلى الاعتراف بأن هناك من هم متفوقون على تخرصات الباحثين الأكاديميين.



إذ يعترف بأن القرن العشرين مستمر في فضل هؤلاء الأكاديميين حين يضعون أبحاثاً حول (الإنتاج الثقافي) وجعل من مرحلة (الحداثة) أكبر فضيحة كشفت عجز أدواتهم المعرفية والنقدية عن استيعاب هذا الإنتاج ومن ثم محاولة نقده ما دفع إلى أن نشّط المثقفين أنفسهم إلى وضع كتابات نظرية كالبيانات والشهادات بالإضافة إلى مقالات ومراجعات كتب تمكنت من كشف جماليات الحداثة عبر ما أنجزه كل من ت. إس. إليوت وفرجينيا وولف وعزرا باوند، وهو ما حدث أيضاً في مرحلة (ما بعد الحداثة).

فقد عادت لتتضامن العلوم الإنسانية والاجتماعية مع الثقافة ونتاجاتها من الآداب والفنون والفكر، وهو ما أنتج (الدراسات الثقافية) التي أعادت العلاقة بين نتاجات مفكرين ومحللين -وليسوا نقاداً فقط- والثقافة بمفهومها الواسع بالإضافة إلى فئاتها وطبقاتها الاجتماعية مثل رولان بارت وميشيل فوكو وجوليا كريستيفا وجاك لاكان وميخائيل باختين ووريموند وليامز وريتشارد هوغارت وستيورات هول وسوزان سونتاغ وتيري إيغلتون وسواهم.

ولعلنا نذهب إلى ما هو أبعد من الإشهار الظاهر لـ(موت الناقد) في تلك الأطروحة بل إلى الإشهار الباطن في العجز المرير لممثلي الأكاديميات مقابل منجزات (الدراسات الثقافية) لكثير من علماء اجتماع هم مثقفون بالفكر والأدب والفن، وليس ممن يكتب عنواناً فاضحاً عن (القبيلة) ولم يرجع إلى مصدر أو مرجع من الأعمال البحثية لعلم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا أو التاريخ الاجتماعي وإنما التعامل مع الحقيقة الاجتماعية والتاريخية التي بوصفها مؤسسة اجتماعية فاعلة في المجتمعات المختلفة باعتبارها ظاهرة بلاغية!.

ويمكن أن أسوق هنا إلى منجزين نقديين كشفا تلك المأساة الأكاديمية الأول (استقبال الآخر) (بيروت، المركز الثقافي العربي، 2004) للناقد سعد البازعي، والثاني (حرباء النقد) (طرابلس، دار الكتاب الجديد، 2011) للمعلم الفاضل حسين الواد.

وقد انعكس على الثقافة العربية تكريس مؤسسة كاذبة تدعي النقد ليس في الأكاديمية فحسب بل حتى في الصحافة الثقافية، ولا أقصد المؤسسة النقدية العربية، لكنها لا تقدم شيئاً.. مجموعة من البحوث والمقالات الممطوطة التي تنتهي صلاحيتها قبل ختامها، وتكشف عن توهم منح الأحكام.

الآن مع تطورات الفنون الأدائية والكتابية والبصرية تطور النقد أيضاً صار صياغة إبداعية وشكلاً أدبياً وفنياً.. النقد الذي لا ذوق له لا شيء أبداً.

محمد علي مغربي (1915 - 1996)
مؤرخ الثقافة الحجازية

أحمد الواصل: الرياض

كل كتابة إذا لم تكن للثقافة الحجازية لا يهتم بها محمد علي مغربي.

لقد سخَّر الأدب سرداً أو شعراً، وفن المقالة بأنواعها الانطباعية والوصفية والتحليلية لكتابة تاريخ الحجاز سواء في تجلياته الأسمى في العصر الإسلامي أو القرن الرابع عشر الهجري العصر الذي عاش فيه مغربي.

فقد استقبلت ولادته مدينة جدة ثم توفي في مكة المكرمة، وتلقى تعليمه الأولي في مدارس جدة، ثم التحق بمدرسة الفلاح، وتخرج فيها.

وتوزعت حياته بين الصحافة (البلاد، صوت الحجاز، المنهل) وتأليف الكتب في الأدب والتاريخ الاجتماعي ثم التفرغ للتجارة.

ظل يشغل ذهنه المجتمع والثقافة والاقتصاد ودارت معظم كتاباته حولها منذ أن أسس جريدة البلاد (1930) ثم رئاسة تحرير صوت الحجاز (1941) وكتاباته في مجلة المنهل من نماذجها:

- ما هو أثر الأدب الحديث في هذه البلاد (مجلة المنهل، العدد الثالث، 1939)

- مدى التطور في حياتنا الاقتصادية خلال ربع قرن (مجلة المنهل، العدد 11 - 1949)

وفي مرحلة تطور أدواته الكتابية وضع مجموعة من القصص متباينة في المواضيع والحجم، صدرت بعنوان الأطول (البعث) (1944): البعث، والكنز، والرجل النكد الطبع، وبقرة الشريف عون، ومقامة العروسين.

يكشف بطل قصة البعث أسامة الزاهر بأنه حلم الشاب الحجازي بالتطور والصناعة حيث قادته ظروف مرضه إلى السفر للعلاج في الهند ومن هناك بدأ حلم التقدم والازدهار يراوده ليحققه في بلاده..

حاول مغربي أن يجعل التاريخ سواء الإسلامي في بداياته أو المعاصر علامة يستلهم منها النهضة والإيمان بالإنسان بأنه يمكن أن يقدم الكثير.

فهو قد وازن بين مرحلتين من عصرين بعيدين ربطهما بمسألة إلهام النهضة وتحقيق النهضة الثانية في عصره، فقد وضع سلسلة أعلام الصحابة: أبو بكر الصديق خليفة رسول الله (1983)، وعثمان بن عفان ذو النورين (1984)، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين (1986)، وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي (1986).

واعتنى بأن يضع صورة شاملة للمجتمع الحجازي في كتابه (ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري) (1982) صور فيه الحياة الاجتماعية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة تناول في هذا الكتاب أبواباً وفصولاً كتب فيها عن الأسر وعاداتها في الحجاز ومدنه والتعليم والطب والتجارة والصنائع والفنون والأطعمة والأشربة وفن الغناء والطرب والرياضة والألعاب في الحجاز..

ومن بعد ذلك أردفه بأربعة مجلدات من كتاب (أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري) (1984 - 1990) بمجموعة أسماء متنوعة تمثل رجالات الحجاز، وقليل من نجد والجنوب- من نخبتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية:

ففي الجزء الأول: الشيخ أحمد الزهراء، وأحمد صالح قنديل، والحاج زينل علي رضا، والشيخ ضياء الدين حمزة رجب، وسليمان أمان قابل، والسيد صالح بن بكري شطا، والشيخ عباس يوسف قطان، وعبدالله محمد باحمدين، والشيخ عبدالرؤوف جمجوم، وعبدالله السليمان الحمدان، وعبدالله محمد الصغير، والأستاذ عبدالله عريف، والحاج عبدالله علي رضا، ومحمد حسن عواد، ومحمد جعفر لبنى، والدكتور محمد خالد خاشقجي، ومحمد حسين نصيف، ومحمود حسين نصيف، ومحمد سرور الصبان، والشيخ محمد صالح أبو زنادة، والشيخ محمد صالح جمجوم، ومحمد صالح نصيف، والسيد محمد طاهر الدباغ، ومحمد علي زينل رضا، ومحمد عبدالصمد فدا، والشيخ محمد







ماجد كردي، ومحمد الطويل، والشيخ عبدالرؤوف الصبان، ومحمد جميل حسن، والشيخ محمد علي ملطاني.

وأما الجزء الثاني: الشيخ أحمد عبدالله القاري، وحسين عبدالله باسلامة، وحمزة شحاتة، وعبدالسلام طاهر الساسي، وعبدالقدوس الأنصاري، وعبدالله باشا باناجة، والسيد عبيد عبدالله مدني، والسيد علوي بن عباس المالكي، والشيخ محمد رحمة الله العثماني، والشيخ محمد طاهر الكردي.

وأما الجزء الثالث: أحمد سباعي، الشيخ جعفر البيتي، الشيخ حسن محمد المشاط، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله سراج، وعبدالله عبدالرحمن سراج، وعلي وعثمان أبناء عبدالقادر حافظ، وعلي حافظ، وعثمان حافظ، وفرج يسر، ومحمد بن عبدالقادر مغيربي فتيح.

وأما الجزء الرابع: السيد أحمد الفيض آبادي، أحمد محمد جمال، وأحمد عبدالغفور عطار، حسين بن علي سرحان، وصالح محمد جمال، والشيخ عبدالله غازي المكي، والسيد حسين زيدان، ومحمد سعيد العامودي، محمد صالح عبدالرحمن قزاز.

استطاع محمد علي مغربي أن يضع اسمه من بين مجموعة من الأدباء السعوديين في كل حقول الكتابة والتأليف، فقد زاحم الريادة الروائية لكل من عبد القدوس الأنصاري وأحمد السباعي، واهتم بتطور الأدب السعودي في تنظيراته وتأملاته كما محمد حسن عواد وعزيز ضياء، كما أنه تمكن التأليف في التاريخ الاجتماعي ليزاحم أحمد السباعي ومحمد حسين زيدان.

تعد كتاباته نموذجاً عن عصره في كل ما ألف، وإن حملت معظم الكتابات الطابع الموسوعي، وأسلوب النقل مع إغضاء الفرز، وغلبة التدوين على التحليل إلا أنها تمثل شهادة على عصره..

مؤلفات محمد علي مغربي:

الأدبية - الفكرية: البعث- رواية (1944)، لعنة هذا الزمن- الشيوعية (1968)، حبات من عنقود- أوراق متناثرة (1986)، رباعيات (1987)، القصيدة النبوية (1995).

التاريخية- الإسلامية: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري (1982)، أعلام الصحابة (1982-1994)، الإسلام في شعر شوقي (1984)، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة- أربع مجلدات (1984 - 1990)، لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام (1993)، تاريخ الدولة الأموية (1989)، محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين (1996).

ومن قصائده التي حفظت في الصحافة نضع النموذج التالي:

رسالة والد

يا ابْنتي يا سنا الشعاع من الحسـ
ـنِ بريئاً كالرّحمة البيضاءِ
يا غديراً من الحنَان طهوراً
يتجلّى في طلعةٍ من بهاء
ليت شعري وقد تنازعَنا البَيْـ
ـنُ، أتدرين لذعة البُرَحاء؟
كيف لا تكْحل العيون بمرآ
ك، وقد كنت بهجةً للرائي؟
كيف يقوى على فِراقك قلبي؟
كيف أرضى البعاد بعد اللقاء؟!
كنتِ أنت السّمير في مجلس الليـ
ـلِ، فمن لي بمجلسٍ في المساء؟

الفضول العلمي طريق التقدم والإبداع

محمد عباس عرابي: مصر

إن حفظ المعرفة أمر سهل، ونقلها أيضاً أمر سهل، ولكن صناعة معرفة جديدة ليست بالسهلة، وليست مربحة على المدى القصير، غير أن التاريخ أثبت للجميع أن المعرفة أساس النهضة والتقدم، كما أنها قوة تثري أي مجتمع وتجعله قائماً على المنطق والحقائق الأساسية.

إنه الفضول العلمي؛ نعم إنه الفضول العلمي طريق الاكتشاف والابتكار وتقدم الأمم، والفضول العلمي هو رغبة وجدانية قوية، تصل حد الشغف، في معرفة الحقيقة، وفهم الظواهر التي تحدث في الكون والحياة، والبحث عن التفسيرات التي تزيل غموض جوانب متعددة في الوجود، والوقوف على القوانين التي تربط الأشياء وتحكمها، واستكشاف الجديد، سواء أكان ذلك في مجال العلوم الطبيعية أم الإنسانية. وهو (شغف) مقرون دائماً بشعور يشبه الاشتياق..! اشتياق الباحث إلى النتيجة التي تمحو جهله في موضوع ما، وتزيل الشك واللبس الذي يلف ظاهرة أو حدثاً أو علاقة بين الأشياء والأحياء. كل ذلك بالمعرفة.. ولكن ليس أي معرفة، وإنما المعرفة العلمية القائمة على المنهج السليم، والمستندة إلى العقل والمنطق والتجربة.

كيفية تشجيع الأبحاث المبنية على الفضول

كيف إذن يمكننا أن نشجع مثل هذا الشكل من الأبحاث المبنية على الفضول؟ الأبحاث التي يحركها الفضول تحتاج مبدئياً إلى علماء مبدعين يعملون في بيئة تشجع على التعاون بين الباحثين وتؤلف بين المجالات المختلفة، ولكن يجب ألا يتم تقييد هذا المناخ بالإدارة الرتيبة والجامدة، حيث إن العقول المبدعة لا تعمل جيداً مع البيروقراطية.

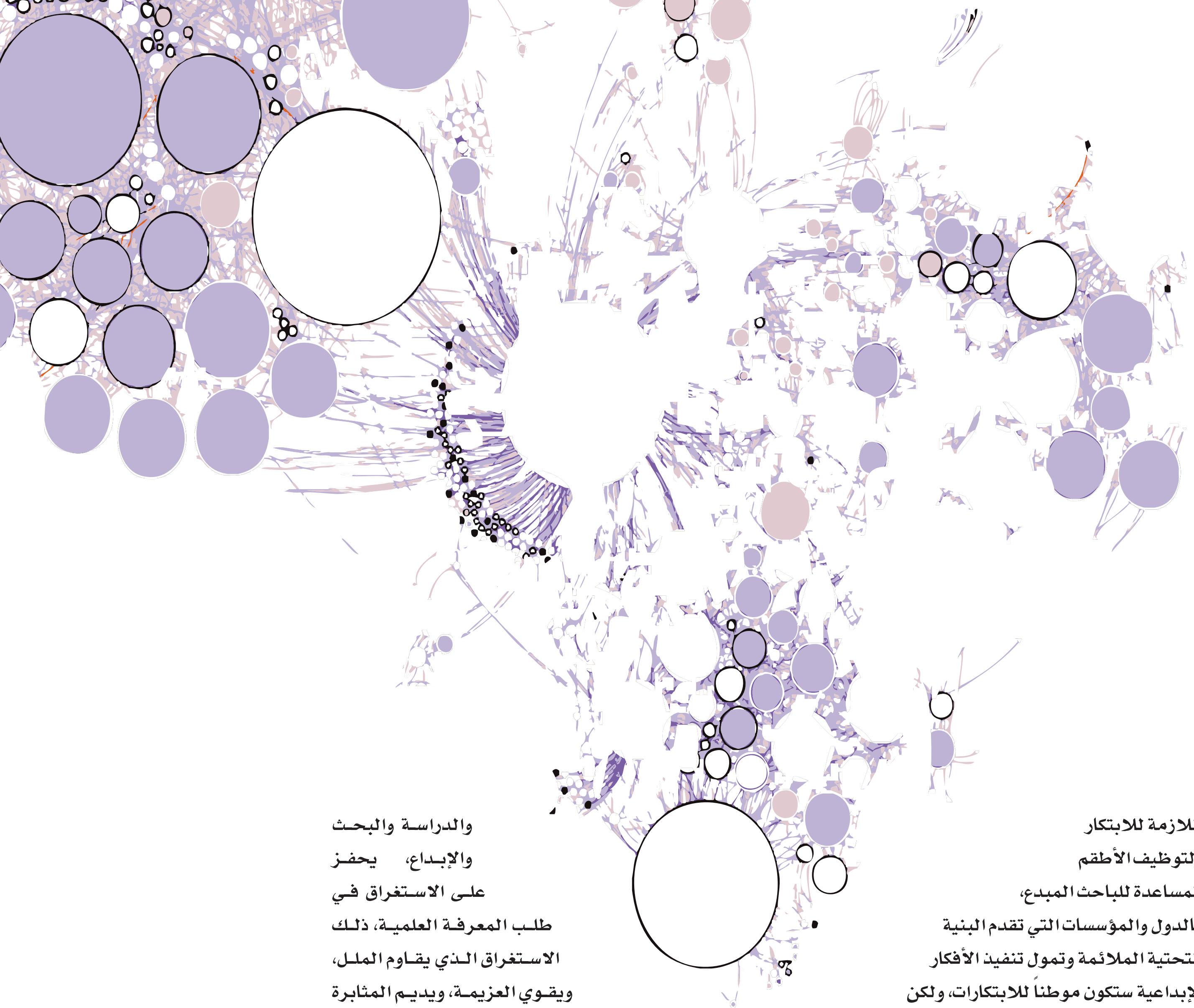
وبالتالي لابد أن نسأل: هل هناك معادلة معينة لإدارة صناعة الاكتشافات والاختراعات؟ وتكمن الإجابة في الاقتناع بثلاثة مبادئ:

الأول: والأكثر أهمية، هو البشر أنفسهم، فمنح الأهمية الملائمة لتأسيس وتشجيع التعليم المُلهم في العلم والتكنولوجيا والرياضيات والهندسة ضروري، حيث يجب أن تستقطب مجالات الأبحاث أفضل العقول الشابة، فالمباني الضخمة والتمويل الغزير لن ينتجا الكثير في ظل عدم وجود الأشخاص المناسبين.

ثانياً: إن خلق مناخ من التبادل المعرفي يعد من أهم الأساسيات لبلورة الأفكار بشكل واضح، فإنهاك الباحثين في البيروقراطية وكتابة عدد كبير ومكثف من التقارير في الجامعة أو تحويلهم لإداريين متفرغين هو بمثابة بداية النهاية للتقدم.

وأصبح النظام الحالي في إدارة الأبحاث معقداً ومتشابكاً، وهو ما يبرز الحاجة لمراجعة نظام التمويل التقليدي، ليكون السؤال: كيف يتم اختيار وتمويل الباحثين المميزين؟ وما مستوى التمويل اللائق لتحقيق الفائدة للمجتمع؟

ثالثاً: دون الموارد فإنه لا يمكن تحقيق الكثير، فمهما كانت العقول مبدعة فإن التمويل ضروري لتصنيع الأدوات



اللازمة للابتكار ولتوظيف الأطقم المساعدة للباحث المبدع، فالدول والمؤسسات التي تقدم البنية التحتية الملائمة وتمول تنفيذ الأفكار الإبداعية ستكون موطناً للابتكارات، ولكن هذا البناء والتمويل يجب أن يأتي بعد الحصول على الباحثين الخلاقين، لا أن يكون الأساس هو إدارتهم للحصول على المال من جهة معينة أو إجبار الباحث على العمل من أجل (موضة) متداولة مثل ما يفعله الكثيرون تحت شعارات الـ(نانو تكنولوجي) والـ(بيو تكنولوجي).

الفضول العلمي وتنميته لدى النشء

ولئن كانت إثارة الفضول العلمي وتنميته لدى النشء مهمة، فإن الأهم فيما أرى هو الانتباه إلى عدم طمس فضولهم الفطري الطبيعي الأصيل، من خلال تجاهل أسئلتهم أو الاستخفاف بها، أو تقديم إجابات سريعة جاهزة خرافية وأسطورية لهم، تقطع تسلسل أسئلتهم، وتطفئ جذوة فضولهم في مهدها، وتريحهم أبد العمر من عناء البحث والتفكير والتحليل. ولاسيما إذا كانت تلك الإجابات مما لا يقبل النقاش، ولا يرضى بغير التسليم.

إذن فالفضول العلمي شعور أصيل وفطري، قابل للتنمية أو للطمس، وهو باعث على تحري الحقيقة، والدراسة والبحث والإبداع، يحفز على الاستغراق في طلب المعرفة العلمية، ذلك الاستغراق الذي يقاوم الملل، ويقوي العزيمة، ويديم المثابرة والاستمرارية، بدافعية ذاتية، ليست لها غاية إلا إشباع ذلك الفضول الإيجابي الأصيل. وإني لأقترح هنا على الدارسين والمثقفين والمفكرين المهتمين بالبحث عن أسباب تقدم أمم وتخلف أخرى، أن يضيفوا إلى عوامل التقدم والإبداع والابتكار والاكتشاف عاملاً مهماً ومؤثراً، وهو مدى توافر الفضول العلمي لدى أفراد المجتمع أو مدى تضاؤله أو غيابه. ويوجد العديد من المسؤولين في كثير من الدول الذين يأملون في الوصول إلى نفس مستوى وكم الابتكارات الموجودة في العالم المتقدم، وخلال سعيهم هذا يهملون المفتاح الرئيس وهو التعليم المبنى على الفهم والطريقة العلمية ووضع قاعدة رئيسة واسعة للبحث عن الحقيقة، وللأسف فإن بعض الدول المتقدمة بدأت تقوم بالأمر نفسه، وعلى القادة أن يعلموا أن الرغبة في اكتشاف معارف جديدة هو ما يُنتج الاختراعات والاكتشافات، وأنه دون تلك الرغبة والإرادة القومية فإن الشباب الواعدين لن يكونوا منجذبين للإبداع والاختراع وخدمة وطنهم.

التكنولوجيا نور ونار

عبدالله الهيشو: المغرب

تحت ظل سحاب التكنولوجيا، والتقنيات الحديثة، والأجهزة المتطورة، في خضم عالم تتوافر فيه كل الحاجيات، وسط زمان التواصل بالنقرات والأزرار.

تحت مظلة توافر كل ما نحتاجه في مختلف متطلبات الحياة، وكون العلم وجبة دسمة على مائدة المتلهفين، والمتطلعين؛ نعيش الآن.

فهل يا ترى أثر فينا هذا تحسناً وتقدماً؟ وهل يا ترانا قد استخدمنا ما منح لأيدينا من أنجع اكتشافات البشرية لصالحنا؟ ولفائدتنا؟ وما هي الحالة التي يتمظهر عليها المسلمون خاصة والعرب عامة، مع كل ما له ارتباط بكلمة تكنولوجيا؟ وما مخلفات وآثار هاته الاختراعات على حياتنا اليومية؟

على حسب تركيبة العقول البشرية، فإن كل ما هو جديد، وما زالت شمسه في ضحاها؛ فإنه لا ينال الكثير من الترحيب، وخصوصاً عند العرب والمسلمين، وبالأحرى لو كان المصدر هو الغرب، ولقد كان موقف رفض العرب لكل ما هو صادر من الغرب واضحاً، مقرراً في كتب التاريخ، وشيئاً فشيئاً ومع الاصطدام مع خطوات الغرب البعيدة المدى في مختلف المجالات الصناعية، أدرك العرب ضرورة أن عليهم مواكبة العصر، واللحاق بالموكب، وصاروا يقتنون كل ما هو جديد.

لم يكن العرب في القرون المتأخرة إلا أسواقاً للمنتجات الأوروبية، الأمريكية، والغربية بصفة عامة، فرغم أن ألمانيا قد سحقت مرتين في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فقد استطاعت النهوض من جديد، وري اقتصادها المتصحر، وكذا اليابان والصين وكوريا بقسميها.

كل الأمم رغم شدة عثرتها وتجمد أقدامها في الوحل إلا أنها استطاعت الخلاص، ما عدا المسلمين، مع العلم أن الدين الإسلامي دين الرقي والصعود، والابتكار والاختراع، وغير غائب عن أنظارنا ما خلفه المسلمون من منشآت وعمران وثقافة، واستطلاعات لم يسبق لها مثيل، وتجديد للعلوم والفنون وصقل لها. وما انطلق الغرب إلا من مبادئ علمائنا التي خطوها، ومناهجهم.

أضحى العالم قرية صغيرة تحت سقيفة العولمة، وضوء الأقمار الصناعية، وصار من كان يقطع الشهور والأيام لزيارة قريب له، أو ليوصل خبراً ما؛ يكفيه بضع دقائق لقضاء وطره ومبتغاه. وصار ما يحدث في أبعد قارة وكأنه حدث بضواحي المدينة. صار التبادل التجاري، وإبرام الصفقات، والتواصل، وإجراء البحوث، وتحرير المواضيع، ونشر الفكر؛ سهلاً جداً، بفعل الشبكة العنكبوتية.

كثير من الإيجابيات في عالمنا التي نعايشها هي وليدة التقدم العلمي والاختراعات التكنولوجية. ولكن أليس لهذه الإيجابيات من حفر على طريقها؟ وإن قلنا بأن طريقها معبدة، أفليس هناك من يريدون عرقلة حركة السير؟

فما هي أضرار التكنولوجيا؟ (الهاتف والحاسوب مثلاً).

أول ما يلحظ في مجتمعنا أن الشباب خصوصاً قد أصبح مدمناً عل الهاتف، لا يستطيع التخلي عنه، يرافقه الشاحن أينما حل وذهب، وكأن قلبه لن ينبض بسلام إن هو لم يرى الشاشة مضيئة، فكثيراً ما يكون الواحد منا ماراً بأحد الشوارع فيصطدم من دون ما سابق إنذار مع شخص لا يرى ما هو أمامه من فرط انشغاله بمحادثة ما، كما أن التجمعات العائلية والصديقية قد فقدت حميميتها، فلكل رفيق جديد هو هاتفه، ناهيك عن تقنية الفوتوشوب، والتجسس، والابتزاز.

هذه بعض التمظهرات المجتمعية، وهناك بعض الأضرار الصحية، وهاؤم بعضاً منها:

فقد كشفت دراسات أمريكية نشرت في مواقع طبية متعددة أخيراً أن الوميض الناتج من المستويات العالية



والمتباينة
من الإضـاءة
في الرسوم المتحرّكة الموجودة في ألعاب الأجهزة اللوحية والمحمولـة؛ يتسبّب في حدوث نوبات من الصرع لـدى الأطفال، محذرةً من الاستخدام المستمر والمتزايد لألعاب الكمبيوتـر الاهتزازيـة من قبـل الأطفال، لاحتمـال ارتباطه بالإصابة بمرض ارتعاش الأذرع.

وأشـارت دراسـات إلـى أن الإدمـان المرضـي علـى ألعـاب الفيديو قد يسـبب اضـطرابات في النوم وفشـلاً على صعيد الحياة الخاصة أو الدراسة، وكسلاً وخمولاً وعزلة اجتماعية لدى الأطفال، إضافة إلى التوتر الاجتماعي وفقدان المقدرة على التفكير الحر وانحسار العزيمة والإرادة لدى الفرد.

كمـا أكـدت دراسـة أخـرى أن الذين يتفحصـون الرسـائل ويقربـون الأجهـزة مـن أعينهم، سـواء بمشـاهدة الفيديو أو غيرها، يكلفون أعينهم مجهوداً إضافياً، مما يؤدي إلى ضعف أعصاب العين.

ويقـول الدكتـور خالـد النمـر استشـاري وأسـتاذ أمراض القلب وقسطرة الشرايين والتصوير النووي والطبقي للقلب في مستشـفى الأمن العام بالرياض، إن الهواتف المحمولة والأجهـزة اللوحية (باتـت جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسـان، وفي واقعنا الحالي أصبح اسـتخدامها في عمر مبكر جداً)، مبيّناً أن (هناك طيفاً للموجات الكهرومغناطيسية من البث التلفزيوني إلى الإشـعاع النووي، وتنقسـم علميـاً إلى مؤينة (بكسر الياء) مثل الأسلحة النووية والنظائر المشعة، وغير مؤ ينـة مثـل الميكروويـف والراديـو والتلفزيـون والأجهزة الذكيـة). ويوضـح أن (الموجـات غيـر المؤينـه (الآمنـة) لا تنتج إيونات من الأجسام مثـل الميكروويـف والأجهـزة المحمولة، ولـم يثبت علمياً أنهـا تسـبب السـرطان أو الباركنسـون أو أمراض الكلى أو أمراض الأعضـاء التناسـلية أو العينين، كما أفـادت منظمة الصحة العالمية في عام 2010).

وعلـى مسـتوى الإدمـان النفسـي، يقـول النمـر: (تتولّـد لدينا مشاعر سلبية إذا فقدنا الجهاز، مثل الغضب، الانعزال والاكتئاب، إذ أصـبح الشـخص يعيش في عالم افتراضـي، ما يـؤدي إلـى فقـدان المهـارات الاجتماعيـة للشـباب والأزواج والزوجـات. لم يعد الشـخص يحتك بوالديـه وأقاربه بل مع أصحابه الافتراضيين وبالتالي تغيّرت العلاقات الاجتماعية إلى علاقات إلكترونية بحتة أحياناً).

ونهايةً، فإذا كان للتكنولوجيا فوائد عديدة يسـتفيد منها الإنسان؛ فإن لها بالقابل أضراراً وأخطاراً ينبغي الحذر منها، فعلينـا أن نقتصـد فـي اسـتعمالها، وأن نتوسـط فـي الإقبال عليها.

البادية وأضواء المدينة

د. إدريس سلطان صالح: مصر

(عندما تجلس أمام المدفأة في ليالي الشتاء الباردة، وتسمع صخب المدينة وتشاهد أضواءها، وفجأة ترجع ذاكرتك لعشرات السنين، لتتذكر ليالي الأجداد وموروثات ثقافية، تشعر بالحنين إليها).

.. لكل مجتمع موروثات ثقافية أصيلة، تجعله مميزاً بطابع خاص، والمجتمع البدوي واحد من هذه المجتمعات، يحظى بموروثات ثقافية، في شتى مناحيه، أزيائه، لهجته، مأكولاته، عاداته وتقاليده، وتعكس ما في البادية من أصالة وعراقة، تشتم رائحتها حين تتذكرها مهما مرت بك السنوات، وتوالت متغيرات وتطورات العصر.

موروثات ثقافية تجول بخاطرنا منذ نعومة أظافرنا، نتذكرها ونحن جالسون في الأبراج السكنية متكررة الأدوار، جيران من كل ناحية واتجاه، نادراً ما نعرف منهم جاراً، إلا عابراً هبوطاً وصعوداً على درجات السلالم أو المصاعد الكهربائية، كل منا يلقي التحية على الآخر شبهاً بأنه جار، والحقيقة لا يعرف أو يتأكد من الشبه، أو يعرف اسماً لهذا الجار.

ننظر حولنا لنجد حياة جديدة تملؤها المصابيح والأجهزة الالكترونية المتنوعة، ما بين تلفاز وأقمار صناعية وقنوات فضائية وحاسوب وإنترنت وهواتف أرضية وخلوية، وما بها من عالم افتراضي مغاير لعالم الحقيقة، عالم سريع لا تستطيع أن تلاحقه، أو تسيطر عليه كما كان في الماضي القريب، عالم وهمي بعلاقاته وصداقاته.

ما هذا؟ وماذا حدث؟ وأين نحن؟ لقد ضاقت مساكننا وأصبحت غرفاً صغيرة مقارنة بالبيت الكبير الذي ولدنا فيه، وشهد طفولتنا وبدايات شبابنا، بيت من طوب لبن، ما أروع دفئه في برد الشتاء، وما أرق نسائمه في حر الصيف، وتغيرت لهجتنا البدوية إلى لهجات أخرى اكتسبناها من القرية والمدينة، وتغيرت الأزياء، ولم نعد نرتدي جلباباً، ولم نعد نعرف جيراناً، إلا شبهاً أنهم قد يكونوا جيران، وكذلك هم لا يعرفوننا إلا شبهاً بأننا قد نكون لهم جيران. لقد أبهرتنا أضواء المدينة وبريقها ومبانيها، وافتقدنا البادية وماضيها.

أين العصيدة التي كانت الوجبة الفاخرة، في ليالي الشتاء شديدة البرودة؟ وأين حكايات الأجداد ونحن حولها؟ العصيدة التي تمثل تراثاً بدوياً أصيلاً يقاوم الاندثار والنسيان حتى الآن، ما زلنا نراها في عيوننا، ونتذكر طعمها في خيالنا، ونشتم رائحتها في أيدينا، نتذكر الدقيق والعسل واللبن والسمن، وكيف كانت جدتنا تخلطهم على النار الهادئة لتصنع لنا عصيدة ينتظرها الصغار قبل الكبار.

نجلس حول منقد النار، بدءاً من الجد حتى الأعمام والأخوال وأولادهم، مستمتعين فرحين حين تأتينا العصيدة، نتناولها بشغف على ضوء النار كأشهى وليمة، ومصباح صغير يضاء بزيت أو جاز، فلم تكن هناك مصابيح كهربائية وقتها، وأضواء مبهرة تجعل ظلام الليل نهاراً كما الآن.

لم نكن نعرف تلفازاً أو حاسوباً ينقل لنا أخباراً، أو نشاهد تسلية، أو مباراة رياضية أو غيرها، فقط مجرد مذياع صغير في بيت كبير، يسمع منه الكبار أخبار الدنيا، أو أغنية من الطرب الأصيل، وكنا نختبئ ونسترق السمع من بعيد خشية أن يرونا أو يسمعونا، فينالنا الحرمان من سماعه.

كانت سهرتنا ليلية، ليس كليل اليوم وسهراته الصباحية، بل ليل قصير يبدأ مع غروب الشمس، وينتهي بعد العشاء والتسلية، كان الجميع يلتف حول الأجداد في سهرة ليلية، يزينها حديثهم، وسمرهم، وحكمهم وأمثالهم التراثية، السهرة التي كانت تشع دفئاً مع دفء النار، حتى تختفي برودة ليل الشتاء القارص. ما أروع سهراتهم التي عشناها، وتعلمنا منها، وما أجمل الحكم والأمثال التي أثرت في تربيتنا حتى الآن، والتي ما زالت في الأذهان.

ما زلنا نتذكر أمثال أجدادنا، وتفسيراتهم لها لنتعلم



منهـا، كثيراً ما سـمعنا (مـا يرويك إلا كف إيـدك)، مَثل تعلمنا منه الاعتماد على النفس، وعدم انتظار المساعدة من الآخرين، وكذلك سـمعنا (ما تجيلـك إلا رجل تودك)، التـي تعني أنه لن يزورك ويسـأل عنك إلا من يحمـل المحبة والود لك، بينما لن يفكر من يحمل حقداً أو ضغينة في السؤال عنك وزيارتك.

لـم تكـن التكنولوجيا قد أطلـت علينا بمسـاوئها ومميزاتها، فقـد كانـت العصـيدة وجلسـتها تجمـع شـمل الكبار والصـغار، كل منهـم يسـأل الآخـر عن يومه، وعـن أحواله، ومـاذا فعل في النهار. كانت جلسـة مرح وتسلية، وجلسـة إعداد وتربية، تنتقل فيهـا الموروثـات الثقافية وما فيها مـن قيم وعادات وتقاليد أصيلة من الكبار إلى الصغار.

تسارعت الأيام، وتطور عصرنا، وغزت التكنولوجيا كل جوانب حياتنا، وأصـبح كل إنسـان فـي واد غيـر وادي الآخـر. أصـبحنا نعيش عالماً آخر غير عالمنا، دخلنا العالم الافتراضي واستقرت شـبكات التواصـل الاجتماعي في بيتنا، لنتواصل عن بُعد، الأب والأم والأبناء، كل منهم أصبح له عالمه الخاص.

عالم محصـور بين الشاشـات الإلكترونيـة، جعلنا نبتعد عن بعضنا البعض، نتواصل ونعرف أخبارنا وأحوالنا عبر الشاشات والشـبكات السـلكية واللاسـلكية، واختفـى عالمنـا الحقيقـي، اختفـت العصـيدة التـي تجمعنا، ورحـل الزمن الجميـل، ولكنه سيظل محفوراً في وجداننا.

سـتكون مقارنة ظالمة، بين ماض وحاضـر، قـد ترى أجيال اليوم أفضـلية لحاضـر تكنولوجي، معلومـاتـي، عن ماض قاس عاشـه أجدادهم وآباؤهم، ولكنه سـيظل حاضراً مفتقداً للنزعة الاجتماعية التي ميزت الماضي، وجعلت الأسرة والقبيلة وحدة واحدة، يعيش أفرادها في عالم واحد، عالم حقيقي، يختلف عن عالم الحاضر الافتراضي.

من تحديات الناقد

عبدالرزاق هيضراني: المغرب

الوعي بالاختيار

يعد النقد أعقد اختيار يختاره ممارس، لأن اختيار النقد والإيمان بجدواه ومتعته لا يعني الإجادة فيه هكذا من غير دربة أو محن. وإذا كان فهمنا للحياة فهماً أعمق، يرتبط بمدى تجاربنا فيها، فإن رهان الناقد المبتدئ يتأسس على القراءات المضاعفة والشاقة حتى يقترب من خلال قراءاته، من تجارب الناقد / المبدع المتمرس، الذي استثمر رؤيته للعالم في نقد أنساق الحياة. إن الدال الحقيقي على الإيمان بمجال الاشتغال هو الانشغال الكلي بالمقروء عن العالم وكائناته / مكوناته المختلفة.. انشغالاً لا يعني قطيعة بل كفاية وهدوءاً، أي أن القراءة الحقيقية هي التي تحررك قبل أن تأسرك، تجعل وجودك ثابتاً ثقيلاً له معنى ولو نزع منك.

إن الإيمان بالممارسة شرط ضروري لإنجاحها. إن إيماننا بمجال الاشتغال، تحقيق الذات، بداية حقيقية للنقد المنفتح.. ومن غير إيمان حقيقي تبقى الكتابة المهادنة / المتواطئة، أياً كانت إبداعاً أو نقداً تيهاً. غير أن التبعية ليست من التحفيز في شيء، لأن الكتابة بفعل حافز أو حتى تحت الطلب من غير اقتناع بالممارسة مجرد تأجيل لحقيقة تقيدنا، تأسرنا وتلوح بنا بعيداً عن ذواتنا ولو أضأنا أناملنا بعوالم ثقافية يخيل لقارئها أن انسجامنا مع ذواتنا قد تم. إذا لم تكن الرحلة بين عوالم الثقافة محكومة بالاقتناع واللذة والاستمرارية، فسينتهي بنا المطاف جسداً عارياً من الكينونة، خالياً من الروح، لهذا قيل إن الكتاب لم يمت بل حضارة الكتاب. معنى ذلك أن الثقافة تبقى ثقافة على مر العصور منها المفيد ومنها الممتع أو معاً، منها التافه ومنها النبيل.. غير أن الأحوال أشد تأثيراً والإيغال في مجال أو الانتقال منه اقتناعاً، حتمية لتجنب تداعيات الأحوال العاصفة.

الوعي بالممارسة هو الإشكال الحقيقي ومعرفته علم في نفسه على حد تعبير القرافي. وإذا كان المنطق يفرض علينا أن نقر بل نظن كل الظن أن النقد يمكننا من فهم الحياة اقتراباً من الحقيقة مقارنة مع نشاطات ثقافية أخرى، لأن النشاطات الأخرى ومهما تعددت أنماطها إلا وكان النقد جزءاً من حياتها، فإن ذات المنطق يفرض علينا كذلك أن نعتقد أن تشكل الأنساق داخل الخطابات والمجتمعات أمر ضروري ووارد لأنها من مشترطات الوجود وإلا خالفنا منطق الكون المنبني على التناقض أساساً، غير أن مهمة الإنسان عموماً معرفة تلك الأنساق، نعم معرفتها قبل نقدها وتجاوزها وتجنبها.

لن يتأتى ذلك الرهان المعلن عنه إلا بتشكيل وعينا القرائي ونحته بإزميل القراءة الفاحصة والأسئلة القلقة لا الفاسدة.

(.. من ضروراتنا الثقافية المعاصرة هو أن نجيد صناعة الأسئلة، وأن نحذر الوقوع في الأسئلة الفاسدة لكيلا تفسد مقولاتنا ويصيبها الزيف والتصدع. ولا ريب عندي أن ثقافة الأسئلة هي من الثقافات الغائبة عن فكرنا المعاصر) (عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية، ص 89).

مناهج القراءة

للنقد قدرته التي لا توصف على تصحيح الرؤى ونقد الأنساق، غير أن درجة اطلاعه بهذا الدور تختلف تبعاً للمنهج

والذات القارئة. النقد مساءلة ذاتية لآليات الاشتغال، وقوف مع العقل لمحاسبته، وأخيراً مساءلة للذات الناقدة نفسها. لن يكون هذا اللقاء المسائل إلا هدما لمسلمة الطفرة والفصل بين الممارسة النقدية على مر العصور، والقفز على الذاكرة مهما كانت ثقيلة، عميقة أو منتجة من غير نقد. لن يكون ذلك إلا ضرباً من معاداة العقل والمنطق. فالمنهج وهو يقرأ ويفيد ويمتع ويعري لا يمكن أن ننسبه للتاريخ ومن ثم يصبح شأناً من شؤون الماضي مهما كانت إمكانياته، لأن التجاوز لا يعني القطيعة.

كل شيء بدأ هيناً يسيراً، بل إن كل شيء أصله لا شيء/ صفحة بيضاء، غير أن الأشياء تتحول إلى أفكار وأطاريح ونظريات ومناهج واختراعات بالتراكم والتجاوز. لهذا كانت المناهج النقدية، مثلاً، استناداً إلى هذا المعطى العلمي منبنية على التجربة ثم الاستقلال من غير إلغاء لحدوده واحترامه لمناطق نفوذه. وإن كان لا بد من التجاوز وهو حاصل في جميع الأحوال، فإن النقد المسؤول سبيل ذلك، هنا يتم اللقاء مرة أخرى بين الممارسة النقدية من حيث إنها عدة مصطلحية منتقاة من خلال منهج له عدته المصطلحية التي ينفرد بها ويستثمرها وتميزه في الوقت نفسه، عن غيره من المناهج.

الناقد مثقف مهموم بقضايا عصره

لا ينفصل النقد عن الواقع أو هكذا يجب أن يكون، لأن الأدب تعبير عن المجتمع يوجهه ويؤثر فيه. من ثم فالأنساق الثقافية المجتمعية أنساق مندغمة في النص وأنساق المجتمع تؤثر في النص مندسة فيه، ولهذا كان الواقع تحدياً للناقد لا بد أن يقرأ ممارساته المختلفة وتمظهراته المؤثرة في الأفراد. هذا معناه أن يكون للناقد موقف تجاه الأحداث، لأن أحداث النص من أحداث الواقع والعكس صحيح. الناقد التقليدي لا ينفك عن الجمالي في النص والواقع معاً بل يستكين لهما ويمدحهما. وإن كنا قد أشرنا سابقاً إلى أهمية الاستفادة من الماضي أي الإيمان بالتجاوز في حدوده العلمية/ المنطقية، فإن الانفكاك عما هو تقليدي لا بد أن يتم من خلال القراءة المسائلة، إذ بالأسئلة تتشكل المواقف ويتحقق امتداد النقد إلى الواقع.



موبي ديك.. رمزية الرواية وخلودها

فاتنة صالح الكردي: سوريا

واحد من سمات الأعمال الكلاسيكية هو خلودها واحتفاظها بسحرها على مر وفي كل العصور.. تفوقها على ملاحم إنسانية وأدبية خالدة وروايات عظيمة وضعها روائيون عظام وعلى مسرحيات وضعها كتاب وشعراء ذوو بصيرة نافذة. هي أيضاً موضع تأملات ودراسات أدبية متجددة، وموضوع لكتب جديدة تبحث في الأسباب الكامنة وراء سر تميز وتفوق وخلود تلك الأعمال الأدبية العظيمة.

تكمن عالمية الرواية في مدى قدرتها على حفظ حكايات وقضايا مهما مرت عليها من سنوات بحسب مجموعة مؤلفي كتاب (دليل القارئ إلى الأدب العالمي) تعتبر رواية الكاتب الأمريكي هيرمان ملفل (موبي ديك) أو الحوت الأبيض من أهم الأعمال الأدبية على مدى التاريخ وأثراً كلاسيكياً يعز نظيره في تاريخ الأدب الأمريكي كله، والرواية الأمريكية الحقيقية الأولى عن المغامرات البحرية في الأدب العالمي الروائي الذي تحول إلى صورة من كيان المجتمع الذي يخلق الأحداث منذ أن أصبحت الرواية ذاكرة الشعوب.

كان على هيرمان ملفل الكاتب الأول الذي تقوم المكتبة الأمريكية الوطنية بجمع أعماله الكاملة ونشرها، أن ينتظر طويلاً في عتمة الإهمال والنسيان إلى أن يأتي من يكتشفه عن طريق الصدفة فيعيد الاعتبار إليه وإلى روايته التي أسيء فهمها، ولم تلق التقدير الذي تستأهله في زمن عيش مبدعها الذي اضطر للتنقل بين عدة مهن للحصول على لقمة عيشه. هيرمان ملفل فجأة وجد نفسه مثقلاً بديون والده التاجر من الطبقة الوسطى والذي أفلس قبل وفاته فترك مدرسته واشتغل خادماً على ظهر سفينة أبحرت إلى ميناء ليفربول في إنجلترا، ثم ككاتب في مستودع قريبه، ومن ثم معلماً في إحدى المدارس لمدة عام ونصف، ثم بحاراً على إحدى السفن الأمريكية المخصصة لصيد الحيتان في الشطر الجنوبي من المحيط الهادئ، دار حول رأس هورن وتجول في المحيطات ومن ثم هجر تلك المهنة محفوفة المخاطر بعد وقوعه في أسر بعض المتوحشة من أكلة لحوم البشر في (تايبي) ليهرب ويعمل موظفاً عادياً في جمارك نيويورك. اعتقاداً منه أن روايته ستحقق له المجد والشهرة، وفي عام 1851 نشر هيرمان ملفل التي نضجت الرواية الأمريكية على يديه مع زميله المبدع صاحب رواية الحرف القرمزي (ناثانيال هورثون) روايته موبي في لندن أولاً في ثلاثة مجلدات، ثم نشرت في (نيويورك) من نفس العام لكنها قوبلت بالازدراء وفشلت تجارياً ونقدياً وهاجمتها الصحف الأمريكية كما رواياته السابقة.

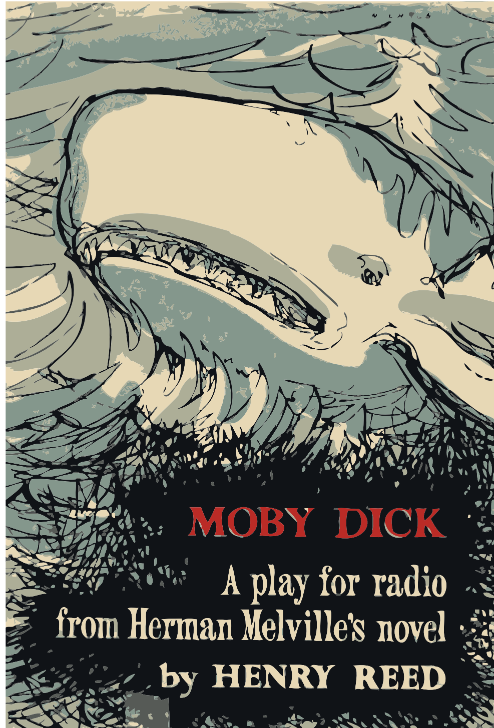
الناشرون وبشكل لايمكن تفسيره في أيام ملفل كانوا عاجزين إزاء ما تحكم به صحيفة أو مجلة نقدية مهمة، الأمر الذي جعله يمضي السنوات الأخيرة من حياته يائساً وموظفاً مغموراً محبطاً، أجبره العوز المادي على الاستمرار في وظيفته إلى أن انتهى عجوزاً صموتاً بلا قراء، وقد نسيه الجميع وظنوا أنه مات قبل وفاته عام 1891.

هيرمان ملفل من الأدباء الذين رافقهم الإهمال طوال حياتهم، وبالصدفة يطالهم الاهتمام الكبير بعد موتهم، ربما للتعويض عن عقدة ذنب حيال عدم الفهم والتقدير والإهمال الذي ارتكب بحقهم وهم أحياء.

القرن العشرون تمكن من إنصاف ملفل وإعادة قيمته كاملة غير منقوصة، فبعد أكثر من ثلاثة عقود من رحيله وزهاء سبعين عاماً على نشرها كتب الناقد (كارل فان دورين) الذي اكتشف بالصدفة الرواية لدى بائع كتب قديمة مقالة أشادت بها وبكاتبها الذي ربما لم يكن غائباً عنه ما حدس به، ورافقه طوال حياته وتوقعه غداة موته؛ بالمتاعب التي سيواجهها، وبالشهرة والخلود أيضاً عبر رسالة كتبها لصديقه (ناثانيال هوثورن) قائلاً: (لقد كتبت كتاباً شريراً، وأنا أحس بنفسي نظيفاً كالحمل الآن -متابعاً- أن يحقق المرء شهرته وخلوده بعد موته لأمر فيه مايبعث على الأسى والحزن).

يمثل هيرمان ملفل (بكسر الميم والفاء وتسكين اللام) إلى جانب والت ويتمان، وناثانيال هوثورن، وإدغار ألن بو، وإميلي ديكنسون، أول جيل روائي أدبي عظيم أنتجته الولايات المتحدة. طور (موبي ديك) ذلك العمل الروائي المدهش شكل الكتابة الروائية في منتصف القرن التاسع عشر وجعل الرواية الأميركية تحتل مكانة متقدمة في تاريخ الرواية العالمية، لما تحويه من إشارات إلى بعض اللحظات التاريخية: أسماء ورموز تحيل في معظمها إلى سير الأنبياء وشخصيات الرسالات السماوية، وتأملات وصور شاعرية ومعلومات وخبرات عن الحيتان وصيدها واعتصارها بغية استخراج العنبر من جسدها، بل تكاد تكون موسوعة بالبحار وعوالمها الخاصة وخفاياها، اكتسبها المؤلف من خبرته ومهاراته أثناء الإبحار.

باقتدار ومهارة وإبداع نسج ملفل رواية ذات مغزى أخلاقي تصور الإنسان حين يحاول استجلاء كبد الحقيقة. مزج بين الرمز والواقع.. بين فلسفة الخلق والكون وحياة البحر وحرفة صيد الحيتان، ليخرج بعبرة مفادها: أن إنساناً ما يطارد الشر والمتمثل بالحوت، لكي يخلص العالم من شروره ليدرك البشر المعنى الحقيقي لحياة الخير والسكينة والسلام. ورسم شخصيات بطولية أكبر من الحياة: إسماعيل هو الراوي في (موبي ديك) يتعرف على (كويكوج) وهو رجل بحار أصله من أكلة لحوم البشر يتعاقدان مع (بيكود) المتخصصة بصيد الحيتان، يقودها ثلاثة أمريكيين: (أخاب) مالكها وربانها (أخاب) ذا الرجل الاصطناعية المسكون بهاجس الانتقام من الحوت الأبيض الذي التهم ساقه، والشخصية المنفردة التي يقودها سعيها الاستحوذاي لصيد الحوت الأبيض للتصدي للمجهول ولمصيرها القاتم والمأساوي وإلى دمار السفينة وهلاك رجالها، أما البحارة فهم من كافة الأعراق ومختلف الديانات. قبيل إبحار (بيكود) يحذر (إيليا) المعتوه إسماعيل وكويكوج من خطورة العمل مع (أخاب) الذي يريد قتال الحوت الأبيض الذي ألحق به الضرر وليس أي حوت آخر من جنسه أو فصيلته. تلتقي السفينة بعدة سفن أخرى أهمها (راحيل) التي تبحث عن زورق فقدته فيه بعض بحارتها وابن ربانها اليافع. بعد صراع من أجل اصطياد موبي ديك ومطاردات استمرت طوال أيام ثلاثة، تقع الكارثة حيث يغرق جميع البحارة باستثناء إسماعيل الذي تشبث بتابوت كان قد صنع من أجل (كويكو) حين مرض وأشرف على الموت.





المسلسل التركي به سم قاتل

مصطفى أحمد البواب: مصر

قرأت مقال عذاب الركابي، تحت عنوان (صدمة الدراما التركية: العودة على بساط الرومانسية)، في المجلة العربية عدد (472)، فأخذنا من وعي المسلسلات العربية إلى اللاوعي في المسلسلات التركية، نقلنا من روح حقيقية إلى تهافت على أرواح غير حقيقية. وتساءل على لسان الروائي سعيد الكفراوي: (هل يحاول آل عثمان انتشالنا من بؤس ما نعيشه بفن لا يمتلك حقيقته، ولا يقدم حياة تشبه الدنيا التي نحيا فيها؟).. أم هي (تجارة تنشط السياحة، وتجذب القادرين على جناح السرعة لزيارة بلاد الأناضول)؟ ثم على لسانه: (هل يعكس المسلسل التركي الواقع التركي بالفعل؟). وذكر أن دخل تركيا من السياحة وصل إلى 30 مليار دولار لعبت فيه الصورة التي أظهرتها المسلسلات دوراً مهماً.

ولأهمية الموضوع أقول: بالتأكيد المسلسل التركي لا يعكس الواقع التركي، لما تبثه الصحف عن تظاهرات واعتقالات ومخالفات، وخلفية مغايرة تماماً لما تعرضه المسلسلات. وأن المثالية المفرطة من الناحية الشكلية والظاهرية في شخصيات المسلسلات التركية التي يبثونها إلينا، سواء أكانت نسائية أم ذكورية؛ تشدنا وتجذب مشاهدينا، بينما من الناحية الجوهرية فهي تحمل أفكاراً تقدمية، أو قل تميل إلى التحررية بكل معاني الكلمة. فمحاولات تركيا لتكون دولة أوروبية، وحلمها الذي لا ينكسر، وسعيها الحثيث أن تنضم إلى دول الاتحاد الأوروبي؛ جعلها تحيا حياة أوروبا، حيث لا يظهر دينها الإسلام بصورة واضحة، فهي تنقل عن أوروبا كل شيء، حتى العادات والتقاليد. إن المسلسلات التركية غزتنا وهاجمتنا وشغلتنا، فالتصوير يظهر خلفيات رائعة الجمال، هذا للاستثمار السياحي والعقاري، ونجحوا في ذلك؛ لكنهم دنسوا أخلاقنا بمشاهد مزرية وحكايات هابطة، وكأن العالم حريم فقط، بالإضافة إلى شرب الخمر كعادة مترسخة في كافة المسلسلات. إن ترسيخ هذا الهبوط في عقول شبابنا هو الطامة الكبرى. نعم إن الدراما التركية نجحت في جذب المشاهد العربي، لأنها تقدم ما يريده من صورة؛ لكن المشكلة أنهم يضعون السم في العسل، حتى سقط العرب في براثن المسلسلات التركية.



المصادفة
وآثار الإسكندرية الغارقة

أشرف سعد: مصر

تعقيباً على مقال الأستاذ أسعد النوبي (هيراكليوم المدينة الأسطورية الغارقة في ميناء الإسكندرية)، المنشور بالعدد 472 بالمجلة العربية؛ فقد لفتت الإسكندرية المؤرخين العرب والعالميين بآثارها الفريدة، فهي تضم كنوزاً من حضارات العالم القديم. وقد شهدت مصر منذ بداية القرن العشرين سلسلة طويلة من الكشوف الأثرية تحت الماء، ولكنها لم تتخذ طابع الدراسات العلمية المنظمة، بل كانت محاولات فردية، لعبت فيها المصادفة دوراً كبيراً. وهذا لم يتطرق إليه كاتب المقال الأستاذ أسعد في مقاله. وقد بدأت تلك الكشوف عام 1910م حين كلف المهندس الفرنسي (جاستون جونديه) بإجراء أعمال توسيع لميناء الإسكندرية الغربي، فلاحظ جونديه في أثناء العمل وجود بقايا أثرية من كتل حجرية ضخمة تقبع في قاع البحر من ناحية رأس التين. ثم لعبت المصادفة مرة أخرى دوراً في أحد الاكتشافات الأثرية في خليج أبي قير بشرق الإسكندرية؛ عندما لاحظ طيار من السلاح البريطاني أطلالاً غارقة على شكل حدوة حصان تحت الماء، أثناء تحليقه في الجو فوق المحيط، فتحمس الأمير طوسون لهذا الكشف، واستعان بأحد غواصي المياه العميقة، وانطلق يوم 5 مايو 1932م إلى المنطقة حيث أخرج الغواص في اليوم نفسه رأساً من الرخام للإسكندر الأكبر، وجدت على عمق 5 أمتار، وعلى بعد 450 متراً من الأرض. وبعد مرور فترة طويلة خلت من الاكتشافات المهمة؛ بدأ في الستينات عهد جديد من البحث مع الغواص (كامل أبو السعادات) الذي زار خليج أبي قير عام 1961م ولاحظ وجود أطلال حجرية ترقد عند سطح قلعة قايتباي، وهنا لعبت المصادفة دورها مرة أخرى في اكتشاف تلك الآثار الغارقة، فهذه الظلال هي ذاتها التي رآها الجندي الفرنسي، وفي العام التالي قام أبو السعادات بمساعدة البحرية المصرية بانتشال تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر بالحجم الطبيعي كان يرقد بجوار السلسلة، ويرجع إلى العصر الهلينستي. وبعد مضي أشهر من رفع التمثال نفسه وجد تمثال آخر بنفس الحجم، وعرف بتمثال إيزيس فاريا. وبعد ثلاثه وثلاثين عاماً توالت عمليات البحث على مدى السنوات الماضية، وتم اكتشاف سفينة القيادة الخاصة بنابليون بونابرت، وتم انتشال قنابل وطبنجات وعملات ذهبية، علاوة على مجموعة كبيرة من أدوات الحياة اليومية. وفي عام 1996م تم اكتشاف جزء من الحي الملكي لمدينة الإسكندرية القديمة في الميناء الشرقي.



المرأة العربية الشاعرة ليست الخنساء فقط

سهير أبوبكر الشاذلي: مصر

قرأت بالعدد 473 مقال «بصمات نسائية في مسيرة الحضارة الإسلامية» الذي تضمن في نهايته فقرة بعنوان المرأة أديبة وشاعرة، واقتصر فيه الكاتب على الخنساء فقط، تاركاً قبلها ووراءها الكثير من الشاعرات.

فلو مررنا بنظرة سريعة عجلى على التاريخ الأدبي لتعرّفنا على الدور المهم للمرأة في الشعر العربي. ففي العصر الجاهلي كان للشاعرة عمرة منتدى يجتمع إليه الرجال للمحادثة وإنشاد الأشعار والأخبار. كذلك كان منتدى الشاعرة خرقاء في مكة، وهي الأخرى يجتمع إليها الرجال تناشدهم الأشعار بلا ريب أو سوء ظن.

وفي الجاهلية ظهرت الشاعرة جليلة بنت مرة أخت جساس، والشاعرة الخرنق بنت بدر، أخت طرفة بن العبد، والشاعرة سمية زوجة شداد، والشاعرة سليمى بنت المهلهل، والشاعرة جنوب بنت علان الهذلية، والشاعرة زرقاء اليمامة التي حذرت بشعرها قومها جديس من عدوان ملك اليمن.

وفي صدر الإسلام اختلف الأمر عمّا كانت عليه المرأة في الجاهلية، فظهرت المرأة الفقيهة بجانب الشعر والأخبار. وبرع كثير من النساء في الشعر والفقه، وحفظن الأحاديث والأحكام. ومنهن: أم حبيب بنت عامر، وأم سنان بنت خيثمة، وأُمَامة الربَديَّة، وأروى بنت عبدالمطلب. أما الشاعرة خولة بنت الأزور، فكانت تفوق الرجال فروسية وبسالة.

وفي العصر الأموي، ظهر الكثير من الشاعرات مثل: جميلة، وسلامة، وعائشة بنت طلمة، والسيدة سكينة بنت الحسين، وليلى الأخيلية، وعفراء، وليلى العامرية، وأم حكيم الخارجية، وشقراء بنت الحباب. وفي العصر العباسي ظهرت الشاعرات: فضل العبدية، وزينب ابنة الطثرية، وزبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي، كما كان لعلية ابنة المهدي العباسي، أخت هارون الرشيد ديوان من الشعر متعدد الأغراض، والشاعرة عشرقة المحاربية، وأم الضحاك المحاربية، ورابعة العدوية، وآمنة بنت موسى الكاظم، وآمنة الرملية، وأم أحمد القابلة المصرية، وأم الربيع الزبيدي، وأم سطل، وخديجة بنت الحافظ جمال الدين البكري، وزهراء الوالهة، وست الملوك، وعائشة بنت عثمان النيسابوري، وفاطمة النيسابورية، وفاطمة العيناء، وفاطمة بنت المثنى، وفاطمة بنت عباس، وفخرية بنت عثمان، ومريم بنت عبدالله، وميمونة السوداء، وريحانة.

وفي الأندلس ظهرت الشاعرات: حفصة بنت الحاج الركونية، وولادة بنت المستكفي، وعائشة القرطبية، ونزهون بنت القلاعي الغرناطية، وسارة الحلبية، وحسانة بنت المخشي، وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح. وفي القرن الثامن الهجري ظهرت الشاعرات فاطمة بنت الخشاب، وزينب الكحيلة، وليلي بنت أحمد، وسلمى الحسانية. وفي القرن التاسع الهجري ظهرت الشاعرات: عائشة الباعونية، وأم علي تقية، ومهدية الشاهينية. أما في العصر الحديث فالحديث يحتاج إلى أبحاث مطولة للإلمام بهذا الحقل الكبير.



زكريا أحمد والطقاطيق المجافية للذوق

ناجي العتريس: مصر

حمل العدد 473 من مجلتنا الغراء موضوعاً يحمل عنوان (زكريا أحمد ملحن الروائع) للكاتب محمد فؤاد علي، استعرض فيه حياته وأهم أعماله، وذكر أنه يوجد بعض الأغاني والألحان التي يغلب عليها طابع الميوعة والإسفاف في الكلمة واللحن. وبالفعل لحن الشيخ زكريا عدة طقاطيق يعتبرها البعض مجافية للذوق مثل الطقطوقة التي تقول:

ارخي الستارة اللي ف ريحنا
لا أحسن جيراننا تجرحنا
يا فرحانين يا مبسوطين يا مفرفشين
يا مزأططين بالقوي يا احنا

والتي كتبها الشيخ يونس القاضي. وأيضاً الطقطوقة التي غنتها منيرة المهدية ونعيمة المصرية والمطرب عبداللطيف البنا، والتي تقول:

ما تخافش عليّ
أنا واحدة سجوريا
في الحب يا إنت
واخدة البكالوريا

وهناك طقاطيق أخرى مثل (أنا راضي وأبوها راضي ومالك إنت ومالنا يا قاضي)، وطقطوقة شهيرة جداً وهي (اوعى تكلمني بابا جاي ورايا)، وكان من العجيب أن صناع الأغنية من كلمة ولحن يحملان لقب شيخ!

واستمر الشيخ زكريا في العشرينات يلحن مثل هذه الطقاطيق، ثم بدأ مرحلة تطوير الطقطوقة والتي استطاع من خلالها أن يقفز من الجملة اللحنية الواحدة في مقام واحد وإيقاع واحد إلى عدة جمل في أكثر من مقام وأكثر من إيقاع، وهذا ما يوجد في طقطوقة (اللي حبك يا هناه) لأم كلثوم، وانطلق زكريا في تلحين الأوبريت والمسرحية لأشهر الفرق (مثل عكاشة - الريحاني - علي الكسار - منيرة المهدية - فاطمة رشدي) ولحن ستة وخمسين أوبريتا ومسرحية.

والجدير بالذكر أن زكريا أحمد كان رائد التلحين للأغنية السينمائية، فقد لحن أغاني فيلم (أنشودة الفؤاد) عام 1932م للمطربة نادرة مع جورج أبيض، ثم توالت ألحانه السينمائية فيما بعد حتى بلغ ما لحنه من الأفلام سبعة وثلاثين فيلماً.

التاريخ الشاعر

عبد الله العثيمين(1936-2016)

أحمد الواصل: الرياض

يمثل عبد الله العثيمين الذي غادرنا، أحد نماذج الجيل الصعب، في التحول الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المجتمع السعودي..

شهد لما بعد النصف الثاني من القرن العشرين وجوده على المستوى الثقافي بالشعر، فهو أحد الشعراء الذين شكلوا مادة أول كتاب مختارات شعرية للحركة الشعرية في منطقة نجد (شعراء نجد المعاصرون) (1960) لعبد الله بن إدريس، الذي احتوى مختارات شعرية للشعراء محمد بن عثيمين وعبد الله الفيصل، وعبدالله العثيمين، وناصر بوحيمد، ومحمد العامر الرميح، ومحمد عبدالله المسيطير، وعثمان بن سيار وسواهم.

وقد علق على الكتاب الشاعر سعد الحميدين: (وتأتي أهمية كتاب شعراء نجد المعاصرون أنه كان انطلاقة نحو تأسيس تاريخ أدبي معاصر وفق منهج حديث، وتوالت بعده دراسات وظل علامة فارقة في مسيرة الأدب في البلاد وصورة صادقة وينظر إليه كرمز)..

قبض العثيمين على أكثر من حقل ما بين مجالات الشعر والفكر، والبحث الأكاديمي، والتحقيق لمدونات التاريخ النجدي، وترجمات لتاريخ نجد سواء من مؤرخين أو رحالة.

يمثل العثيمين الجيل الثاني من بعد جيل عبد العزيز الخويطر (1918 - 2014) الذي يستثنى من بين كثير من المؤرخين والباحثين والمفكرين الذين لم تتوافر لهم دراسة مكتملة في المؤسسات التعليمية العامة والعليا.

وقد نبت العثيمين، المولود عام 1936 في عنيزة (إحدى مدن منطقة القصيم) بين عالم متعدد من بيوت العلم فقهاء وأئمة، ومعلمين ورواة شفويين، ومدينة تعجنها رياح السموم وصبا نجد، وتقف حناجرها على السواني وترطبها موجات السواقي..

العالم الذي خزنه منذ صغره بين عنيزة والرياض ومكة المكرمة حمله معه إلى أدنبرة حتى عاد..

القصائد التي كتبها ونشرها ما بين عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين شهادة على همسات قلبه،



د.عبد الله العثيمين

وهموم عقله العروبية، ولعل أبقاها قضية فلسطين، وهو ما تنبه إليه الناقد عبد الله عبد الجبار في محاضراته المجموعة في كتاب شهير بعنوان (التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية) (1959).

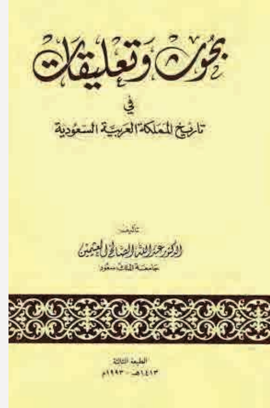
ولم تنقطع القصائد، ولا مقالاته عن هموم الوطن العربي الكبير..

وانضاف إلى موهبته الشعرية وهمومه العربية، تكامل مهاراته الأكاديمية في البحث والتحقيق والترجمة، وانطلقت مقالاته وبحوثه وكتبه تبحر في تاريخ المملكة العربية السعودية، وما يتصل به، من ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونشأة الدرعية منذ الدولة السعودية الأولى، وعلاقات الدولة السعودية بجاراته كالكويت، واستطاع أن يكون مرجعاً في مصادر التاريخ السعودي..

ولم يغفل عن تلك المدونات التاريخية التي تركت، فحققها وأشرف عليها، من مؤرخين، مثل ضاري آل رشيد، ورحالة مثل لودفيج بوركهارت وجون فيلبي.

لم يتوقف العثيمين هادراً قصائده ومقالاته الفكرية، وأبحاثه وتحقيقاته التاريخية، مثالاً فاعلاً للمثقف السعودي





بمسؤوليته الثقافية حيال التاريخ والمجتمع والسياسة.. رحل لم يرحل ترك الباب مشرعاً على الشعر والتاريخ..

مقطع من قصيدة: الأساطير

حينما كنت صبيا
كنت أصغي للأساطير فأطرب
لم أكن وحدي الذي يصغي فيطرب
كل طفل في بلادي كان مثلي
يسمع الجدة تجترَّ أساطير عجيبة فيصدِّق
كل شيء كانت الجدة تحكيه يصدقْ
الخفافيش التي صارت أسودا
والثعابين التي صارت حمائم
لم تكن تستهدف التضليل بالقول المنمَّق
لم يكن يصدر ما جاءت به عن سوء نية

عبد الله الصالح العثيمين (1936 - 2016): شاعر ومؤرخ ومحقق ومترجم سعودي. درس في المعهد العلمي الديني بعنيزة عام 1956، والمعهد السعودي بمكة المكرمة 1959، وجامعة الملك سعود 1962، وجامعة أدنبرة 1972 حصل منها على شهادة الدكتوراه في التاريخ. عين معيداً وهو طالب بكالوريوس ثم صار أستاذاً 1982 ثم رئيساً في قسم التاريخ من كلية الآداب ثم انتقل إلى أمانة جائزة الملك فيصل العالمية عام 1987، ثم عضو مجلس الشورى عام 1999.

دواوينه الشعرية: نشرت أولى مختاراته شعرية في (شعراء نجد المعاصرون) (1960)، ونشر دواوينه لاحقاً: عودة الغائب (1981)، بوح الشباب (1995)، لا تسلني (1995)، نمونة قصيدة (1996)، دمشق وقصائد أخرى (2003)، صدى البهجة (2003)، عرس الشهباء وقصائد أخرى (2011)، في زفاف العروس (2011).

كتب غير شعرية: من وحي رحلاتي إلى خارج الوطن (2010).

كتبه الفكرية: خواطر حول القضية (2003)، مقالات عن الهم العربي (2005)، أنت في مقالات: فلسطين والعراق وقضايا مصيرية (2008)، خواطر حول الوطن والمواطنة (2010)، عام من الذل والانخداع (2010)، بيع الأوطان بالمزاد العلني (2011)، بوادر أمل تلوح في الأفق (2013).

كتبه التاريخية: نشأة إمارة آل رشيد (1981)، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية (1984)، الشيخ محمد عبد الوهاب: حياته وفكره (1986)، تاريخ المملكة العربية السعودية (1987)، محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية (1990)، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت (1991)، معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد (1999)، قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد (2001)، قراءة في كتابات عن تاريخ الوطن (2001)، مراجعات في مصادر التاريخ السعودي (2009)، نجد قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب (2010)، الدرعية نشأة وتطوراً في عهد الدولة السعودية الأولى (2013).

ترجماته: توحيد المملكة العربية السعودية، لمحمد المانع (1982)، من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل 170 سنة (1986)، مواد لتاريخ الوهابيين، للودفيج بوركهارت (1985)، بعثة إلى نجد، لسانت جون فيلبي (1997).

تحقيقاته: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب، لمؤلف مجهول (1983)، نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضاري الرشيد، على وديع البستاني (1999)، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب لحسن الريكي (2005).

إمام محراب الرسول

الشيخ محمد أيوب في ذمة الله



الشيخ محمد أيوب

المجلة العربية: الرياض

ودّعت ساحات حرم النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.. الشيخ محمد أيوب بن محمد يوسف بن سليمان عمر، أحد أئمة المسجد النبوي الشريف في الفترة بين (1410هـ - 1417هـ)، والفترة ما بين (1436هـ - 1437هـ)، ومن قراء القرآن الكريم المعروفين..

ولد الشيخ بمكة المكرمة سنة 1372هـ، حفظ القرآن في عام 1386هـ بجامع بن لادن في حي الحفاير بمكة المكرمة والتحق بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية، وحصل على الدكتوراه عام 1408هـ، وعُيّن إماماً متعاوناً في المسجد النبوي عام 1410هـ واستمر فيه حتى عام 1417هـ ثم انقطع عن إمامة المسجد النبوي تسعة عشر عاماً ليعود ويصلّي في المسجد النبوي مجدداً في رمضان 1436هـ..

ويعد الشيخ محمد أيوب من القراء المشهورين في المملكة والعالم الإسلامي، وله تسجيلات قرآنية في الإذاعة والتلفزيون، وقد سجل له مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف القرآن كاملاً، حيث يتم بثه من إذاعة القرآن الكريم، وسجلت له أيضاً قراءات صلاة التراويح والقيام في المسجد النبوي الشريف، وهي تنشر كذلك تباعاً في الإذاعة. وقد حصل على عدد من الإجازات في القراءات ومنها: إجازة برواية حفص من شيخ قراء المدينة حسن بن إبراهيم الشاعر، ومن الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، والشيخ خليل بن عبد الرحمن القارئ..

ويروي الشيخ محمد أيوب رحمه الله قصة تعيينه إماماً بالحرم المدني قائلاً: حينما كنت إماماً في مسجد قباء، سمع الشيخ عبد العزيز بن صالح بأن هناك شيخاً يدعى محمد أيوب يتميز بصوت حسن وأداء مميز، فطلب من ابنه أن يحضرني لمجلسه، فحينما وصلت إليه طلب مني الشيخ ابن صالح أن أتلو بعض الآيات، فما أن استمع إلى قراءتي حتى أعجب بها الشيخ والحاضرون، فقال لي: هل تستطيع أن تصلي بالناس في الحرم المدني صلاة التراويح؟ وكان ذلك في أواخر أيام شهر شعبان، فوافقت على ذلك، فصدر القرار الحكومي بتعييني إماماً مكلفاً في الحرم المدني. حيث كان ذلك عام 1410هـ، وصليت صلاة التراويح كاملة لوحدي في تلك السنة عدا ثلاثة أيام من رمضان. وقد كان شيخي الشيخ خليل قارئ في تلك السنة خارج البلاد، فكان يستمع إلى قراءتي عن طريق المذياع، ويتصل بي يومياً ويدعو لي.. يضيف الشيخ يرحمه الله: (تنتابني رهبة شديدة كلما وقفت في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أخشى ألا أقوم بها على الوجه المطلوب، وسألت الله أن يثبتني وأن أقوم بالمسؤولية الملقاة على كاهلي).

أستاذ التاريخ الحديث
عبدالله الشبل.. وداعاً


د. عبد الله الشبل

المجلة العربية: الرياض

برحيل معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف بن عبدالعزيز الشبل مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً، يرحمه الله؛ يودع الوسط الأكاديمي والتاريخي السعودي واحداً من الأسماء البارزة في مسيرة العلم والبحث والقراءة والإدارة أيضاً. بعد رحلة مع المرض والكفاح والعطاء الوطني النبيل.

الدكتور الشبل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام في تخصص التاريخ الحديث؛ كتب عنه الكثيرون قبل وبعد وفاته، يرحمه الله، ومنهم الدكتور عبدالرحمن الشبيلي الذي قال عنه وعن سمته وخلقه وتأدبه ورقي تعامله: (الإدارة بالأخلاق)، مدرسة لم تُدرس بعدُ، ولم تدخل ضمن نظريات العلوم الإدارية، مع أن لها مبادئ معروفة في القرآن والسنّة، وفي تطبيقات الخلفاء الراشدين، ومن حذا حذوهم. وحريّ بجامعة الإمام أن يكون لها السبق في وضع الأسس لها حتى تكون مادة من المواد العلمية ضمن مناهجها.

نبأ وفاة الشبل الحاصل على دكتوراه الفلسفة في الآداب من جامعة الإسكندرية 1400هـ/1980م التخصص العام التاريخ، والدقيق التاريخ الحديث والمعاصر؛ أعاد للذاكرة حديث الكبار الذين يعملون بصمت وهدوء، ثم لا يتذكرهم العابرون إلا بنبأ الوفاة. حيث نثر العديد من الكتاب دموع الكتابة على صفحات الجرائد ووسائط النشر الإلكتروني.

ومنبرياً، أبّنَ مجلس حمد الجاسر الثقافي الأدبي، في ندوة؛ الدكتور الشبل، يرحمه الله. شارك فيها كلٌّ من الدكتور محمد الربيع، والدكتور عبدالرحمن العريني، وأدارها الدكتور إبراهيم التركي. حيث تحدث الأخير عن الفقيد وصفاته النبيلة الكامنة في إنسانيته وطيْبته وهدوئه، ولُطْفه في التعامل، وتواضُعه وشموخه، وخطِّه الجميل، وأسلوبه المتميِّز في الحديث، وإنجازاته، وعن المواقع المتعدِّدة التي تولّى مسؤولياتها، وذكرَ أنه مؤرِّخ نسَّابة، حافظ للقرآن الكريم، عالم بالحديث والتفسير، وصاحب المدرسة التي أسماها الدكتور عبدالرحمن الشبيلي (الإدارة بالأخلاق).

ثم استعرض المشارك الأول في الندوة الدكتور محمد الربيع سيرة الفقيد بشكل مُوجَز، مركِّزاً فيها على (عبدالله الشبل -يرحمه الله- الإداري والإنسان)، متحدِّثاً عن الشبل الإنسان المتواضع، صاحب القلب الرحيم، وتحدَّث عن مفاتيح شخصية الشبل وأسلوبه الحكيم في التعامل مع الآخرين، فذكرَ من صفاته الأناة والرويَّة وعدم الاستعجال في الحُكْم على الأمور أو اتخاذ القرارات المتسرِّعة، وكذلك التواضع والحِلْم والبُعْد عن الغرور والتَّعالي، إذ إنه لم يسمعه يوماً يَرفع صوتَهُ على موظَّف أو مُراجع. كما استعرض الربيع قصصاً مؤثرة تدلُّ على نُبْل الفقيد وعطفه على العاملين معه.

من جهته افتتح المشارك الثاني الدكتور عبدالرحمن العريني مشاركته بالحديث عن اهتمام الشبل وعنايته بالتاريخ، وعلاقته بالدكتور عبدالله العثيمين رحمهما الله، ومسيرتهما وتشارُكهما في العديد من الأعمال.

وأشار الدكتور العريني إلى أنه يُعِدُّ حاليّاً كتاباً عن الدكتور عبدالله الشبل، بدأه خلال حياة الفقيد، بعد رَفْضه -يرحمه الله- الكتابة عنه، وبعد الإصرار على ذلك قَبِلَ أخيراً بأنْ يكتب الدكتور العريني كتاباً يُسلِّط فيه الضوء على سيرته ومسيرته العلمية.

وتحدَّث العريني عن بدايات الشبل الأولى في التعليم، وتدرُّجه في السلَّم الأكاديمي، وقدَّم كلمات مُوجَزة عن مؤلَّفاته ومشاركاته في المؤتمرات والندوات والاتحادات، وعن كَرَمه مع المثقَّفين والكتَّاب، والجوائز التي نالها.



عبر مصائر ربعي المدهون

الرواية الفلسطينية تتشح بالبوكر

المجلة العربية: الرياض

كان لفلسطين حضور في مجال الرواية في هذا العام 2016م، حيث فاز الروائي ربعي المدهون بالجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها التاسعة عن روايته (مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة) وهو أول فلسطيني يفوز بالجائزة التي سبق وأن وصل لقائمتها القصيرة في العام 2010.

وربعي المدهون كاتب فلسطيني ولد في مدينة المجدل عسقلان، في جنوب فلسطين عام 1945. هاجرت عائلته خلال النكبة عام 1948 إلى خان يونس في قطاع غزة. تلقّى تعليمه الجامعي في القاهرة والإسكندرية، يقيم في لندن حيث يعمل محرراً لجريدة الشرق الأوسط، وله ثلاث روايات إضافة إلى دراسات ومجموعة قصصية.

وقد علّقت أمينة ذيبان نيابة عن لجنة التحكيم على الرواية الفائزة بقولها: تبتدع رواية (مصائر) نسيجاً روائياً فنياً جديداً يصور تحولات المسألة الفلسطينية، وتثير أسئلة الهوية وتستند إلى رؤية إنسانية للصراع.

تعدُّ (مصائر) الرواية الفلسطينية الشاملة، فهي ترجع إلى زمن ما قبل النكبة لتلقي ضوءاً على المأساة الراهنة المتمثلة في الشتات والاستلاب الداخلي، إنها رواية ذات طابع بوليفوني مأساوي، تستعير رمز الكونشرتو لتجسّد تعدّد المصائر.

وقال ياسر سليمان، رئيس مجلس أمناء الجائزة: تمتاز رواية ربعي المدهون (مصائر: كونشيرتو الهولوكوست والنكبة) بتقنية تستقي تموجاتها من عالم الموسيقى، لكنها لا تلبث أن تتخطى هذا العالم في حركة تجمع الشيء ونقيضه، حيث يتقاطع الداخل مع الخارج في التجربة الفلسطينية من خلال إيقاع الشتات والعودة.. ينحت ربعي المدهون عوالمه الروائية بحرفية تخاطب القارئ بصوت

آسر ليضيف ألقاً متجدداً إلى جائزة تتبوأ مركز الصدارة في المشهد الروائي العربي.

ورواية (مصائر) تقع في أربعة أقسام، يمثل كل منها إحدى حركات الكونشرتو، وحين يصل النص إلى الحركة الرابعة والأخيرة، تبدأ الحكايات الأربع في التوالف والتكامل حول أسئلة النكبة، والهولوكوست، وحق العودة. وهي رواية الفلسطينيين المقيمين في الداخل ويعانون مشكلة الوجود المنفصم وقد وجدوا أنفسهم يحملون جنسية إسرائيلية فُرضت عليهم قسراً، كما أنها رواية الفلسطينيين الذين هاجروا من أرضهم إلى المنفى الكبير ثم بدؤوا بمحاولة العودة بطرق فردية إلى بلادهم المحتلة.

والجائزة العالمية للرواية العربية (بالإنجليزية: International Prize for Arabic Fiction) استهلت دورتها في عام 2007 في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة وتم تنظيمها بتمويل من هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة وبدعم من مؤسسة جائزة بوكر البريطانية، وتمنح الجائزة في مجال الرواية حصرياً ويتم ترشيح ست روايات لتتنافس فيما بينها على الجائزة وتمنح الرواية الفائزة خمسين ألف دولار أمريكي بالإضافة إلى عشرة آلاف دولار لكل الروايات الستة المرشحة للفوز بالجائزة.

وتهدف الجائزة إلى مكافأة التميّز في الأدب العربي المعاصر، ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً من خلال ترجمة الروايات الفائزة والتي وصلت إلى لغات رئيسية أخرى ونشرها.

بالإضافة الى الجائزة السنوية، تدعم (الجائزة العالمية للرواية العربية) مبادرات ثقافية أخرى، وقد أُطلقت عام 2009 ندوتها الأولى (ورشة الكتّاب) لمجموعة من الكتّاب العرب الشباب المتميّزين.

ويذكر أن الروايات الفائزة أو المدرجة على القوائم القصيرة للجائزة منذ عام 2008 قد تمت ترجمتها إلى ما يربو على 20 لغة من لغات العالم.

وقد سبق أن أعلنت القائمة القصيرة للروايات المرشّحة لنيل الجائزة العالمية للرواية العربية للعام 2016، حيث قالت لجنة التحكيم إن الجائزة في دورتها التاسعة شهدت ترشح (أعمال مهمة تمثل تجارب روائية حديثة منفتحة على حقول غير مطروقة سابقاً تندمج فيها الذات الفردية والذات الجماعية).

واشتملت القائمة على روايات (نوميديا) دار الآداب، للمغربي طارق بكاري، و(عطارد) دار التنوير، للمصري محمد ربيع، و(مديح لنساء العائلة) هاشيت أنطوان للفلسطيني محمود شقير.

كما تضم اللائحة روايات (سماء قريبة من بيتنا) منشورات ضفاف للسورية شهلا العجيلي، و(مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة) مكتبة كل شيء، للفلسطيني ربعي المدهون، و(حارس الموتى) منشورات ضفاف، للبناني جورج يرق.




ربعي المدهون

حتى نلتقي

عبدالرحمن موكلي: جازان

صراع المحبة

تفرد المبدع (شاعر، فنان تشكيلي، روائي، قاص، موسيقي...) يبدأ من لحظة وعيه بالذات والصراع معها من أجل التجاوز والتفرد، انشغال المبدع بالآخرين هو نقص في الوعي بماهية الفن ودور الفنان في حياة الناس. الفن لا يغير، إنما يؤثر في الإنسان، والذي من خلاله يكون التغيير. لقد خسرنا كثيراً من الوقت في الصراعات حول أدوار هامشية لا تليق بالفن والفنانين، وخسرنا كثيراً من العلاقات الإنسانية لأننا نراقب بعضنا بعضاً في زحام الصفوف. نعم هناك قضايا وهموم مشتركة لكن يبقى لكل فنان رؤيته وطريقته الخاصة في الاشتغال عليها، وحتى لو آمنا بوجود الصراع حول القضايا، فليكن هذا الصراع صراع المحبة، المحبة تعني الأمل، والمساحات الرحبة من الزمن. العداوة والحسد دائماً صراعاتها في لحظات الهروب من غروب الزمن، الفنان العظيم هو من يصنع زمنه الخاص، بل ويتعداه إلى الخلود.

إن رحابة هذا الكون تنبئ عن رحابة الخيال، وقيمة المكان من أثر الإنسان، والفنون عن الصلة البشرية، وحيثما مشينا في هذا العالم تجد الروح شبيهاً لها.

نعم، لقد فتنتنا الهويات كثيراً، وفرقتنا الخصوصيات، وتحول الفن إلى عزل لا ينقصها سوى (التشبيك)، لكن الغد الإنساني لابد أن يكون أجمل.

إن قدرة الإنسان الخلاقة ستقف ضد قيم السوق وتسليع الإنسان، وسيكون الإبداع الجسر لتجاوز المآسي والحروب.

إن النور الذي لا تراه يراه غيرك، والجمال الذي مررت به قد توقف عنده الكثير.





د. فاتنة أمين شاكر - كاتبة وصحفية

المجلة العربية

منشورات
العربية













